تركيا
التواصل الثقافي
عبر المؤسسات القرآنية

الأمّة
Al Ummah
اسلامية . شهرية . جامعة
العدد الثاني والخمسون - السنة الخامسة - ربيع الآخر ١٤٠٥هـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥م

مأساة البلدان النامية
الجوع في عالم الوفرة

■ جامع السلطان سليم الثاني ■ إستانبول ـ تركيا ■ ٩٧٤هـ ـ ١٥٦٦م ■

12665 9591

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة Al Ummah

اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من الصدر

الأسباب الحقيقية للمأساة

■■ لقد استأثرت المجاعة الكبرى التي ضربت تسعة ملايين إنسان من مجموع سكان أثيوبيا بوسائل الإعلام العالمية حيث يموت مع نهاية كل اسبوع ما لا يقل عن خمسة آلاف إنسان، معظمهم من الأطفال، في الوقت الذي يردد فيه الساسة هناك أناشيد الحرية، وتتغنى أجهزة إعلامهم بسلسلة من الإنجازات وأوجه بناء وتطوير حياة الإنسان!!! وينفقون مائتين وخمسين مليون دولار على الاحتفال بالذكرى العاشرة لتولي النظام الحالي للسلطة، والإعلان رسمياً عن تشكيل الحزب الشيوعي الأثيوبي، وليست حالة معظم الدول الأفريقية الواقعة جنوبي الصحراء مثل: تشاد ومالي وغينيا... أفضل من ذلك. ومحاولة إخفاء أنباء المجاعة أولاً ومن ثم السباق لإنقاذ الجائعين والمشرفين على شفير الهلاك تحكمها وتتحكم بها أهداف سياسية واقتصادية بعيدة عن أية صورة إنسانية... فقد أصرت بعض الدول الكبرى على عدم الكشف عن أخبار تلك المجاعة باعتبار أن ذلك يؤثر على طبيعة النظام الحاكم، ونصحت النظام الأثيوبي بضرورة ترك المجاعة تفترس سكان المناطق الشمالية - أريتريا المسلمة - والمعارضة - إقليم التجراي - باعتبار أن ذلك سوف يشكل عاملاً مساعداً للقضاء على الحركات الانفصالية والمعارضة فيها، ولا يتسع المجال هنا للكلام عن التحكم الأثيوبي الرسمي بالمساعدات الغذائية ومنعها من الوصول إلى أريتريا المسلمة!! وعلى الجانب الآخر فالدول الغربية الغنية تتسابق للحصول على رصيد سياسي وأسواق اقتصادية في هذه البلدان الجائعة.

وعملية توظيف الجوع والفقر والمرض، في أفريقيا عامة، لأغراض التنصير والاستعمار وصناعة العملاء، واستمرار التحكم بالقارة ليس جديداً ولا طارئاً.

والحقيقة أن المشكلة قد لا تكون مشكلة اقتصادية إلى حدٍ بعيد، ذلك أن البحث في إنتاج الدول الأفريقية للمواد الغذائية سيقود إلى حقيقة مؤلمة، وهي أن إنتاج هذه الدول يتم تصديره إلى الخارج وذلك للحصول على العملة الصعبة التي تحتاجها الأنظمة لتسديد الديون التي تتراكم عليها وتثقل كاهل شعوبها بسبب استيراد السلاح لحماية نفسها، ومطاردة خصومها، ومواجهة المتمردين عليها، وتصفية الحسابات الدولية بدماء البائسين؛ ولسوف يجد الأخ القارىء في البحث الذي تعرض له «الأمّة» في هذا العدد - مأساة البلدان النامية، أو الجوع في عالم الوفرة - بعض الملاحظات الهامة التي لا بد من التعرف عليها لإدراك الأسباب الحقيقية للمأساة.

إن أفريقيا قارة بكر فيها من الثروات ومصادر المياه ومساحة الأراضي الصالحة للزراعة ما يكفي شعوبها وشعوب العالم قاطبة: لكن مشكلتها الحقيقية تكمن في الصراعات المصنوعة التي تستهلك أبناءها وطاقاتها في إطار اللعبة الدولية للتحكم بمناطق النفوذ؛ وسوف لا تجدي المعونات الاستهلاكية فتيلاً، إنها تكرس الفقر والبؤس، وتبقى وسيلة ضغط تستخدمها الدول الغنية لتحقيق أغراضها وتنفيذ سياساتها، وبيع وتجريب أسلحتها، وسوف لا تحل مشكلة أفريقيا إلا بالمساعدات الإنتاجية والفنية، وحين يدرك الأفريقيون أنفسهم الأسباب الحقيقية الكامنة وراء مأساتهم ■■

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

المشرف العام

عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود

President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير

يوسف عبدالرحمن المظفر

Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير

عمر عبيد حسنه

Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	٤٤١٥١٠
رئيس التحرير	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	٤٤٧٣٠٠
تلكس	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	الأمة الدوحة
ص . ب	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 441510	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صورة الغلاف

■■ في الوقت الذي نسمع فيه مخاطر المجاعة تهدد « **مالي وساحل العاج والسينغال وإثيوبيا** » لا تزال المشكلة الأساسية أمام المزارعين الأمريكيين هي : التخلص من الفائض الكبير من القمح ... وبالرغم مما قيل عن مشكلة التزايد السكاني وأزمة الجوع ، فإن الأرض يبقى في مقدورها أن تنتج الغذاء الكافي لمجموع سكان العالم ، بل إنها حسب الإمكانات المتوفرة يمكن أن تنتج الغذاء لعشرة ملايين من البشر .... (ص : ٧٦) ■

□ **الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز** □

الإخراج الفني **مجدي نجيب**

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً أو ١١ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها .
- في الأمريكيتين وأوروبا واستراليا ١٢ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ **ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة** ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ ــ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات
السعودية	٣	ريالات
الكويت	٢٠٠	فلس
البحرين	٢٠٠	فلس
الامارات	٣	دراهم
عمان	٢٠٠	بيسة
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس
العراق	٢٠٠	فلس
الأردن	٢٠٠	فلس
سوريا	٢٠٠	قرش
لبنان	٢٠٠	قرش
مصر	٢٠٠	مليم
السودان	٢٠٠	مليم
ليبيا	٢٠٠	درهم
الجزائر		ديناران
تونس	٢٠٠	مليم
المغرب		درهمان
دول آسيا وأفريقيا		نصف دولار أمريكي

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي أو ما يعادله .

في هذا العدد

- كلمـــــة الأمـــــــة ٤
- مجتمعنا الإسلامي : كيف بدأ وكيف تحول ؟!
  .... الشيخ محمد المجذوب ٨
- ربيع المنهج الإسلامي (شعـر) .... شريف قاسم ١٣
- الفكر المعاصر وسوق الشعارات .... الدكتور نجيب الكيلاني ١٤
- بطاقـــــة من قـــارىء ١٦
- الإصلاح العقابي في الدولة الإسلامية الدكتور احمد علي المجذوب ١٧
- حديقـــــة الأمـــــة ٢٠
- الحركة الحضارية وغياب المشاركة الإسلامية ..... عبد القادر عبّار ٢٢
- التكافــل الاجتمـــاعي .... الدكتور إبراهيم علي ابو الخشب ٢٤
- (عـــالم وكتـــاب) :
  الرجراجي وكتابه « هداية من تولىٰ غير الربّ المولىٰ »
  .... الدكتور محمد عبد الحميد عيسىٰ ٢٦
- هنيئاً أمّة القرآن (شعـر) .... عبد الرحمن البجاوي ٣٢
- (صفحـــة من كتـــاب) :
  السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي الدكتور مصطفى السباعي ٣٣
- الإسلاميـــة والشعــر الحديـث ....محمد عروي ٣٤
- التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية
  .... الدكتور حامد صادق قنيبي ٣٨
- العلـــم والحيـــــاة ٤٣
- ثلاثة عشر وساماً (قصة قصيرة) .... احمد محمود مبارك ٤٦
- تصريحـــات وأقـــوال ٤٨
- (نـــدوات ومؤتمـرات) :
  التوجهات الإسلامية في تاريخ الخليج الحديث ٤٩
- البصـــــر .... الدكتور نبيل سليم علي ٥٢
- فقه المرحلة والانتقال من المبادىء إلى البرامج
  في حوار مع الدكتور حسن الترابي [٢] ... أجراه : عمر عبيد حسنة ٥٦
- (الأسـرة المسلمـة) :
  أين المـــرأة المسلمـة ؟ .... السيدة حنان لحام ٦٣
- (اســـتطلاع) :
  تركيا : التاريخ والمستقبل .. التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية ٦٥
- مأساة البلدان النامية : الجوع في عالم الوفرة .... كامل حسن ٧٦
- شـــؤون المسلمــين في العـــالم ٨٠
- بريـــد الأمّـــة ٨٧
- بأقـــلام القـــراء ٩٠
- مع الصحافـــة في العـــالم ٩٢
- مسابقـــة العدد الثاني والخمســين ،
  وحل مسابقة العدد الخمسين وأسماء الفائزين ٩٤
- (خواطـــر وأفكـــار) :
  هجـرة الأدمغـة العربيـــة .... الدكتور يحيىٰ جبر ٩٦

فقه المرحلة ، والانتقال من المبادىء إلى البرامج في حوار مع الدكتور حســن الترابي

■ الحرية لازمة من لوازم التوحيد ، وضرورة من ضرورات تنمية التديّن لا بد أن نهيء لها المسلمين اليوم لأنهم لم يتهيّؤوا لهذا القدر من الحرية ، فقد عهدوا في تاريخهم ـ السياسي والاجتماعي ـ قدراً كبيراً من الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي ، ولا بد من التحقق بقدر كبير من الحرية يميّز التوجه الإسلامي عن الأنماط الأخرىٰ التي أهدرت إنسانية الإنسان .. حتى تلك التي تنسج على منوال أوروبا فإنها تتهم الشعوب بوعيها وبقدرتها على التعامل مع جو الحرية .. فتأخذهم بلون من الاستبداد .... (ص : ٥٦) ■

(عــــالم وكتــــاب) : الرجراجي وكتابه : « هداية من تولىٰ غير الربّ المولىٰ »

■ اهتم علماء المسلمين بالكتابة في مجال « تربية السلاطين » إلى درجة أصبح معها هذا المجال فناً من فنون ثقافتهم ، وعلماً يرتبط بأسمائهم دائماً ، وقد وُجد هذا النوع من الكتابة في الفنون الأوروبية ، الأمر الذي يحتاج إلى دراسة مستوعبة تبيّن لنا مجالات التأثر والاستفادة .... (ص : ٢٦) ■

(تركيــا ... التــاريخ والمستقبل) التواصــل الثقــافي عبر المؤسسات القرآنيــة

■ إن المنطلق الصحيح يقضي بألاّ نفسر أسباب التخلف والانهيار ـ الذي أصاب الدولة العثمانية ـ بفعل عناصر خارجية ، كالاستعمار واليهودية والصليبية ، وإعفاء المسلمين أنفسهم من أية مسؤولية ، ذلك لأن التهديد الخارجي للكيان الإسلامي قائم لم ينقطع في أي زمان ومكان ، بل إن الدولة العثمانية ذاتها استعصت على هذا التهديد زمناً طويلاً ، فكانت منيعة بقدر التزامها بالعقيدة ، تتوسع وتنتصر .. إلى أن انحرفت عن منهج الله .. ووقع السقوط .. لكن ذلك لم يسقط القضية الإسلامية فاستمر التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية .... (ص : ٦٥) ■

كلمة الأمة

قبسات

□□ أشرنا في العدد السابق إلى أنه من الأمور التي أصبحت حقيقة لا مراء فيها أن نهوض مجتمع المسلمين اليوم لا يمكن أن يتم إلَّا من خلال توفير الظروف والشروط العامة نفسها التي تم فيها ميلاده ؛ وهذا يعني أن أية محاولة للبعث وإعادة بناء المجتمع الإسلامي الجديد لا يمكن أن تتحقق بتجاهل الشروط والظروف العامة والبنية الأساسية التي تشكلت من خلالها الفكرة الإسلامية والقاعدة التأسيسية للمجتمع الإسلامي الأول ، كما أن أية نهضة إسلامية لا يمكن أن تؤسس على أصول غريبة عنها ، وهذا يعني - ببساطة - أن فترة القدوة هي فترة السيرة فقط ابتداءً من الخطوة الأولى في غار حراء بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق : ١) حيث جعلت القراءة مفتاح الأمر كله ، وانتهاء بيوم الحج الأكبر ؛ حيث استقرت الأحكام واكتمل الدين بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) والآية الأخيرة التي نزلت قبل انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بأيام : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨١) ذلك أن هذا الرصيد الضخم من المبادىء والممارسات - التي تمت على عين الوحي وتسديده - لا بد لحراستها الدائبة وعدم الخروج عليها من التقوى واستشعار المسؤولية واستحضار البعد الإيماني □□

من هنا فنحن مدعوُّون دائماً للعزمة الصادقة في العودة إلى التأسي والاقتباس من المرحلة التاريخية التي تم فيها ميلاد المجتمع الإسلامي الأول - مرحلة السيرة - وإدامة النظر في الظروف والشروط التي تم فيها ذلك الميلاد ؛ لنؤسس على ذلك نهوض مجتمعنا من جديد ؛ ولن يتحقق لنا ذلك إلَّا بالدراسة التحليلية للسيرة النبوية التي نستطيع من خلالها أن نمتلك الرؤية الإسلامية الشاملة التي تكسبنا تعدية الرؤية ، والقدرة على الحكم على الأشياء المستجدة ، والتعامل مع الظروف المتبدلة ، وإنزال القيم الإسلامية على واقع الناس ، والوقوف على منهج أصول الدعوة الإسلامية ، وفقه مراحلها ، واستشعار أهدافها ، وتصور مقاصدها العامة لتكون دليل عمل ، وضابط سلوك وكوابح لردود الأفعال ، فلا تغيب الأهداف ، ولا تتعطل المقاصد ، ولا تُفْتَقَدُ الحِكَم من خلال دفقات الحماس ، واهتياج العواطف ، واستعجال النتائج ، وتجاهل سنن الله في التدرج والأجل ، والقراءة الخاطئة ، وضغوط الصور غير الإسلامية .

وهناك حقيقة لا بد من تأكيدها والتنبه إلى أهميتها ، وهي أن لهذه الفترة من حياة المسلمين - فترة السيرة - قدسيتها وعصمتها ، ذلك أن رعاية السماء كانت مستمرة ، وتسديد الوحي كان مرافقاً لكل خطوة وخلجة نفس ، وهذا لم يتأتَّ ولن يَتَأتَّى لأية مرحلة تاريخية أخرى من حياة الأمة المسلمة ، ذلك أن الممارسات الإسلامية والتطبيقات الإسلامية فيما وراء ذلك لا تخرج عن كونها محاولات بشرية محكوماً عليها بالخطأ والصواب من خلال ما توفق باقترابها وابتعادها من مرحلة السيرة ، مرحلة الاقتداء ، إنما تبقى تاريخاً يمد المسلمين بالدروس والعبر بعيداً عن التشريع ، وتحقق صور الاقتداء الذي يختص بهذه المرحلة دون غيرها ... وبذلك يتحقق لنا اللقاء على الأصول الجامعة ، ويتوقف الانتصار والتعصب لأية دولة أو جماعة سواء أكانت تاريخية أو معاصرة تختلف في تقويمها وجهات النظر .

من هنا نقول : إن إدامة النظر في الظروف والشروط التي رافقت ميلاد المجتمع الإسلامي الأول - مجتمع القدوة - يكسبنا القدرة على تعدية الرؤية والاهتداء بقبسها ، ويغني تصورنا بالكيفيات التي تمكننا من الحكم على الواقع ، ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فإذا لم نتحقق بالتصور السليم للظروف والشروط والممارسات للفترة المعصومة التي تم فيها ميلاد المجتمع الأول ، فكيف يمكن لنا أن نحكم على واقعنا ونحاكمه على ضوء ذلك ؟! وهذا لا يعني بحال القفز من فوق التاريخ الإسلامي أو التاريخ العام ، وعدم التبصر بالحركة التاريخية واستفادة الدروس والعبر من صواب وخطأ المحاولات البشرية...

إن السيرة النبوية مرحلة تشكل بالنسبة لنا أنموذج الاقتداء الوحيد الذي يجب أن يحتذى ، والمعالم ووسائل الإيضاح للاهتداء على ضوئها والسير بوحيها ، لذلك نقول : إن تلك القدسية لا يمكن أن تكون لأية فترة ماضية أو حاضرة أو

٢
من موقع القدوة

مستقبلة، والعصمة لا يمكن أن تتحقق لأي شخص أو جماعة أو مؤسسة ـ مهما كانت جادة في التأسي والاقتداء ـ لتوقف تسديد الوحي، ولأن البشر ـ أفراداً وجماعات ـ يجري عليهم الخطأ والصواب، ولا تؤمن عليهم الفتنة.

إن عدم إدراك هذه الحقائق أوقع الكثير من الدارسين والباحثين بمغالطات وأخطاء على غاية من الخطورة عندما حاول بعضهم إسقاط حوادث السيرة والأزمنة التي حكمت مراحلها ـ وهي التي لا تتكرر بذاتها كما أسلفنا، وإنما الاهتداء بها والاقتداء والتأسي هو المطلوب دائماً ـ على سلوك أشخاص وأوضاع وجماعات وكيانات، ويجعل منهم محلاً للأسوة والاقتداء، وليس هذا لأحد سوى المعصوم، ولا لمرحلة سوى السيرة النبوية.

ولا أزال أذكر بكثير من الألم والمرارة أحد الخطباء عندما حاول القيام بعملية الإسقاط التاريخي ـ إن صح التعبير ـ حيث كان ذلك مترافقاً مع حوادث الاضطهاد والاعتداء على بعض العاملين للإسلام، بقوله عنهم بعد أن عَرَضَ للعذابات التي تقع عليهم من الظالمين: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض» دون أن يدري أن هذه الخاصية تفرد بها البدريون دون سواهم من الأصحاب، على الرغم من المعارك الكثيرة والضحايا الكبيرة في الغزوات الإسلامية والفتوحات الإسلامية، تفردت بدر بذلك لأن شهودها كانوا هم أجنّة المجتمع الإسلامي المنشود، والبذور التي نمت من خلالها دوحة الإسلام، وكانوا فيما بعد وسيلة التمكين له في الأرض... إن هذه الخاصية لم تتحقق لمن شهدوا غزوة أُحد والخندق وحنين وتبوك وغيرها... فكيف يمكن أن نسقطها على أفراد وجماعات تُصاب في سبيل الله، ولها أجرها إن شاء الله تعالى، لكن موتها واضطهادها لا يعني بحال أن الله لن يُعبد في الأرض؟! وقد أتم الله دينه، وتعهد بحفظه وخلوده، وختم النبوة بالرسول الكريم ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) و ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠) وما موقف هذا الخطيب لو هلك هؤلاء واستمرت عبادة الله تعالى في الأرض، وهي مستمرة بعونه تعالى؟!

وقضيـــة أخرى يمكن أن تشكل أنموذجاً آخر للفهم؛ فقد قرأت عند بعض من كتبوا في السيرة النبوية حديثاً ـ في محاولة لاستكناه المنهج الحركي للسيرة النبوية ـ محاولات لإسقاط أحداث السيرة على سير بعض الأشخاص والجماعات والانتصار لفهمها ومنهجها، حيث يرى فيها حركة الأمة الإسلامية، وعلى الرغم أنه لم يتح لنا بعد قراءة المؤلَّف كاملاً، ولكن نقـــول هنا: أليس من الخطر مجرد التفكير بأن انتظام أي مسلم ـ كائناً من كان ـ اليوم في جماعة ـ كائنة من كانت ـ يقاس بخروج سيدنا حمزة رضي الله عنه من الكفر إلى الإيمان، أو أن استشهاده رضي الله عنه الذي أخبر عنه المعصوم ﷺ بأنه سيد الشهداء يمكن أن يُسقط على أي إنسان لأي سبب مهما كان فضله وجهاده وعلمه وعطاؤه، فالله أعلم به، ونرجوا الله له ولغيره أن يكونوا من الشهداء الأبرار؟! لكن ما أظن أنه يحق لمسلم ديناً أن يقول: الشهيد، أو المغفور له، أو المرحوم، أو ما إلى ذلك، وإنما سبيل المسلم الدعاء لموتى المسلمين... فيقول: رحمه الله وغفر له ورزقه الشهادة في سبيله... إلخ.

وقد يكون من الأمور الخطيرة أيضاً المسلك الانتقائي، ومحاولة أخذ جزئية أو موقف من السيرة وقطعه عن سياقه وظروفه وشروطه وموقعه من الصورة الكليّة، ومن ثم توظيفه وإسقاطه على حادثة أو قضية من القضايا المعاصرة، وهذا فعل كثير من الذين أتقنوا صناعة المبررات «وفبركة» المُسَوِّغات من فقهاء وعلماء سلاطين الاستبداد السياسي والتحزب السياسي على حد سواء، حيث يعمدون إلى كتب السيرة، يقلبون فهارسها ليقعوا على حادثة يمكن أن تبرر وتسوغ ما طُلب إليهم تسويغه أمام جمهور المسلمين فيكون التضليل، ويكون الضلال... وقد يقع هؤلاء في مفارقات محزنة حيث يوظفون الحادثة نفسها لموقفين متناقضين، فنجد الإسلام على أيديهم يحرم الصلح مع الأعداء ـ أعداء الدين ـ ولذلك فتاواه ومسوغاته، وتارة أخرى يبيح التحالف والصلح اهتداء بفعل الرسول ﷺ بصلح الحديبية...

إنها المواقف الانتقائية التي تنقلب السيرة معها، من دافع إلى النهوض إلى مانع منه، تقر الواقع وتكرسه وتضفي عليه صفة الشرعية الإسلامية، ولعل في هذا من الخطر ما يفوق العمل على إقصاء الإسلام صراحة، ذلك أن تعطيل فاعلية الإسلام وهديه

قبسات

أخطر من محاولات إقصائه وترك الناس في حالات من العجز والإحباط، حيث لا تتحقق النتائج التي سلكوا لها سبيل الإسلام.

نعود إلى القـول: إن الفترة التاريخية المعصومة التي تشكل مرحلة الاقتداء والتأسي والقبس المضيء هي مرحلة السيرة، وإن أصول الدعوة ووسائلها وأهدافها ومقاصدها وتحديد الفهم الصحيح لها مركوز في السيرة العملية، فهي المعين الذي يمد الدعوة ويحصّن الدعاة بدروس العبر وضوابط النصر والظفر، ولعلّ في توقف الرسول ﷺ واستمرار الرسالة معنى واضحاً ... إنها الحقائق التي يجب أن تستوعب ويتعامل على ضوئها مع كل المواجهات التاريخية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يعني ـ من بعض الوجوه أيضاً ـ القدرة الإسلامية على تنزيل القيم على واقع الناس، وحسن التعامل مع السنن التي تحكم الحركة التاريخية من خلال الرصيد الضخم من الدروس والعبر التي شهدها عصر الرسول ﷺ، في إطار المحاولة الإسلامية التي لا تعني الإسلام على كل حال. والنماذج التي سنعرض لها سوف نحاول أن تكون من مواقع متنوعة علّها تكون معالم هادية على طريق الجيل المسلم ...

ولعلّ أولى هذه المعالم، التي كانت من الأبجديات الضرورية للعمل الإسلامي، والتي لا بدّ من إدراكها ابتداء: تميز طريق النبوة بوسائله وأهدافه وممارساته عن طريق المُلك، وهذا لا يعني أن الإسلام عقيدة لا شأن لها بتنظيم الحياة، وإنما يعني أنه تنظيم للحياة متميز بالهدف والوسيلة والممارسة، فقد نخطىء القراءة وبالتالي نخطىء الفهم والممارسة وتتداخل الأمور في الطريق إلى تحقيق الهدف، فيصبح التميز لفظاً بلا معنى واسماً بلا مدلول، وبذلك تختلط الممارسة فتتحول النبوة إلى ملك، والهداية إلى جباية، والاحتساب إلى احتراف؛ يقول ابن إسحاق:

[اجتمع زعماء قريش بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد ـ ﷺ ـ فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا، فبعثوا إليه، أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهم. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم ... وكان مما قالوا: فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُك علينا، وإن كنت تريد ملكاً مَلَّكْناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. فقال لهم: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فَبَلَّغْتُكُمْ رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبرْ لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم»].

لقد كانت هذه المعالم واضحة من بداية الطريق، ترافقت مع خطوات الدعوة الأولى، ولازمتها حتى المواقع الأخيرة، وكانت الاستجابة واحدة في حالات الضعف وحالات القوة على السواء ... قال ابن إسحاق بمناسبة فتح مكة: [حدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ـ فتح مكة ـ حتى إن عُثْنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ...

أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أن يدخل مكة في بعض الناس من كدىً، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء، قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة (ولعلّ سعداً رضي الله عنه رأى بطبيعته البشرية أنه يوم الجزاء والعقاب لمن حملوا الأذى للإسلام والمسلمين إحدى وعشرين سنة، لكن للنبوة موقعاً آخر ومنطلقاً آخر وفلسفة أخرى)، فسمعها رجل من المهاجرين ـ عمر بن الخطاب ـ فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة. فقال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: «أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها» ـ وفي رواية أنه دفع الراية إلى قيس بن سعد بن عبادة ـ ويروى أن الرسول ﷺ استدعى سعداً وقال له ـ مسدداً طريقه، موضحاً له طريق النبوة ـ: «اليوم يوم المرحمـة» ...] والفرق كبير بين الملحمة التي تنسب إلى الملك، وبين المرحمة عطاء النبوة ...

ومعلمـة أخرى:

٢

من موقع القدوة

... قال أسامة بن زيد رضي الله عنه : فأتيتُ النبي ﷺ ، وقد أتاه البشير بالفتح ، فإذا هو متهلل الوجه ، فادناني منه ، ثم قال : « حدِّثني » . فجعلت أحدثه ، فقلت : فلما انهزم القومُ أدركتُ رجلاً وأهْوَيْتُ إليه بالرمح ، فقال : لا إلـه إلاّ الله ؛ فطعنتُه فقتلتُه . فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : « ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إلـه إلاّ الله ؟ ويحك يا أسامة ، فكيف لك بلا إلـه إلاّ الله ؟ » فلم يزل يرددها عليَّ حتى لوددتُ أني انسلخت من كلِّ عمل عملتُه ، واستقبلتُ الإسلام يومئذ جديداً ؛ فلا والله لا أُقاتل أحداً قال لا إلـه إلاّ الله بعد ما سمعت رسول الله ﷺ .

وفي رواية أخرى : قال أسامة رضي الله عنه : لا أقاتل رجلاً يقول : لا إلـه إلاّ الله أبداً . فقال سعد بن مالك رضي الله عنه : وأنا والله لا أقاتل رجلاً يقول : لا إلـه إلاّ الله أبداً . فقال لهما رجل : ألم يقل الله ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ؟ فقـالا : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله ...

وهذه معلمة من تسديد الوحي ، وبيان وسيلة الداعية وخصائصه ، قال ابن إسحاق : [وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فَجُدِع أنفه وأذناه ... فلما رأى ما رأى قال : لولا أن تحزن صفية ، ويكون سنَّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثِّلن بثلاثين رجلاً منهم ...

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثِّلَن بهم مُثْلة لم يمثِّلها أحد من العرب ...

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال : لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغْيَظ إليَّ من هذا ؛ ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله عز وجل أنزل في ذلك (في النهي عن المثلة) من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل : ١٢٥ ـ ١٢٨) فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ونهى عن المثلة]

لقد سدَّد الوحي طريق النبوة ورعاها ، وبيَّن وسيلة الداعية وأنها ﴿ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وكان لا بد من التدرج في الموقف ، فبعد بيان وسيلة الداعية انتقل إلى تأكيد العدل وهو التماثل بين العقوبة والجريمة ، ﴿ ...فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ... ﴾ ثم كان الندب إلى الصبر ، وهو مقام الإحسان الذي يليق بالنبوة ﴿ ... وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ... ﴾ ثم كان الأمر بالصبر للاحتساب ... ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

ويوم الفتح ، قال رسول الله ﷺ : يا عبَّاس ، احبسه ـ يعني أبا سفيان ـ بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ... حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم إلاّ الحدق من الحديد ، فقال أبو سفيان : سبحان الله ، يا عباس من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، قال : والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلْكُ ـ كذا ـ ابن أخيك الغداة عظيماً . قـال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوّة ...

نعم إنها النبوّة وليست الملك ، النبوة في الهزيمة ، والنبوة في النصر ، النبوة في الضعف ، والنبوة في القوة ، المرحمة وليست الملحمة ، الهداية وليست الجبابة ... فهل نعيد النظر في التحقق من الأهداف والمقاصد التي نعمل لها ؟ وهل نختبر الوسائل والممارسات التي نعتمدها لتحقيق هذه الأهداف ؟ وكأن المطلوب إلينا اليوم أن نعيد النظر في المواقع التي ننطلق منها فننظر بعين العبَّاس رضي الله عنه حيث لا يزال كثير منّا يقع في نظرة أبي سفيان أثناء الفتح ، فتكون الدعوة إلى الإسلام ـ وسائل وأهدافاً ـ على ميراث النبوة ، ويكون شعار دعوتنا وممارساتنا : إنها النبوّة وليست الملك .

المجتمع الإسلامي كيف بدأ وكيف تحول وما السبيل إلى

■■ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل . فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل .. وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين . قالوا : يا رسول الله لِمَ ؟ .. قال : « لا تراءى ناراهما .. » .

أخرجه أبو داود في السنن آخر كتاب الجهاد ، وذكر أن جماعة رووه مرسلاً . وقال المنذري في مختصره : وأخرجه الترمذي والنسائي . وظاهر من السياق سبب وروده ، وذلك أن سرية لرسول الله ﷺ أغارت على مشركين من خثعم ـ وكان فيهم بعض المسلمين ـ فلما وقع السيف في القوم لجأ هؤلاء إلى الصلاة لينقذوا أنفسهم من القتل بحق الإسلام ، ولكن ذلك لم ينفعهم إذ أخذتهم سيوف المسلمين . ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ لم ينكر على جنوده فعلهم ، بل أنكر على أولئك المسلمين إقامتهم بين المشركين حتى أُخذوا بجريرتهم ، ولذلك حكم لهم بنصف العقل ـ الدية ـ لأنهم كما يقول الشراح أعانوا على أنفسهم ، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه وجناية غيره ، فسقطت حصةُ جنايته من الدية .

وفي هذا الحديث الشريف عدد من الأحكام الشرعية لا غنى للمسلم عن معرفتها والتفطن إلى مراميها القريبة والبعيدة ، بل إن حاجتنا إليها هذه الأيام أكبر من أن يحاط بها في مقال أو بحث ، لذلك سنقف منها على بعض الجوانب شديدة المساس بحياة المسلمين في مرحلتهم الراهنة ■■

أول ما يواجهنا مما نحن بصدده ذلك النذير المخيف في إعلانه ﷺ براءته من كل مسلم يقيم بين المشركين وهو قادر على مفارقتهم ، ونحن لا نعلم سبب وجود هؤلاء المسلمين مع أولئك المشركين أثناء الغارة : فربما كانوا أسارى لديهم ، وربما كانوا تجاراً نزلوا بهم .. ومهما يكن ذلك السبب فالنكير لاحقٌ بهم لأنهم لم يبذلوا وسعهم للتخلص من جوارهم ..

ثم يأتي تعليله ﷺ لذلك التشديد في التحذير من مخالطة المشركين بقوله : « لا تراءى ناراهما » ، وقد تعددت أقوال العلماء في المراد من ترائي النارين ، ولعل أقربها إلى المفهوم العام أن على المسلم أن يبالغ في مباعدة المشركين حتى لا يرىٰ كل من الفريقين نار الآخر . وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للتقارب بينهما ألوان من المحاذير لا يعذر المسلم بجهلها أو التهوين من شأنها ..

وقد برز هذا المعنى جلياً في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء : ٩٧) .

وقد رُوي من عدة وجوه أن الآية نزلت في قوم من أهل مكة ، كانوا يستخفون بإسلامهم ، فأخرجهم المشركون إلى بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت الآية الكريمة عامة في كل من اقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع .

وقد وصف الله هؤلاء بظلمهم أنفسهم لمجرد تخلفهم عن مفارقة البيئة الكافرة مع توافر القدرة لديهم على الخروج ، وإنما آثروا البقاء تهرباً من مسؤولية التعاون مع المؤمنين ، أو تطلباً لمصلحة شخصية يخشون فواتها ونحو ذلك من ضروب المعاذير ..

ويحاول هؤلاء الاعتذار للملائكة بما يزعمون من الضعف ، ولكن الملائكة يرفضون اعتذارهم بما كان أمامهم من سعة في الأرض لم يجربوا الاستفادة منها للفرار بدينهم .. ثم يأتي حكم الله عليهم بالمصير المقرر للظالمين : ﴿ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ .

وروى النسائي من حديث بهز بن حكيم عن جده أن رسول الله ﷺ قال له : « لا يقبل الله من

تصحيح مسيرة؟

بقلم : محمـــد المجـــذوب

مشرك ، بعد ما يسلم ، عملاً ، او يفارق المشركين إلى المسلمين » وذكر أبو داود من حديث سمرة عنه ﷺ : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » (مختصر وشرح وتهذيب أبي داود : ٤٣٧) .

وهكذا تتضافر الآثار من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بما لا يدع مجالاً للتردد على تحريم إقامة المسلم بين غير المسلمين ، إلَّا من سدت بوجوههم المنافذ فلا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً .

كيف كنا وكيف تحولنا ؟

ولقد التزم المسلمون ذلك التوجيه فلم يعدلوا بمجتمع الإسلام مكاناً ، واستمر هذا بعد غزوتي بدر وختمهم إلى عهد عمر رضي الله عنه حيث استبحر الفتح ، وانتشرت الجيوش الإسلامية في فارس والشام ومصر ، فكان طبيعياً أن تحدث المخالطة بين جنود الفتح وطوائف الأعاجم ، وأن يطلع المسلمون على الكثير مما لم يألفوه من عادات هؤلاء وأخلاقهم وأزيائهم ، ولم ير بعضهم بأساً في اتخاذ بعض هذه الأزياء . فما أن بلغ ذلك الفاروق حتى كتب إليهم : (إيَّاكم وزي اهل الشرك) وبالإسناد عن الثوري .. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (من بَنى ببلاد الأعاجم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة) .

وقد تعددت موارد هذا الخبر عن عبد الله بن عمرو باللفظ نفسه وبأسانيد صحيحة ، وهو من الأخبار التي تعتبر بمنزلة الحديث المرفوع لاحتوائها على مُغَيَّب لا يُعلم إلَّا عن طريق الوحي ... وعقب شيخ الإسلام ابو العباس بن تيمية عليه - في « اقتضاء الصراط المستقيم » بقوله : وهذا يقتضي جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور ، او جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار (ص ١٢٥ و ١٩٩ - ٢٠١) .

وفي رسالة عمر رضي الله عنه إلى سعد يقول له : (وترفق بالمسلمين ... ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من اصحابك إلَّا من تثق بدينه ...) (جمهرة رسائل العرب : ٢٣٤/١) ، والموثوق بدينه عند عمر هو الفقيه المدرك لخلفيات الأحداث والظواهر ؛ وإنما يريد بذلك صيانة المسلمين من الخلطة التي تفتح المنافذ لتسرب الأخلاق الأجنبية إلى طبائع المسلمين ، الذين يعتبر الفاروق استبقاء سلامتهم الفطرية من أهم أسباب التميز عن أولئك الذين أفسدهم الترف ، واستذلتهم الشهوات ..

لقد كان الفاروق وإخوانه من أهل الصف الأول يدركون من خلال الرؤية الإسلامية أن مهمة المسلمين بإزاء العالم القديم الذي يواجهونه ، مهمة الطبيب الذي يواجه مجتمعاً يجتاحه وباء عارم جارف ، وليس لهذا المجتمع من معين بعد الله سواه ، فأول واجباته إذن هو الحفاظ على نفسه من سريان العدوى إليه لكي يتمكن من مكافحة الوباء .. إلَّا أن هذه السياسة اليقظة لم تُعطَ فرصة الاستمرار إلَّا ريثما تسلل العنصر الأعجمي إلى ميدان السلطة ، فإذا هو يفرض عاداته وتقاليده وألوان حياته الكسروية على حرم الخلافة ، ثم يأخذ سبيله من هناك إلى معظم الأوساط من مجتمعات المسلمين .. ثم ما هي إلَّا سنون بعد سنين حتى صارت الدولة كلها - كما يقول بعضهم - : أعجمية الوجه عربية اللسان ..

الأزياء ، والمساكن ، والأطعمة ، والفنون ، والمتع المختلفة ، حتى الأنظمة العسكرية .. كل ذلك قد استحال صورة مجسمة لأخلاق العجم ، ومواريثها الاجتماعية .

وقد هيأ ذلك التحول الأسباب اللازمة لقبول الأفكار الأجنبية ، ليس في نطاق العلوم المادية وحدها بل في الفلسفة والأخلاق أيضاً ..

وهكذا تعرضت الدولة الإسلامية العباسية ، ثم الأندلسية فيما بعد ، لأحكام النظام الإلهي الذي حطم صروح الدول السابقة بسبب انصرافها عن الحق إلى العبث ، فزالتا كما زال من قبلهما ... ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب : ٦٢) .

المسلم قاضٍ وشهيد

على أن تساؤلاً لا بد أن يتحرك في خاطر كل ذي لب بإزاء هذا التوجيه الإسلامي لصيانة الذات المسلمة من مخالطة غيرها ، أهو قضاء مُلزم في كل زمان ومكان .. أم تراه ضرورة مقترنة بمواقف خاصة تزول بزوالها ، وتثبت ببقائها ؟ .

قد يقول قائل : كان ذلك الفصل بين المسلمين وغيرهم في صدر الإسلام من الضرورات الحاسمة ، إذ كانت الأمة حديثة العهد بالخروج من متاهات الجاهلية ، فلا مندوحة للقيادة عن تأمينها ضد كل ما هو مباين لروح الإسلام ، ومن ذلك التوكيد على امتيازها ، والتحذير من التفريط بهذا الامتياز الرباني .. ولكن استمرار الاعتزال بعد رسوخ المعاني الإسلامية مناف لطبائع الأشياء ، إذ يستحيل على الفرد ، فكيف بالأمة ، الانفصال الدائم عن الجماعات الإنسانية الأخرى .. فلم يبق إلَّا أن يكون لهذا الفصل صفة التوقيت على قدر الحاجة .

والحق أن الأمر باجتناب معايشة المشركين من العزائم التي لا رخصة فيها .. كما يتضح من القرآن والسنَّة .. وذلك لتعلق الموضوع بقضية الكيان الإسلامي ذاته ، ذلك الكيان المتفرد بخصائصه وحضارته ومسؤوليته نحو الحياة والانسان .

يقول ربنا تبارك وتعالى في وظيفة المؤمنين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

ويقول سبحانه في تحديد هذه المسؤولية ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

فالمجتمع الإسلامي هو الذي وقع عليه الاختيار الأعلى ليكون شهيداً لله على عباده ، وإنما جعل الرسول شهيداً عليه تبياناً لجلال المهمة التي شُرِّف بها ، فهو من أجل ذلك جد حريص على تحقيق مهمته على الوجه الأكمل ، تقديراً للتشريف الإلهي ، وحفاظاً على مرضاة الله سبحانه وتعالى .

ومن فضل الله على هذا المجتمع أن زوده بالوثيقة العاصمة التي تضيء له السبيل لتحقيق مهامه في التعامل مع الخلق ، فهي الحق الثابت الذي بِهِ يعرف الصحيح من الفاسد ، والأصيل من الدخيل ، وما خالفه من قول او عمل فهو حصيلة الأهواء الصارفة عن الحق .

ومن هنا تتحدد صلة المسلم بالناس ، على أنها صلة تبليغ وشهادة وتصحيح ، فلا بد له والحالة

مجتمعنا الإسلامي كيف بدأ و كيف تحول

هذه من التحفظ في معاملتهم ، كما يجب على القاضي العادل ، الذي يعلم أنه يعرض كرامة القضاء للهوان ، ويُطمع بحيفه كل ذي زيغ ، إذا هو أطلق لنفسه العنان ، فلم يكفها عن مقاربتهم ، ولم يكفّهم عن مخالطته .

هزيمة نفسية

على أن هذا لا يعني أبداً أن يقف المجتمع الإسلامي بمعزل عن المجتمعات الأخرىٰ في كل شيء :

فالناس للناس من بدو ومن حضر

بعض لبعض وإن لم يعلموا خدم

فهناك الصلات الدبلوماسية والعلائق التجارية ، والروابط الصناعية .. وعشرات الأسباب الدافعة إلى التلاقي .. فما موقف المجتمع المسلم من ذلك كله ؟

إن الجواب على ذلك ذو صلة وثيقة بقيمة الشخصية لدىٰ المسلم .. فكلما كان أعمق تفهماً لدينه واعتداداً بفضائله كان أقدر على الانتفاع بكل ما يمر به من أحوال الشعوب سلباً وإيجاباً ، فمثله كمثل الجسد السليم يستحيل فيه الميكروب غذاءً نافعاً ، على حين يكون في أجسام المرضى بلاءً ووباءً .

ولقد رأينا أمثلة ذلك من أحداث التاريخ ، حيث كان المسلم فوق مغريات الدنيا ، ففي ذاتيته من عناصر القوة ما يعصمه من الانحلال والذوبان في الآخرين مهما يكن شأنهم . وقد تأتي من ذلك أن كان المسلمون أيامئذ هم القوة الفاعلة ، وكان الآخرون في وضع المنفعل بإزائهم ، حتى إذا نظر هؤلاء إليهم ، لم يقفوا عند ظواهرهم من الزي البسيط والصور المألوفة ، بل نظروا إليهم من خلال مآثرهم ، في الأخلاق والتقوىٰ والعلم والتعاون والبسالة الفائقة ، فتموج في صدورهم الأمنيات بأن يرتفعوا إلى بعض مستوياتهم الخارقة هذه .

أجل كذلك بلغ المسلمون من قوة الشخصية في الصدر الأول ، فما كان لشيء أن يصرفهم عن رسالتهم التي هي (إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ..) .

ولكن هذه القوة بدأت بالتقلص منذ اليوم الذي تفتح فيه قلب العربي المسلم لمواريث الأعاجم في طرائق التفكير وفنون اللهو . لقد بُهر بما واجهه من هذا الجانب ، ثم أقبل عليه يُقلب فيه الفكر والبصر ، ثم ما لبث أن مازجه ، حتى انتهى إلى أن صار أخيراً جزءاً لا يتجزأ من حياة الأكثرين .. وبذلك أخذ الانهيار سبيله إلى شخصية الأمة التي ما لبثت أن فقدت أصالة الرؤية ، فإذا هي فريسة للتنازع الذي انتهى بها إلى النكبات المتلاحقة في كل ميدان .

وفي ظل هذه الهزيمة النفسية ينبغي أن يُنظر إلى كل ما أعترىٰ هذه الأمة من التدهور خلال القرون حتى الساعة ، فليس ثمة من نكسة أو محنة تعرضت لها قط إلّا ومرجعها إلى هذا الواقع ، ذلك لأن وعد الله إيّاها بالكلاءة والنصر مشروط منذ البدء بالتزام سبيله ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) وعبثاً يلتمس المريض الشفاء إذا هو أغفل العلاج الذي وصفه الطبيب المجرب الحاذق ، ومضى على هواه في ممارسة كل ما يزيد من بلائه .

ونظرة إلى المجتمع الإسلامي المعاصر تقدم لنا الصورة الشاملة للأخطاء التي لا يبرح يتخبط في ظلماتها منذ وضع قدمه في المنحدر .

وأول ما يواجهك من ذلك الواقع الرهيب زوال الحواجز العاصمة بين الإسلام والكفر .. حيث ترى المسلم فرداً أو جماعة ، ذكراً أو أنثى ، لا يرىٰ أية غضاضة في مشاركة الكافر أساليب عيشه ، بل لعله يرىٰ في ذلك مدعاة للفخر ، لأنه دلالة على تحرره من معوقات التقدم !

وأنت لا تملك قدرة على الإحصاء لأنواع المشاركة هذه ، لأن منها الظاهر الذي يطالعك في الكتاب والصحف ووسائل الإعلام المسموعة والمنظورة .. ومنها الباطن الذي يتمثل بكل ما هو أجنبي .. وإنما جاء التقليد الظاهر ترجمة لذلك الإعجاب ، الذي جره طائعاً إلى التخلي عن الكثير من مقوماته ، التي لا يكون المسلم مسلماً إلّا بها .

ودعني أحدثك هنا عن ظواهر محدودة العدد من تلك المشاركات ، التي لم تعد متروكة للمصادفات يواجهها المجتمع المسلم دون قصد ولا توجيه .. بل لا مندوحة عن الاقتناع أنها مرسومة في دهاليز السياسات الخفية .

[١] مدارس التنصير

منذ استقرت أقدام الفرنسيين في سورية شرعوا في مطاردة الكتاتيب الإسلامية ، وجعلوا يلاحقون الصغار ليسوقوهم إلى المدارس الحديثة .. وما هي إلّا أويقات حتى توارى الكُتّاب نهائياً وأخذت مكانه المدرسةُ الأجنبية .

وكنّا ـ لقصر تجربتنا ـ نحكم على هذا التصرف بالخيرية ظناً منّا أن الدافع إليه فقط هو حب العلم ونشره .. ولكن بطآن ما أدركنا أن الغرض أبعد من ذلك ، إذ جعلنا نحس آثاره في أبنائنا : بعداً عن الدين ، وتعظيماً للكافرين ، وتحبيباً بمسالك المستعمرين ، الذين كان هذا ديدنهم في معظم بلاد المسلمين ..

ومع الاستعمار استبحرت حركة التنصير ، لأنها في الواقع سبقت الاستعمار في بعض الديار الإسلامية ، وقد ركزت بوجه خاص على الأطفال والبنات .. واتخذت إلى ذلك شتى المغريات .

ولم يعد خافياً على ذي حس هول هذه التجربة ، التي تركت في أعماق الأجيال أبلغ الآثار ، وخاصة في مشاعر الانتماء الذي زلزلته التربية الأجنبية ، فأخرجت المسلم من كيان جماعته ، وسلخته من خصائصها ، فهيأته لقبول أي لبوس ، ولعل كثيرين لمسوا مثلنا بعض نتائج هذا الفصام ، في سلوك الناشئين بأحضان هذه « المسالخ » ، **إذ أصبحوا أقرب لموجهيهم منهم إلى ذويهم . وحسبي هنا أن أمثل لذلك بحادثين اثنين :**

أما أحدهما فيوم سمعت طفلة في حوالي العاشرة تحلف بالعذراء والصليب ، فسألت

■ لا نقول بمنع الابتعاث إذا كان هناك ضرورة له ، وإنما نقول بوجوب تحصين البعثات ضد السموم التي أتلفت الكثير من أنسجة الحياة في أجيالنا ■

■ كثير من الويلات التي تصيب عالم المسلمين اليوم سببها البعثات العسكرية التي ذهبت للتدرب على فنون الحرب فغُسلت أدمغتها وعادت إلينا تحمل قيم القوم وتحارب الإسلام وأهله ■

وما السبيل إلى تصحيح مسيرته؟

■ **كلما كان المسلم أعمق تفهماً لدينه واعتداداً بفضائله كان أقدر على الانتفاع بكل ما يمر به من أحوال الشعوب سلباً وإيجاباً ؛ ففي ذاتيته من عناصر القوة ما يعصمه من الانحلال والذوبان .**

■ **مع شمول الخطر التنصيري للجنسين من أبناء المسلمين فقد ضوعف اهتمامهم بالأنثى ؛ لأن إنشاء الفتاة المسلمة على طرائقهم هو السبيل الأقرب لتخريب الكيان الإسلامي .**

عنها فإذا هي من اسرة مسلمة ولكنها شبَّت على مناهج المنصِّرين .

وأما ثاني الحادثين ففي كلام موظف كبير في وزارة المعارف ، وقف ذات يوم في حشد من مرؤوسيه يحاضرهم عن التربية ، وكان مما قاله : أهم واجبات المدرس إزالة الحاجز الطائفي من بين التلاميذ ، حتى لا يشعر احدهم بعازل روحي عن الآخر .

وضرب للسامعين المثل التالي فقال : **كنت وزوجتي في سياحة باليونان ، فلاحظت تحديق الناس بالمصحف الذي تحمله في قلادتها ، فعارضتُ بين سبابتي راحتيَّ حتى اشبها الصليب ، ثم جعلت اقبله لأشعر القوم اننا لا نفرق بين المصحف والصليب ، بل نحترم كلاً من الاثنين على سواء !**

وما أرى حاجة للكلام عن خلفية كل من الحادثين ، فهي إحدى ثمرات المناهج التنصيرية ، التي خربت البيت المسلم في صميمه ، فقطعت وشائجه ، وجردته من كل حصانة ضد المفسدات المهدمات ..

ومع شمول الخطر التنصيري للجنسين من أبناء المسلمين ، فقد ضوعف اهتمامهم بالأنثى على وجه الخصوص ، وأعلنوا في مؤتمراتهم المسكونية أن إنشاء الفتاة المسلمة على طرائقهم هو السبيل الأقرب لتخريب الكيان الإسلامي بأسره[1] .

[٢] الهجرات الدراسية

وحاجتنا إلى علوم الغرب اكرهتنا على الهجرة إليه ، ثم استحالت الحاجة إلى ضرب من التمجيد ، ودفع الكثيرين إلى تغريب أبنائهم لا ابتغاء العلم ، بل منافسة على الشهرة ، فليس بالقليل في نظرهم أن يقال : إن ولد فلان أو أولاده يتلقون دراستهم في أميركا أو بريطانية أو ألمانية أو موسكو ! .. ثم ليكن عقب ذلك ما يكون من ضياعهم أو فسادهم ، أو تنكرهم لقيم امتهم ..

ونحن لا ننكر أن بين هؤلاء المغرَّبين عناصر كريمة استطاعت الحفاظ على ذاتيتها ، فهي في اللهب ولا تحترق .. بل لعلها زادت ألقاً وصفاءً عما كانت عليه في بلدها ، ومرد ذلك إلى عناية الله التي تولتها بالرعاية ، وأحاطتها بالدعاة الهداة ، الذين نثرهم الله في مختلف المواطن ، كما نثر الكواكب في أنحاء السماء ، يضيؤون ويعلمون ويرشدون .. يعلنون في مهاجرهم كلمة الله ، ويرفعون راية الإسلام خفاقة في الشعوب ، التي لم تكن لتعلم شيئاً عنه ، إلَّا عن طريق الأفاقين الأفّاكين من أعداء الحق والخير ..

والمتأمل في واقع هؤلاء الفتية المرابطين في الغرب لا يتمالك من الدهشة تملأ صدره وهو يرى إلى جهادهم المبرور في خدمة إخوانهم المبتعثين من ابناء الإسلام ، وفي تعريف غير المسلمين بما جهلوه وما هم في أمَسّ الحاجة إليه من أنوار هذا الدين .

إنهم بهذا الجهاد الدائب ينهضون متطوعين بالأعباء التي هي من واجبات الدول الإسلامية كلها ، لا يريدون على ذلك جزاءً ولا شكوراً .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا ييسره إلَّا لمن أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى ..

[٣] الأصدقاء الألداء

ولكن ابناءنا المبتعثين للدراسة لا يكادون يطؤون ارض الغرب حتى يجدوا أنفسهم تلقاء (أصدقاء) متطوعين لاستقبالهم وتأمين راحتهم .. وأولى الخدمات التي يقدمونها إليهم إنزالهم على أسرَ أجنبية يجدون عندها كل ما يعوزهم من الطعام والمنام والكلام ..

في هذا الجو الغريب يدرب الطالب المسلم على ما لم يألفه من الأخلاق والسلوك وكل ما يراد له من انواع التغيير ، وقد وصف ذلك احدهم في وقفة مع احد المذيعين في برنامج (على الناصية) سأله المذيع : أراك مسرعاً فإلى أين ؟

— إلى مكتب الخطوط لتأمين سفري إلى أميركة .

— الأول مرة هذا السفر ؟

— كلا .. بل أنا هناك من سنين أداوم على الدراسة .

— هل لك أن تحدثنا عن حياتك في أميركة .. كيف استقبلتها أولاً وكيف اصبحت اخيراً ؟

— لقد استأجرت سكناً لدى إحدى الأسر الأميركية ، فعانيت الأمرين من اختلاف العادات بيني وبينها ، ولكن هذه الوحشة ما لبثت ان تبخرت يوماً بعد يوم حتى امسيت واحداً منهم ..

وطبيعي أنه لم يصر (واحداً منهم) إلَّا بعد أن نجحت الأسرة في ترويضه على طريقتها في الطعام والشراب والسلوك الاجتماعي .. وللقارىء أن يتصور المصير الذي سينتهي إليه يوم يعود إلى أهله وبلده .. وبأية عين سينظر إلى أخلاقنا وتصرفاتنا ، المغايرة لكل ما تشربه في ذلك الوسط البعيد !

[٤] البعثات العسكرية

ولهذه البعثات حديث لا يقل طرافة عن أخبار التنصير والترويض والتغريب ، التي كُتب على أبنائنا وبناتنا أن يخوضوا غمارها دون أية حصانة سابقة .. وأقتصر من موضوع هذه البعثات على الكلمة التالية أنقلها من ترجمتي للمفكر الإسلامي المعروف اللواء محمود شيت خطاب في كتابي (علماء ومفكرون عرفتهم) (ص ٣١٠ ـ ٣١١)

قال لي اللواء وهو يحدثني عن بعثته إلى بريطانية : **(... من المألوف أن يتولى مساعد الكلية تقديم الضباط القادمين من وراء البحار إلى عميدها عقيب وصولهم . وكان هذا العميد احد ابطال العبور إلى النورماندي أثناء الحرب العالمية الثانية ، فجعل يسأل كلاً منا عن حاله وبلده و ... وجاء دوري فسألني : لماذا قدمت ؟ فقلت : لتجديد معلوماتي العسكرية .. فعقَّب على كلامي متهكماً ، بل قدمت لمغازلة الفتيات !..**

وكظمت غيظي وقلت في نفسي : إن هذا يحكم علي بما شاهده في سواي . ولما ذهبت إلى السكن المخصص لي وجدت فراشاً وفتاة تعمل في ترتيب

غرفة نومي، فانتظرت في البهو.. حتى إذا خرجت، سألتني: هل لديك من توجيهات؟.. قلت: شيء واحد هو أن تحضري لأداء مهمتك أثناء غيابي فقط.

واقبل المكلف بإعداد الطعام يسالنا عن الألوان التي نريد، فعددت له المحرمات التي ارفضها، والألوان التي ارغب فيها.. بخلاف رفاقي الذين آثروا الاندماج معهم في كل شيء.

ويقول اللواء: كان «الفرّاش» يلح عليَّ بزيارة منزله كما يفعل زملائي في التردد على مساكن فرّاشيهم، فأرد دعوته بلطف، لأني على يقين أنه وسائر الخدم المخصصين لنا ليسوا سوى جواسيس وموجهين.. وذات يوم جاءني العميد.. وفي أدب بالغ يعرض عليَّ مرافقته في نزهة بين الآثار، وهناك بادرني بالاعتذار عما اسمعنيه في لقائنا الأول، مؤكداً لي العميق من احترامه وتقديره..).

واكتفي بهذه الصورة المصغرة لأوضاع لا تتسع لها الصفحات الكثيرة.. ولنتساءل، كم بين تلك البعثات من رجال استطاعوا ان يقفوا موقف الضابط الإسلامي، ويظفروا من عمدائهم بمثل التقدير الذي استحقه من ذلك العميد الداهية!.

ولا حاجة للإسهاب في الجواب، فالأمثلة ناطقة في واقع المسلمين الذين تقبض على مقدراتهم تلك الأيدي التي تلقت تدريبها وتركيزها في أمثال تلك البعثات.. ولو نسي المسلمون كل مآسيهم لا يحق لهم ان ينسوا بعدُ أن الانقلاب الماركسي الذي يستهدف اقتلاع جذور الإسلام من ارض الأفغان، إنما جاء به ضباط ابتعثوا إلى موسكو للتدرب على فنون الحرب، فغُسلت ادمغتهم هناك من قيم امتهم، وعوضوا عنها بظما لا يرويه إلَّا القضاء على كل رجال الإسلام، وكل فضائل الإسلام.

إنها قضية الإسلام

هذه الحقائق أشهر وأكبر من أن تكابر أو تنكر، فهي بمرأى ومسمع من كل ذي بصر، يشهدها حيث مضى أو أقام من بلاد الإسلام.. ولئن ألفها الأكثرون حتى باتوا منها كالأجرب الذي يمزق جسده بأظافره دون أن يفكر في عواقب إهماله.. أن أولي الوعي من المسلمين هم الذين يقدرون مسؤوليتهم بإزائها، لأنهم يدركون ما وراء تجاهلها والسكوت عليها من سوء المصير..

ولكن.. ما الذي يستطيعه هؤلاء لوقف القطار الزاحف نحو الهاوية؟.. حقاً إن الموقف لمحيِّر بل مذهل، فالزمن يجري بسرعة، والفُرص تتفلت بغير توقف.. وكل تردد في بذل المحاولات الممكنة معقب للندم اللاذع..

وليست القضية قضية شخص يهلك، أو طائفة تنتحر، كما فعل المئات من جماعة (معبد الشعب في (جونز تاون) ولكنها قضية الإسلام الذي لم يبق سواه موئلاً لأمم العالم، التي فقدت الدليل الهادي إلى طريق الخلاص.. افيكتفي أُولو الوعي هؤلاء بالدموع يذرفونها، والدعوات يرفعونها، دون أن يلوِّحوا برايات الخطر لتحذير الركب الغافل من النهاية الرهيبة!..

إن على هؤلاء، في أي موقع كانوا من سفينة الإسلام، أن ينذروا قومهم، فيبصروهم بواقعهم الذي يجهلون، وبالفجائع التي هم عليها مقبلون..

لقد حذَّر رسول الله ﷺ كل مسلم خطر الإقامة بين اظهر المشركين، ايام لم يكن للإقامة سوى صورة واحدة هي مخالطتهم خشية ان تسري عدواهم إلى اخلاق المسلمين.. اما الآن فقد تعددت صور الإقامة حتى تجاوزت الإحصاء..

فمدارس التنصير دار إقامة للفتى المسلم والفتاة المسلمة..

والهجرات الدراسية إلى ربوع الكافرين دار إقامة للطالب المسلم..

والبعثات على اختلاف مسمياتها أشكال مختلفة لهذه الإقامة..

والفنون الهابطة تغزو البلد المسلم، والنفس المسلمة، ملفوفة بأشرطة السينما، أو في معروضات التلفاز، أو الفيديو..

والمؤلفات الملغومة بمغريات الجنس..

والتمثيليات الإذاعية المحشوة بسموم المفاسد الغربية..

كل ذلك وأمثاله مما عُهد ومما لم يُعهد بعد، صور للإقامة المنطوية تحت تحذير رسول الله ﷺ، والمشمولة ببراءته صلوات الله عليه وسلامه من أصحابها.. ما دامت مفتوحة النوافذ لتسرب الأوبئة، التي توشك أن تأتي على البقية الباقية من الحوافظ العاصمة للذات المسلمة..

ورب معترض يقول: ولكنها الضرورات تبيح المحظورات.. ولا ضرورة في هذه الأيام أكبر من الانتفاع بما سبقنا إليه الغرب في حلبات العلم والصناعة.. فهل يرضى الإسلام لنا أن نظل في أواخر الركب البشري محرومين من كل أسباب التقدم؟..

والحق أن هذه إحدى المغالطات.. لأن الإسلام عندما يحظر على المسلم الإقامة في أوساط المشركين إنما يريد حمايته من الانحلال والذوبان في غيره من الأقوام الذين زاغت بهم الأهواء عن طريق الله، وقد غرهم ما عملوا من ظواهر الحياة الدنيا، فهم لا يفرقون بين حق وباطل، ولا حرام وحلال، واستهوتهم الشهوات حتى أصبحت الأصل الذي ينهض عليه وجودهم كله.. وأي وباء يمكن أن يهدد كيان المسلم أكثر من أن يألف هذا الأسلوب المنافي لكل ما توارثه الإنسانية من تعاليم الله!..

وينسى في الوقت نفسه ذلك النذير الإلهي الذي يقرؤه في كتاب ربه: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ٢٧).

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** ﴾ (الكهف: ٥٧).

الطريق الصحيح إلى التصحيح

على أن إقحام كل شيء في نظام العلم والصناعة مغالطة أخرى، وإلَّا فما شأن الفنون المثيرة للغرائز البهيمية في العلم والصناعة؟..

هذا مع التذكير أننا لا نتنكر للفنون، لأننا نعلم أن النفس البشرية مطبوعة على طلب الجد واللهو، ولكننا نؤمن أن لكل أمة فنها ولهوها، والفنون الإسلامية لا بد أن تكون منبثقة من صميم التصور الإسلامي، فطبيعي أن تمتاز بلون الفضيلة والأخلاق اللائقة بروح الإسلام.. فتطهير أجهزة الإعلام إذن من تلك الفنون الدخيلة المغايرة للقيم الإسلامية واجب لا مندوحة من تحقيقه إذا كنا نؤمن بالله واليوم الآخر.. ومرفوض كل ادعاء يزعم أننا عاجزون عن تقديم البديل الإسلامي المتسع النافع، فالقلم المؤمن لا يزال بحمد الله قادراً على العطاء في كل ما لذَّ وطاب.. ولن يعوزه لأداء ما عليه إلَّا أن يفسح له المسؤولون عن أجهزة الإعلام مجال العمل والإنتاج..

ومثل ذلك يقال في مدارس التنصير، فما دمنا ندرك بيقين أنها البؤرة المفسدة للأجيال فلا بد من مقاطعتها ورفع براثنها عن أعناق أبنائنا وبناتنا، ثم تحويلهم إلى مدارس إسلامية تسد فراغها، بل تفوقها بكل الأسباب المؤدية إلى التفوق..

أما الهجرات الدراسية والبعثات الأخرى.. فلا نقول بمنعها البتَّة، ما دام ثمة ضرورة لها، ولكننا نقول بوجوب تحصينها ضد السموم التي اتلفت الكثير من أنسجة الحياة في أجيالنا حتى الآن.

---

(١) راجع كتاب (التبشير والاستعمار) للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي.

ربيع المنهج الاسلامي

أهاجَ بِقلْبي شُعاعُ القَمَرْ   جَميلَ الرُّؤى وجَليلَ الصُّوَرْ
وَهَزَّ كِياني ففاضَ الحَنينُ   وَأجَّجَ في النَّفْسِ نارَ الفِكَرْ
وَقَفْتُ أُطالعُ وَجْهَ الهِلال   وَأَقْرأُ فيهِ المَعاني الأخَرْ
هِلالُ الرَّبيع ، وَنِعْمَ الطّيوفُ   وَنِعْمَ المَساءُ النَّديُّ العَطِرْ
تَهادى بِمَكّةَ يَوماً شَذاهُ   فَطرَّزَ بالنُّورِ أغْلى السِّيَرْ
عَطايا السَّماءِ لأرْضِ الأنامِ   وَروحُ الحَياة لِدُنْيا البَشَرْ
أجَلْ .. وُلِدَ المُصْطفى في الرَّبيعِ   فَكانَ رَبيعَ الهُدى المُدَّخَرْ
تكادُ تَضُمُّ رُؤاي الدُّروبَ   وَتطْوي القُرونَ .. القَوافي الغُرَرْ
وَأرْكُضُ خَلْفَ بَواحِ الشّعاعِ   علىٰ كُلِّ أُفْقٍ قَصِيٍّ وَعِرْ
أُسائِلُ .. أيْنَ الرَّبيعُ الكَريمُ   وَأيْنَ سَراياهُ .. أيْنَ الأثَرْ ؟!
أكانَ بِدُنْيا مَداها انْطوىٰ   وَوَجْهُ عُلاها القَشيبُ انْدَثَرْ ؟!
إذاً .. قُلْ فَأيْنَ اتِّقادُ الإباءِ   وَأيْنَ الكَتائِبُ ، أيْنَ الظَّفَرْ ؟!
وَأيْنَ غِناها الشَّجِيُّ النَّقِيُّ   وَتَرْنيمَةُ الفَجْرِ روحُ السَّحَرْ ؟!
مَضَيْتُ بِغَمْرَةِ ذِكْرى تَموجُ   بِها لَهْفَتي أسْتَشِفُّ الخَبَرْ ..
أُعاني مِنَ الصَّرْفِ والنّازِلاتِ   وَما جاءَ لِلْمُسْلِمينَ القَدَرْ
فَهِمْتُ بِذِكْراي مِثْلَ الطَّريدِ   وَأَلْفَيْتُ نَفْسي عَلى مُنْحَدَرْ
وَفارَتْ جِراحٌ صَداها انْعِتاقٌ   لِمَوْقِفِ حُرٍّ بَعيدِ النَّظَرْ
فَعَجَّتْ أَمامي مَآسي الشُّعوبِ   وَفاضَتْ دُموعي وَقَلْبي اسْتَعَرْ
وَثارَتْ رِياحُ الأسىٰ والعَذابِ   بِأعْماقِ صَدْري تُذْكي الشَّرَرْ
فَقُمْتُ بِوَجْهِ الدُّجى مُؤْمِناً   بِرَبّي .. مَهْما تَلَظّىٰ الخَطَرْ
وَأَلْفَيْتُ إسْلامَنا مُقْبِلاً   يَعودُ رَبيعاً لِمَحْوِ الضَّرَرْ
أيا أُمَّةَ الخَيْرِ .. دينُ النَّبِيِّ   بِمَنْهَجِهِ يُسْتَعادُ الظَّفَرْ
ألا يَعْلَمُ اللّهُ ماذا يُقيمُ   حَياةَ الوَرى وَشُؤونَ البَشَرْ ؟!
وَلكِنَّها شَهَواتُ النُّفوسِ   تُصِمُّ القُلوبَ وَتُعْمي البَصَرْ
فَتاهَ الدَّليلُ وَكَلَّ المَسيرُ   وَيالَيْتَ جيلَ الأماني اعْتَبَرْ !
بِغَيْرِ شَريعَةِ رَبِّ السَّماءِ   سَنَبْقىٰ نَهيمُ بِوادي الخَوَرْ
رَسُولُ الهُدى رائِدٌ لِلْفَلاحِ   لِمَنْ سارَ في دَرْبِهِ وادَّكَرْ
وَمَوْلِدُهُ مَوْلِدٌ لِلنُّهوضِ   فَرُدُّوا لأمْجادِنا ما انْدَثَرْ

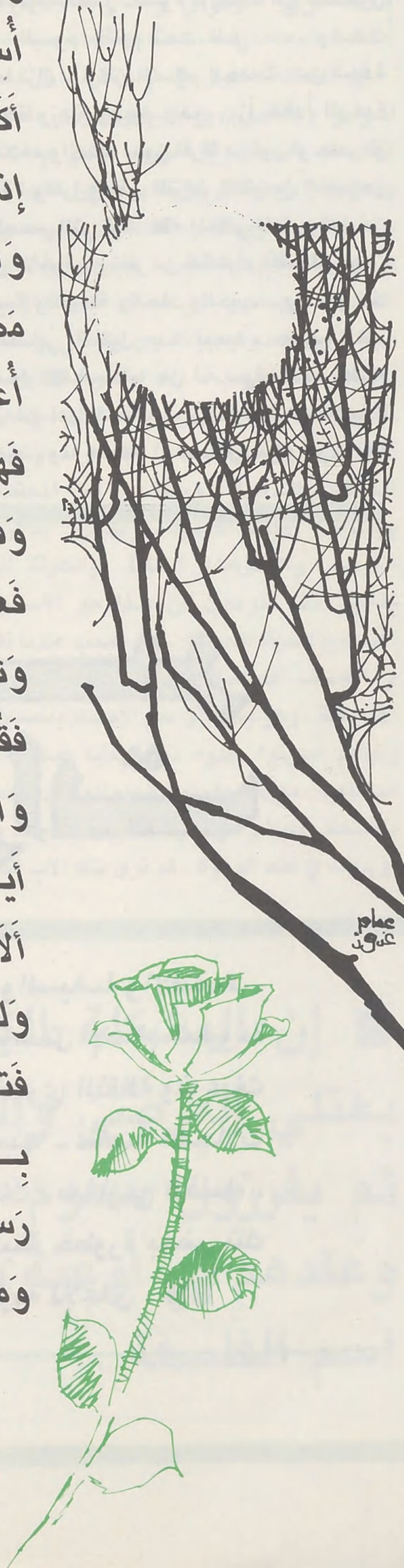

شعر : شريف قاسم

الفكر المعاصر وسوق الشعارات

■■ عصرنا يموج « بالشعارات » الأخاذة المغرية ؛ شعارات الآداب والفنون والسياسة والاقتصاد ، وشعارات التجارة والسلع الاستهلاكية هي الأخرى سيطرت سيطرة مخيفة على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، والفئة المستهدفة للتأثير هي فئة الأطفال والشباب وقاصري الثقافة ونوعيات معينة من النساء ، وقد غزت الشعارات مجالات كان من العسير أن تقترب منها ـ خاصة المجالات العلمية ـ حيث تهيمن الشعارات في أيامنا على تسويق الدواء والغذاء والصناعات ، مما أزعج العلماء ، وأطلقوا صرخاتهم المحذرة ، وخاصة بعد أن أثبتت الدراسات العلمية الأمينة خطورة بعض تلك المواد ، على صحة الفرد والمجتمع ، في البلدان التي ليست بها قوانين حازمة للإعلان . ■■

بقلم : الدكتور نجيب الكيلاني

بريق الشعارات امتد إلى مجالات متعددة

والشعارات في عمومها جمل او عبارات قصيرة براقة تشد الانتباه ـ بما يصاحبها من عوامل تاثير كثيرة ـ منها اللفظة المعبرة ، والأداء الفني المثير ، والاحلام والأوهام التي تكتسب قوة نفاذة في الولوج إلى العقل والوجدان ، والتحليلات والتفسيرات الخادعة الذكية ، التي تتزيّا برداء العلم أو الفلسفة .

وسوف نحاول ـ في هذه العجالة ـ أن نبحث خطورة ذلك في الآداب العالمية المعاصرة ، تلك التي امتزج فيها الفن بالفلسفة والسياسة ، واضرت بالكثير من المفاهيم العقيدية الراسخة ، نظراً لتبنيها في انحاء العالم النامي والصناعي على حد سواء ، وخروجها بالأجيال الجديدة إلى متاهات قاتلة ، يعانون فيها من الجدب الروحي ، والانحراف الفكري ، والشتات الأسري ، والتمزق الاجتماعي ..

الجحيم هم الآخرون مقولة عصرية

ومن الشعارات في سوق الآداب العالمية ، تلك الجملة الخطيرة التي يكثر من ترددها الأدباء والفلاسفة الوجوديون ، حينما يقولون : « الجحيم هم الآخرون » ، وهي مقولة تبلور نظرة الوجودي إلى الحياة والأحياء ، فيتخذها اساساً لأعمال مسرحية وقصصية وشعرية متنوعة ، وإذا ما تعمقنا في إنتاجهم الأدبي والفلسفي ، ادركنا ان « الموقف الوجودي » على ضوء هذا الشعار موقف يتسم بالعداء والخوف والسخط على الآخرين ، إن « نظرات الآخرين » تحاصر الإنسان ، وترصد حركاته وسكناته ، وتتدخل في شؤون حياته ، وقد تقتحم عليه عزلته بالنقد او المؤاخذة : وفي ذلك اعتداء صارخ رهيب على « حريته » . فللوجودي الحق أن يفعل ويقول ما يشاء تحت مسؤوليته الشخصية ، وليس لأحد ان ينال من هذه الحرية بقليل او كثير ، ويرى الوجودي ان القضية صعبة ، وان « الآخرين » هم السبب الرئيس في الجحيم الذي يعاني منه في حياته ، وانهم سربلائه وشقائه ، مع ان ذلك « الوجودي » يرى لنفسه الحق ـ كل الحق ـ في ان يرفض قيم المجتمع ومقدساته ، ويكيل لها السخرية المرة ، ويجعل من نفسه حكماً مطلقاً في شتى القضايا ، ويؤله ذاته وفكره العبثي ، حتى لكانه لا يريد ان يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون ، والعياذ بالله ..

هذا الشعار الرنان الطنان « الجحيم هم الآخرون » ، كانت له آثار خطيرة ـ كما قلنا ـ على المجتمع والفرد وعلى العلاقات الأسرية ، إن الأسرة هناك لم تعد لها تقاليدها العريقة بين الوالدين والأبناء ، وطمرت القيم الشريفة التي تتصل بالاختلاط والتعاون والأخوة والمشاعر النبيلة ، فالأبناء ينطلقون في سن مبكرة ليمارسوا تجارب الحياة دون وازع من دين او ضمير ، او قل : إن عقائدهم واخلاقهم وضمائرهم قد تم تشكيلها على انماط جديدة ، في ظل الشعارات المبتكرة التي افرزتها عقول التحلل والضياع والتمزق في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفي خضم التطورات الصناعية والتكنولوجيا المتلاحقة ، وتحت مظلة الخطر النووي والتسابق المجنون لامتلاك القوة والثروة والنفوذ .

التربية الإسلامية عقيدة وسلوك

إن العقيدة الإسلامية ، قد باعدت بين بنيها وبين ذلك التصور المريض للعلاقات الإنسانية منذ زمن بعيد ، واحكمت بناء تلك العلاقة وحمايتها بالآداب والنظم والتعاليم الشرعية الواضحة ، وهذا مبدأ هام يجب الالتفات إليه والتشبث به ، فـ « المسلمون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ، و « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، وعاطفة الأخوة فيها الدفء العاطفي والحب والوفاء ، فلا تناحر او كراهية أو عداء ، الآخرون ليسوا جحيماً ، ولكنهم جنة وارفة الظلال ، حلوة الأريج « اين المتحابون فيّ ، اليوم اظلهم تحت ظلي ... » ، وكانت ـ وما تزال ـ أركان الإسلام الخمسة ، من شهادة وصلاة وزكاة وصوم وحج رمزاً خالداً للوحدة والتلاحم والإخاء ، دون تفرقة من لون او جنس او طبقة ، ونقرأ في كتب التراث الكثير من النصوص والقصص التي تؤكد هذه المعاني كلها ، وتعلي من شان الأخوة ، وتنفر من الشكوك المتبادلة ، ومن الغيبة والنميمة والحقد والحسد ، وما امر ذلك الصحابي الجليل منا ببعيد ، حينما اخبر الرسول ﷺ اصحابه عن انه سوف يدخل عليهم رجل من أهل الجنة ، ثم وجدوه إنساناً عادياً في مظهره ، ولما صحبه احدهم إلى منزله ليرى ماذا

يفعل ؟ وجده يؤدي الفرائض ، ويعبد دون زيادة تذكر ، وعندما استفسر منه عن سر ما ناله من رضى الله ورحمته ، قال ببساطة : « انام وليس في قلبي مثقال ذرة من حقد على احد » ، كما ان طاعة الوالدين والإحسان إليهما في الإسلام فرض وعبادة ، والتماسك الأسري ، والبر بالجيران ، والنصيحة الصادقة ، والنقد الشريف ، كلها امور اساسية في سلوك المسلم وحياته ..

ودم المسلم وعرضه وماله حرام ، ولم تكن في يوم من الايام حمىً مستباحاً ، ولدخول البيوت آدابها ، وللزيارة والمعاشرة والجيرة تعاليمها ، والاوامر صريحة في عدم التجسس او استراق النظر لاسرار وعورات الناس ، ونظرة المؤمن للمؤمن لا تنطلق منها شرر الحقد والكراهية والضيق مثل « النظرة الوجودية » ـ ولكنها تسيل حباً ورقة وعذوبة .. فكيف يسعد المجتمع ، ويصح بناؤه ، وتسمو علاقاته ، إذا كان « الجحيم هم الآخرون » ؟؟

الفسوق الفكري وآثاره المدمرة

إن المشكلة الكبرىٰ في عصرنا هي ان يعتلي المرضى والمعقدون و «الأبيقوريون» مقاعد الفلاسفة ، ثم يفرزون سموم عللهم وعقدهم وتحللهم في اوعية من ورق ، ويطلقون عليها اسم « الفلسفة » ، ويطلقون الشعارات الساحرة ، فيخدعون ملايين الشباب ، ويستهوون ناشئة الكتاب ، ويهيمنون على محافل الفن والادب ، وينشرون فسوقهم الفكري والفني في شتى الأنحاء ، ثم ناتي بعد ذلك لننحو باللائمة على الأجيال الجديدة ، التي ترمي بنفسها في مستنقعات المخدرات ، واوكار الجنس والدعارة ، وترتكب الحماقات الدامية ، ويؤرقون امن المجتمع ، ويمزقون روابط الأسرة ، ويهيمون بالأزياء الغريبة ، والسلوكيات الشاذة . والكارثة انهم يفعلون ذلك متوهمين ان هذا هو الأسلوب الصحيح للحياة الحديثة ، فهل نعجب عندما نقرا في الصحف العالمية عن احد عمد الولايات الأمريكية ، وهو يدعو إلى عدم الاهتمام بالمسنين ، وتركهم ليموتوا بهدوء دون رعاية صحية او اجتماعية ، مع أنه يعلم تمام العلم انه ينال منصبه بالانتخاب المباشر ، والكارثة الكبرىٰ انه وجد من يؤيدونه في هذه الدعوة ، ثم نرىٰ ذلك الأب الذي يؤمِّن على طفله بعشرة آلاف دولار ، ثم يدس له السم في الحلوىٰ ليموت الطفل ، وينال قيمة التامين ، ثم تلك المظاهرة العجيبة ، التي تنادي بان يكون العمدة الجديد في إحدىٰ الولايات من الشواذ ، حتى يكون مثل خلفه !!!

ومن المهازل ان يزعم زاعم ان تلك الفلسفات تحمي حمى « الحرية الشخصية » ، وتقيم لها القلاع والحصون احتراماً للإنسان ، وحفاظاً على كرامته وشرفه ، وهي في الوقت نفسه ، تملأ العقول بالوهم ، وتغرقها بالشك ، وتقدم لها الغذاء الروحي الملوث ، وتمهد الطريق للعلل النفسية ، وتدفع بالسذج والأبرياء إلى متاهات الخرافة والضلال ، وتتضاءل عندئذ قيم الحرية العظيمة ، وتتحول إلى مجموعة من الممارسات الخاطئة غير المسؤولة ، وتتركز في إشباعات مادية فانية ، من ماكل ومشرب ومال وجنس ، فيحتدم الصراع ، وتشتعل المعارك ، ويتحول البشر إلى وحوش ضارية ، وذلك بمجموعه لا يعدو عن كونه ردة إلى العصور البدائية وحياة الغابة ، ولا غرابة في ذلك فقد وجدنا بين ظهرانينا من يدعو إلى العودة إلى الحياة البدائية لبساطتها وعدم تعقدها كما يزعمون !!

لننظر إلى العالم من حولنا ، إن عشرات الحروب تحرق انحاء عديدة من العالم ، والدماء تراق ، والأطفال يتشردون ويتيتمون ، والاعراض تستباح ، ومظاهر العمران يدمرها الشيطان ، وكل معتد يجد لنفسه المبررات والفلسفات التي يرفع شعاراتها ، وانتقلت المعارك من خارج الحدود إلى البيوت والشوارع والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والفكرية ، واصبح تجار المخدرات وعصابات المافيا قادرة على أن تسقط حكومة وتاتي باخرىٰ ، وتغتال حاكماً لتولي آخر مناصراً لها ، واصبحت قيم العدالة والسلام والحرية رهينة المنافع والأهواء ، واصبح كل شيء يباع ويشترىٰ ، وليذهب الجميع إلى الجحيم ، ما دام الشعار المرفوع هو « الجحيم هم الآخرون » .

الخواء الروحي والفساد المادي

وليس من قبيل المصادفة ، ان يرفع الرئيس الأمريكي « ريجان » الإنجيل بيده ، امام ملايين المشاهدين لشاشة التليفزيون ، ويقول :

« إن في هذا الكتاب حلاً لكل مشاكل العالم .. لقد اخطأ « كنيدي » ـ أول رئيس كاثوليكي للولايات المتحدة ـ حينما فصل الدين عن الدولة .. وعلينا ان نعيد الأمر لنصابه حماية للأخلاق .. » .

وعلى الرغم من اختلافنا في العقيدة مع « ريجان » ، واختلافنا معه بالنسبة لتحيزه الشديد للعنصرية الصهيونية ، إلَّا اننا نستطيع ان نستخلص من هذه الواقعة بعض النتائج الهامة :

- اولاها : ان الخواء الروحي خطر ماحق .
- ثانيتها : ان ذلك الفراغ لن تسده فلسفة من الفلسفات ، وان العلاج الوحيد هو القيم الدينية .
- ثالثتها : ان عزل الدين عن الدولة ، قد تسبب في إفساد الأخلاق وانحرافها .
- رابعتها : ان الإشباع المادي لا يستطيع وحده ان يحقق السعادة للفرد والمجتمع .

ومما لا شك فيه ان ريجان يلقي كلماته تلك ، وامامه إحصاءات مهولة في امريكا عن حوادث القتل والسرقة والاغتصاب ، وعن المليارات التي تنفق على مكافحة إدمان الخمر والمخدرات ، وعن الفساد الاجتماعي الضارب الذي يرتبط بالسباق العنيف من اجل المادة والملذات الكثيرة .

لقد تحول « الجحيم الوجودي » المتوهم إلى حقيقة اجتماعية مخيفة .. واستمرا العصاة والمنحرفون حياة الغدر والجريمة والهروب ، ولا اعتقد أن هناك عاقلاً من رجال الفكر والتربية يستطيع ان يتجاهل اثر الفلسفات الحيوانية ، والأفكار المريضة ، والاندفاع نحو الشبع المادي فيما آلت إليه الأحوال ...

بقيت كلمة

إن الادب الإسلامي ليس ادباً « حيادياً » ... إنه ادب « موقف محدد » من حركة الحياة ، واحداث العصر ، وسمة التطور ، لان الأديب المسلم يمتلك « وحدة القياس » الصحيحة التي يقيس بها الأمور والأحداث ، ولديه المواصفات الكاملة للصواب والخطأ ، والجيد والرديء ، ويسير على ضوء تصور واضح في دروب الحياة الممتدة الفسيحة ، والتزام الاديب المسلم يخضع لهذا التصور الصادق دون ان يخشى في الله لومة لائم ، وعليه ان يمضي في ثقة وشجاعة ؛ شان المجاهد الذي يقتحم الأخطار ، وينشد وجه الله ، وبذلك يصبح الادب الإسلامي ادب تزكية وتطهير وتوجيه ، وإصحاح للنفوس ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ... ﴾ .

وعليه الَّا يكتفي برفع « مصحفه » إلى اعلى فحسب ، بل يجعل من آياته دماً يجري في عروقه ، ونوراً يبصر به ، وعاطفة تتَّقد بين حناياه ، وسلوكاً حيَّاً بين الناس ، ومنطلقاً اساسياً للتغيير ، وبذلك يتحول « الجحيم » فوق هذه الأرض إلى حب ورحمة وخير وجمال .

■ إن المشكلة الكبرىٰ في عصرنا هي أن يعتلي المرضىٰ والمقعَدون مقاعد الفلاسفة ثم يِفرزون سموم عللهم وفسوقهم الفكري وعُقدهم في أوعية من ورق ، ويطلقون عليها اسم الفلسفة .

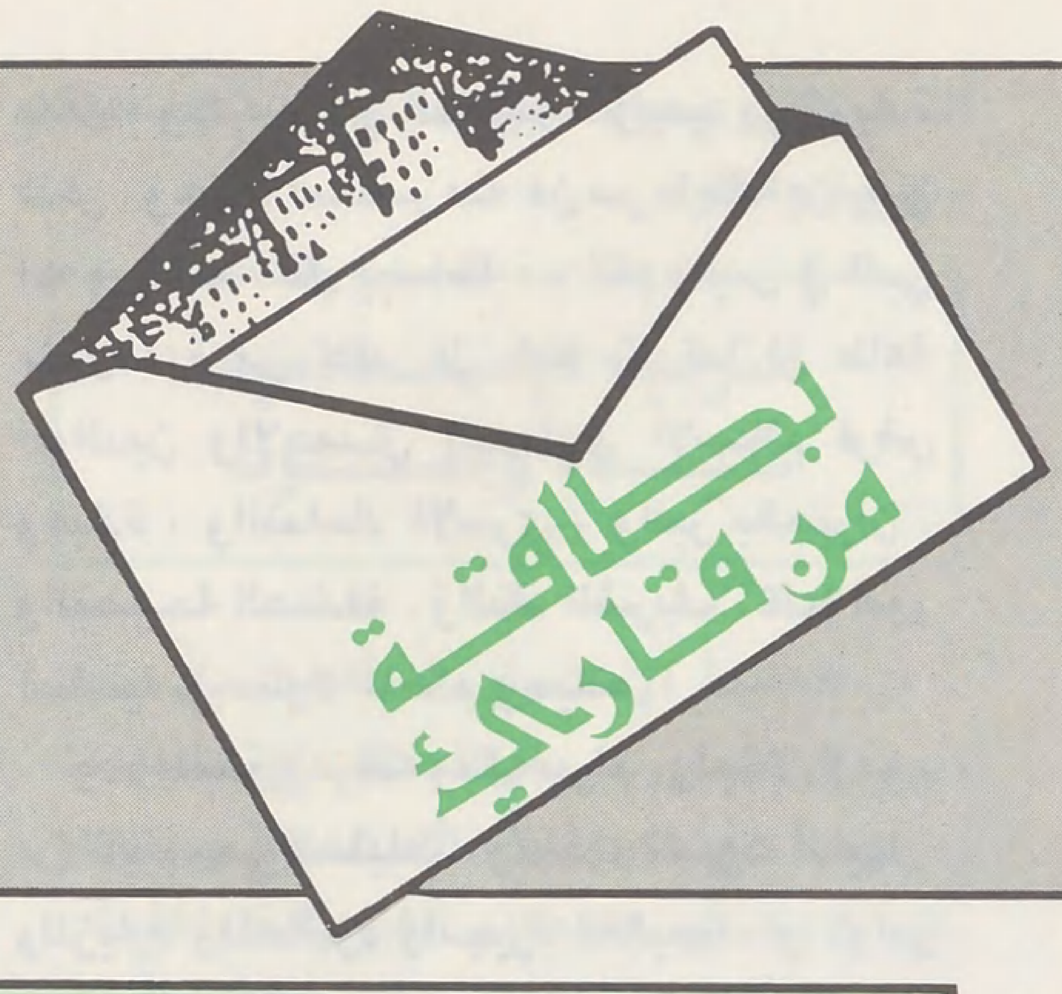

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلّ ودل □

بطاقة مصوَّرة

□□ ينفق الأمريكيون ما يقرب من ٤٫٠ مليار دولار سنوياً في صناعة اطعمة الكلاب والقطط ـ وهذا المبلغ يتجاوز مجموع الدخل القومي لدول القارة الافريقية ـ باستثناء الدول المنتجة للبترول . □□

[العالم] (١٧ نوفمبر «تشرين الثاني»)

القارئة : حنان صلاح جودة

الإسكندرية

لا فائز ولا مهزوم

□□ يقول بعضهم : إن الوضع الأمثل ان تنتهي حرب الخليج بين العراق وإيران بلا فائز او مهزوم ، وهذا راي العديد من المتبصرين ، وليس بالضرورة راي الولايات المتحدة .. ولكنه يبدو لي كراي يتمتع بشيء يزكيه ، وإلَّا لما كنت ذكرته او فكرت فيه ، فمن غير المستحب ان يستمر هذا الدمار الشامل نظراً لخطورة انتشاره في المنطقة ، وكلنا يأمل ان يكون هناك وقف إطلاق نار بلا مزيد من الدمار ، وهذا يعني وقف إطلاق نار في ظروف لا ينتج عنها اي فائز أو مهزوم .. □□

[الحوادث]

من حوار مع « جين كيرباتريك » سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة أحد مستشاري الرئيس « ريجان »

القارىء : عبد السلام همام

لبنان

المـوت قتـلاً !!

□□ يعتبر اغتيال انديرا غاندي بمثابة الفصل الأخير في مسلسل العنف الذي أدَّى إلى مقتل عدد من الزعماء السياسيين في بنجلاديش والهند وباكستان في السنوات الأخيرة . والملاحظ أن كل هؤلاء القادة الذين لاقوا حتفهم يشتركون في أنه كان لهم دور أساسي في تقسيم دولة باكستان وسلخ باكستان الشرقية عن الغربية ..

كان أول هؤلاء مقتلاً هو مجيب الرحمن ، الذي تزعَّم العمل السياسي من أجل فصل بنجلاديش عن باكستان ، وقد قتل في حركة ١٥ اغسطس (آب) ١٩٧٥م ، وأُعدم ذو الفقار علي بوتو بعد إدانته بجريمة قتل ، وكذلك قتلَ ضياء الرحمن رئيس وزراء بنجلاديش السابق ، الذي ابتدا العمليات العسكرية التي استهدفت فصل بنجلاديش ، ومن المفارقات أن ضياء الرحمن لم يقتل في دكّا ـ عاصمة بنجلاديش ـ وإنما قُتل في مدينة « تشيتا غونغ » التي أعلن منها بنفسه قيام دولة بنجلاديش عام ١٩٧١م ..

وها هي انديرا غاندي تلقى مصرعها بعد ان كان لها الدور الاول والأكبر في احداث انقسام باكستان ، وارسلت جيشها من أجل تحقيق هذا التقسيم ..

وجدير بالذكر ان اربعة آخرين كان لهم دور فعَّال في الحركة التي قادها مجيب الرحمن من أجل إقامة بنجلاديش ، هم : نذر الإسلام ، وتاج الدين ، وأبو المنصور ، وقمر الزمان ، قتلوا جميعاً في السجن على يد مجموعة من الضباط الذين قاموا بانقلاب ١٥ أغسطس (آب) ١٩٧٥م ، وهي الحركة التي استطاع ضياء الرحمن ان يستغلها ليتولى الحكم دون أن يكون مشتركاً فيها .. □□

[الشرق الأوسط] (العدد ٢١٦٥)

القارىء : إسماعيل سالم علي ـ الكويت

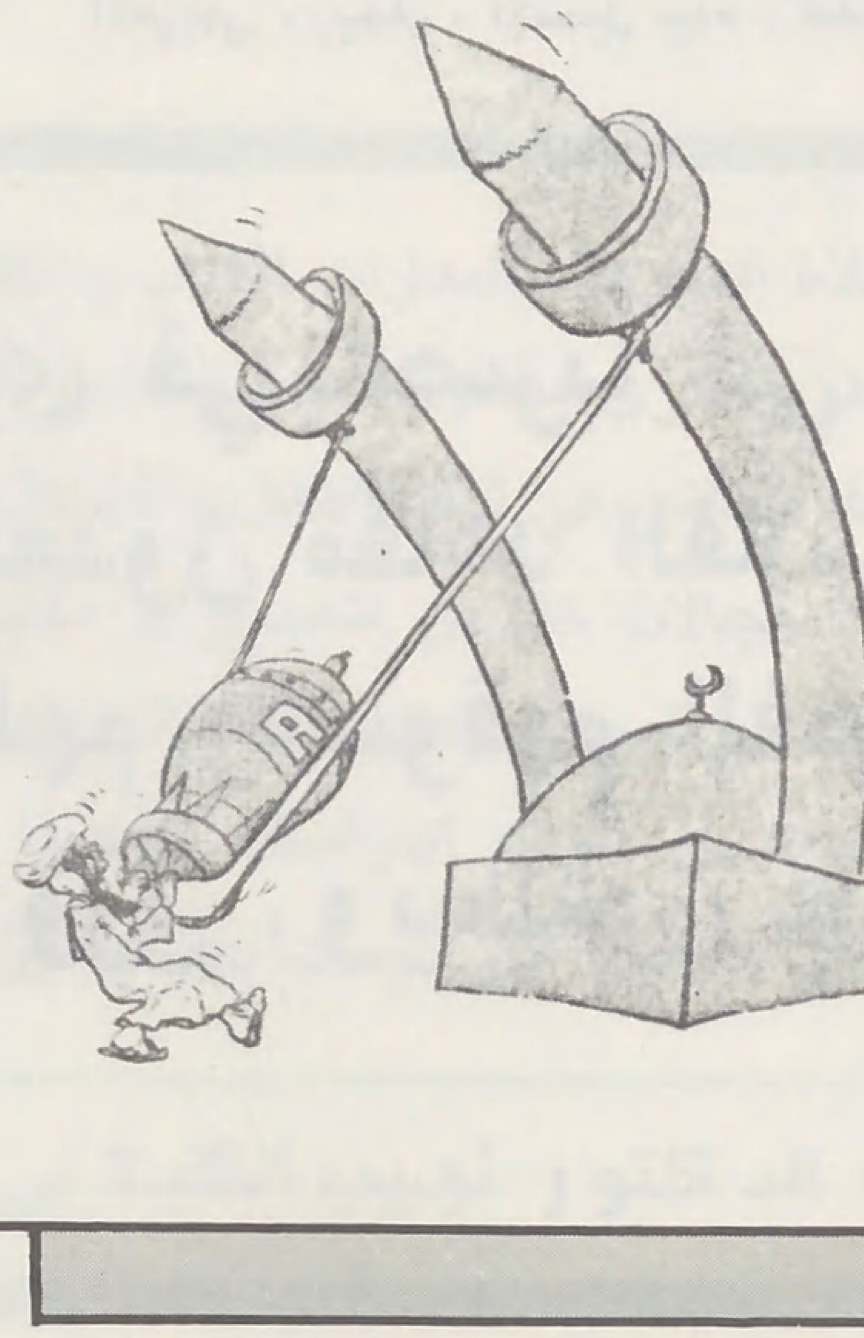

□□ جاء هذا الرسم ضمن مقال نشرته مجلة « SCIENCE&VIE ـ العلم والحياة » الفرنسية ـ بعددها الصادر في أغسطس (آب) ١٩٨٤م ـ حول خطر انتشار العلوم والتقنيات الذرية في العالم الثالث ، وقد ركزت كاتبة المقال « فرانسوا مونين » على خطورة بعض بلدان العالم الإسلامي التي تحاول دخول عصر الذرَّة واكتساب المهارات والخبرات في هذا الميدان ..

ويعبِّر الرسم عن مضمون المقال ، حيث يستعمل المسجد لقذف القنابل الذرية . □□

القارىء : نجيب العش   تونس

الإصلاح العقابي في الدولة الإسلامية

■■ أحدث الإسلام تغييراً جذرياً في النظام العقابي ؛ وذلك بإلغائه لكثير من العقوبات البدنية التي كانت مطبقة حتى قيام الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية وما جاورها من أقاليم كانت تابعة لدولتي الفرس والروم ، وإضافته لعقوبة جديدة هي عقوبة الحبس أو السجن التي لم تكن معروفة من قبل ؛ وذلك لسبب واضح وهو أن هذه العقوبة تؤدي إلى سلب حرية المذنب الذي ثبتت إدانته بحكم قضائي . وبالنظر إلى ما كان سائداً في المجتمعات القديمة - سواء ما كان منها قائماً قبل الإسلام ، أو ما كان معاصراً له - من وجود طبقتين في المجتمع ، إحداهما : طبقة الأشراف التي يتمتع أفرادها بالحرية والثراء والسلطان وبكل شيء ، والأخرى : طبقة العامة التي تتكون من الغالبية الساحقة ولا يتمتع أفرادها بأي حق من الحقوق وبالذات الحرية ، فإنه لم يكن من المتصور أن تطبق عقوبة الحبس أو السجن لانعدام موضوعها وهو سلب الحرية . ■■

بقلم : الدكتور أحمد علي المجدوب

ولعل ذلك يفسر لنا لماذا لم تطبق أوروبا عقوبة الحبس إلَّا في زمن متأخر ، وعلى وجه التقريب في القرن الثامن عشر الميلادي . فقد كانت الغالبية العظمى من الشعوب الأوروبية تعيش حالة من التبعية القريبة من العبودية للطبقة المسماة بطبقة الأشراف أو أمراء الإقطاع ؛ الذين كانوا إذا باع أحدهم أرضه باع معها ما عليها من بشر ومواشٍ وآلات وأبنية دون ما أدنى تفرقة بينها ، ولم يكن ثمن الإنسان من أقنان الأرض يزيد كثيراً على ثمن الحصان أو الحمار ، بل ربما قل عنه إذا كان الإنسان مريضاً أو كهلاً أو امرأة ؛ فلم يكن تطبيق عقوبة تقوم على سلب الحرية ممكناً بأي حال ؛ لأنها من ناحية لم تكن ستجد هدفاً لتصيبه وهو الحرية ، ولأنها من ناحية أخرى كانت ستؤذي الإقطاعي أو السيد الذي يتبعه المحكوم عليه ، لأنها ستحرمه من عمله أثناء وجوده في السجن .

وقد بدأ تطبيق عقوبة الحبس أو السجن في الدولة الإسلامية منذ قيامها في المدينة . وكان ذلك في أول الأمر في صورة حرمان الفرد من حرية الحركة والانتقال من مكان إلى آخر ؛ بأن يعهد به إلى من يراقبه ويتحفظ عليه خلال المدة المقررة والمناسبة للذنب الذي اقترفه والجرم الذي ارتكبه ، ثم تطورت طريقة التنفيذ فيما بعد نتيجة لاتساع الدولة وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اشترى داراً في المدينة خصصها لإيداع الأشخاص الذين يحكم عليهم بالحبس وسميت « سجناً » ، وتبعه الولاة في الأمصار كافة فاتخذوا سجوناً . وبالنظر إلى ما هو معروف من أن النظم الاجتماعية على اختلافها تتبع في تطورها وفي تدهورها أحوال المجتمع الذي تطبق فيه فتتقدم أو تتخلف بحسب ظروف هذا المجتمع وأحواله ، فإن نظام السجن في الدولة الإسلامية سار في

الاصلاح العقابي

الاتجاه نفسه الذي سار فيه المجتمع الإسلامي : ففي أول الأمر كان يجري الالتزام بدقة فائقة بالمبادىء السامية التي قررها الإسلام ، فكان تنفيذ العقوبة يقتصر على تقييد حركة المسجون فقط بمعنى وضعه في مكان لا يغادره إلَّا بعد انقضاء المدة المحكوم عليه بها دون المساس بأي حق من حقوقه ؛ كحقه في سلامة جسمه ، وحقه في سلامة عقله وحقه في البقاء على عقيدته وما يؤمن به كأن يكون نصرانياً أو يهودياً ؛ فإنه لا يحق لأولي الأمر أن يكرهوه على تغيير دينه . وكذلك لم يكن المسجون يوضع في ظروف من شأنها الانتقاص من كرامته أو تعريضه للإذلال والمهانة؛ لأن ذلك يتعارض وتكريم الله للإنسان .

وكان يجري الإنفاق على السجون والمسجونين من بيت مال المسلمين باعتبارها مؤسسات عامة من ناحية ، وباعتبار أن تنفيذ العقوبة يؤدي إلى منع المسجونين من العمل والحصول على المال الذي ينفقون منه على أنفسهم وعلى أسرهم ، ولأن سلب الحرية يهدف في النهاية إلى كف أذى المجرمين عن المسلمين .

ولذلك فإنه كان يجرى صرف الطعام المناسب كماً ونوعاً للمسجونين أو يسمح لذويهم بإحضاره لهم ، وكذلك الملابس والدواء وغير ذلك مما يحتاج إليه السجناء . وقد استمر هذا الوضع أثناء حكم الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ، وفترة ليست بالقصيرة من حكم الأمويين ، ثم بدأت أحوال السجون في التدهور مع اقتراب حكمهم من نهايته المحتومة وذلك نتيجة للصراعات والفتن التي نشبت في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الأموية ،

والتي انعكست على الأوضاع العامة للمجتمع الإسلامي وأدت إلى ظهور مشكلات اجتماعية وأزمات اقتصادية وتردي الأوضاع الأمنية ، فكان من الطبيعي أن تتدهور أحوال السجون بعد أن أهملها الحكام إهمالًا يكاد يكون تاماً في غمرة انشغالهم بالدفاع عن مصالحهم والذود عن ملكهم .

وقد ازدادت الحالة سوءاً مع قيام الدولة العباسية التي اتسمت المرحلة الأولى من عمرها بعدم الاستقرار الناشىء عن الصراعات التي نشبت بين حكامها الثلاثة ؛ الأوَّل أبو عبد الله السفاح ، وأبو جعفر المنصور والمهدي وبين مناوئيهم مما حمل بيت المال بأعباء ثقيلة كانت بلا شك سبباً هاماً فيما أصاب السجون من تدهور شديد ، حيث توقف الإنفاق عليها تماماً فكان حراسها من الجنود يضطرون إلى إخراج المسجونين إلى الطرق وقد قيدوا بالسلاسل لكي

يتسولوا من الناس ما يقيمون به أودهم وقد بليت ثيابهم فلم تعد تمنع عنهم برداً أو تحفظهم من قيظ ، بل ولا تكاد تخفي عوراتهم ، بينما أصابهم الجوع والقذارة بالأمراض . وفي ظل هذه الظروف السيئة التي آل إليها حال السجون في الدولة العباسية ظهر أول رائد من روَّاد الإصلاح العقابي في الدولة الإسلامية وهو القاضي أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة النعمان الذي راعه ما يحدث في السجون ، وما يلقاه السجناء من معاملة سيئة ، فاغتنم الفرصة التي سنحت له وذلك حين اقترح عليه الخليفة هارون الرشيد إنشاء وتصنيف كتاب جامع يعمل به في جباية الخراج ، والعشور والصدقات عن رعيته ، والصلاح لأمرهم[1] ويبدو أن هارون الرشيد كان قد سأل أبا يوسف عمَّا يفعله مع أهل الدعارة والفسق والتلصص إذا أخذوا في شيء من الجنايات وحبسوا ؛ هل يُجرى عليهم ما يقوتهم في الحبس ؟ والذي يجرى عليهم من الصدقة أو من غير الصدقة ؟ وما ينبغي أن يعمل به فيهم ؟ فكان رده عليه ما يلي :

قال : لا بد لمن كان في مثل حالهم إذا لم يكن له شيء يأكل منه ؛ لا مال ولا وُجد شيء يقيم به بدنه أن يجرى عليه من الصدقة أو من بيت المال ؛ من أي الوجهين فعلت فذلك موسع عليك ، وأحب أن تجري من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته ، فإنه لا يحل ولا يسع إلَّا ذلك .

قال : والأسير من أسرى المشركين لا بد أن يطعم ويحسن إليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب يترك يموت جوعاً !؟ وإنما حمله على ما صار إليه القضاء أو الجهل ، ولم تزل الخلفاء يا أمير المؤمنين تجري على أهل

في الدولة الاسلامية

السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وكسوتهم الشتاء والصيف ، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه بالعراق ، ثم فعله معاوية بالشام ، ثم فعل ذلك الخلفاء من بعده .

وقال له أيضاً : كان علي بن أبي طالب إذا كان في القبيلة أو القوم الرجلُ الداعر حبسه ، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين ، وقال (أي علي) يحبس عنهم شره ، وينفق عليه من بيت مالهم .

كذلك قال له : إن عمر بن عبد العزيز كتب للولاة أن « لا تدعُنَّ في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائماً ولا تُبيتن في قيد إلَّا رجلاً مطلوباً بدم ، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم ، والسلام » ، « فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وصير ذلك دراهم تجرى عليهم في كل شهر يدفع ذلك إليهم ، فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة (أي الشرطة) . ووِلِّ ذلك رجلاً من أهل الخير والصلاح يُثبت أسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده يدفع ذلك إليهم شهراً بشهر ، فمن كان منهم قد أطلق وخلي سبيله ردّ ما يجرى عليه ، ويكون للأجراء عشر دراهم في الشهر لكل واحد ، وليس كل من في السجن يحتاج إلى أن يجرى عليه ، وكسوتهم في الشتاء قميص وكساء ، وفي الصيف قميص وإزار . ويجرى على النساء مثل ذلك وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفي الصيف قميص وإزار ومقنعة . وأغنهم عن الخروج في السلاسل يتصدق عليهم الناس ، فإن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا وقضي عليهم فحبسوا يخرجون في السلاسل يتصدقون ، وإنما صاروا إلى الخروج في السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع ، فربما أصابوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا ، إن ابن آدم لم يعرَ من الذنوب ؛ فتفقد أمرهم ومر بالإجراء عليهم مثل ما فسرت لك »[2] .

ليس ذلك وحسب ، بل إن أبا يوسف دعا هارون الرشيد إلى أمور أخرىٰ منها :

إنه إذا مات مسجون ولم يكن له ولي ولا قرابة غُسِل وكفن من بيت المال وصلي عليه ودفن ، وإنه لا يبقى في السجن إلَّا من صدر عليه حكم بالحبس فقط ؛ أما من عداهم ممن أودعوا في السجون للاشتباه في ارتكابهم الجرائم (المحبوسين احتياطاً والموقوفين) فإنه يخلى سبيلهم .

وإنه لا يجوز لولاة السجن أن يضربوا المسجونين لأن هذا لا يحل ولا يسع ،

فظهر المؤمن حمى إلَّا من حق يجب بفجور أو قذف أو سكر أو تعزير لأمر أتاه فيه حدّ .

وهكذا نجد أن أبا يوسف رحمه الله وضع أسس المعاملة العقابية داخل السجون في القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) وذلك قبل أن تعرف أوروبا العقوبات السالبة للحرية بتسعة قرون كاملة ، وقبل أن يرتفع صوت مطالباً بإصلاح حال السجون في انجلترا أو فرنسا أو غيرهما . وقبل أن تقوم الأمم المتحدة بوضع ما يسمى بقواعد الحد الأدنى لمعاملة المذنبين بأحد عشر قرناً .

ومع ذلك فإن أساتذة علم العقاب في العالم العربي يصرون على تلقين الطلبة معلومات خاطئة تقول : إن « بيكاريا » هو رائد الإصلاح العقابي في العالم وفي التاريخ ، حيث إن كتب هؤلاء الأساتذة - وهي مترجمة عن كتب غربية - تقرر أن العقوبة السالبة للحرية ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا وانجلترا ، ضاربين عرض الحائط بحقائق التاريخ ؛ وكأنهم لم يسمعوا بكتب التراث التي تحدثت عن السجن والحبس في الدولة الإسلامية لا كإجراء تحفظي ولكن كعقوبة . وهو ما لم تعرفه أوروبا إلَّا بعد ذلك بتسعة قرون .

ولذلك فإنني أقترح أن نقوم بترجمة كتب التراث إلى الانجليزية والفرنسية أو إلى كلتا اللغتين حتى يقرأها هؤلاء الأساتذة ثم يترجمون ما ورد فيها منسوباً إلى البروفيسور أبو هانيفا والدكتور ابن فارهون !!

الهوامش :

(١) الخراج ص ٣ .
(٢) الخراج ص ١٦٢ .

من نور كتاب الله

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام : ٦٨ - ٦٩)

على أي شيء ؟!

جاء إلى سفيان بن عُيينة ابنُ أخيه ، فقال : جئتك خاطباً ابنتك ؛ فقال له عمُّه : كفء كريم ؛ ثم قال اجلس فجلس ، قال : يا بني ، اقرأ عشر آيات من كتاب الله تعالى ، فلم يستطع الشاب ، قال : ارو عشرة أحاديث ، فلم يستطع ، قال ، أنشد عشرة أبيات شعر ، فلم يستطع ، فقال له سفيان : لا قرآن ولا حديث ولا شعر ، فعلى أي شيء أضع ابنتي عندك ؟ ثم قال له : لا أخيبنك ، وأمر له بأربعة آلاف درهم .

[مفيد العلوم للخوارزمي]

ألا أخبركم بشراركم ؟

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :

« ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من شراركم المشاؤون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون العيوب » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ملعون ذو الوجهين ، ملعون ذو اللسانين ، ملعون كل شغَّار ، ملعون كل قتَّات ، ملعون كل منَّان » .

[الشغَّار : المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة . والقتات : النمام ، وقيل : النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون ، فينم في حديثهم ، وقيل أيضاً : هو الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون ، فينم حديثهم . والمنان : هو الذي يصنع الخير ويَمُنُّ به] .

وقيل في منثور الحكم : النميمة سيف قاتل . [أدب الدنيا والدين]

أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟

قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا كثرة كلامك . قال : أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟

قالوا : بل صواباً . قال : فالزيادة في الخير خير .

وذكر الأصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياساً على القضاء ، قال : إني والله لا أصلح له ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني دميم حديد ، ولأني عييّ . قال ابن هبيرة : أما الحدَّة فإن السوط يقوِّمك ، وأما العيُّ فقد عبَّرت عما تريد ، وأما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك .

ولم يصفه أحد بالعي وإنما كان يعاب بالإكثار ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه .

[زهر الآداب]

من جهل شيئاً عاداه

قال يحيىٰ بن خالد البرمكي لابنه :

يا بني ، خذ من كل علم بحظ وافر ، فإنك إن لم تفعل جهلت ، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته ، وعزيز عليَّ أن تعادي شيئاً من العلم .

وأنشد عبد الله بن محمد :

فلا تلمهم على إنكار ما نكروا
فإنما خلقوا أعداء ما جهلوا

[جامع بيان العلم وفضله]

لا مروءة لكذوب ...

قال الشعبي :

عليك بالصدق حيث ترىٰ أنه يضرك ، فإنه ينفعك .

واجتنب الكذب في موضع ترىٰ أنه ينفعك ، فإنه يضرك .

وكان الأحنف يقول :

لا مروءة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخُلق . . .

[البيان والتبيين]

نَصْرُ الْمُؤْمِنِين

قال ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » عند قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أي هو حق أوجبه تعالى على نفسه تكرماً وتفضلاً ، كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكم عَلَىٰ نَفْسه ٱلرَّحْمَة ﴾ وروى ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا موسى بن أيمن عن ليث ، عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلاَّ كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

أزواج

من حاول الأمور احتاج إلى ستة :

العلم ، والتوفيق ، والفرصة ، والأعوان ، والأدب ، والاجتهاد .

وهنَّ أزواج :

فالرأي والأدب زوج ، لا يكمل الرأي بغير الأدب ، ولا يكمل الأدب إلاَّ بالرأي .

والأعوان والفرصة زوج : لا تنفع الأعوان إلاَّ عند الفرصة ، ولا تتم الفرصة إلاَّ بحضور الأعوان .

والتوفيق والاجتهاد زوج : فالاجتهاد سبب التوفيق ، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد .

[الأدب الصغير لابن المقفع]

خصال الجاهل ..

خمس خصال تكون في الجاهل : الغضب في غير غضب ـ والكلام في غير نفع ـ والعطية في غير موضع ـ والثقة بكل أحد ـ وألا يعرف صديقه من عدوه .

[البيان والتبيين]

إن بقلبك لشراً

قال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقال الحسن ، وقد سمع متكلماً يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرِقّ لها : يا هذا ، إن بقلبك لشراً أو بقلبي .

[زهر الآداب]

آبـــاء

يقال : أبو مرة ، وهو إبليس .

وأبو يحيى ، وهو قابض الأرواح .

وأبو دثار ، للكلة التي يُتوقى بها من البعوض .

وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له : أبو رياح .

وأبو مالك ، كناية عن الجوع والكِبَر ، وإنما سُمي الكبرُ بهذه الكنية لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه ، قال الشاعر :

أبو مالك يعتادنا في الظهائر
يُلِمُّ فيلقي رحله عند جابر

والعرب تسمي الخبز : جابراً ، وعاصماً ، وعامراً .

[ثمار القلوب للثعالبي]

السياسة

قال الوليد لعبد الملك : يا أبت ، ما السياسة ؟

قال : هيبةُ الخاصة مع صدق مودتها ، واقتيادُ قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمالُ هفوات الصنائع .

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

مراتب العلم ..

كان يقال :

أول العلم : الصمت .

والثاني : الاستماع .

والثالث : الحفظ .

والرابع : العمل به .

والخامس : نشره . . .

[البيان والتبيين]

الحركة الحضارية وغياب المشاركة الإسلامية المعاصرة

■■ لا جدال في أن قرننا الحالي شهد ولا يزال يشهد ازدهاراً هائلاً وتقدماً ملحوظاً في شتى مناحي الإبداعات الحضارية : من فتوحات علمية متنوعة باهرة وتقنيات عصرية عالية مدهشة ... لم يحفل بمثلها التاريخ البشري من قبل ... بصرف النظر عن مدى التوظيف السيء والسلبي الذي استهدفت له كثير من الاختراعات والآليات والذي كانت له انعكاسات سيئة ونتائج وخيمة على الكون والإنسان ... والراجع أساساً - نعني ذلك التوظيف - إلى ضمور الوازع الديني والأخلاقي في الضمير الغربي ■■

بقلم : عبد القادر عبار

أسباب تقدم الغرب والتفوق العلمي

ولا جدال كذلك في كون الغرب بجناحيه هو صاحب الرِّيادة في ذلك والمتقدم قبل غيره في كثير بل في جل ميادين العلم والتقنية : تطويراً واكتشافاً وابتكاراً .. نقولها بكل موضوعية ، بعيداً عن أي انفعال عاطفي ! :

فقد استطاع العقل الغربي بما توفر له من أسباب العمل وبما تهيَّأ له من عوامل البحث والفعالية : كالحريات والمصداقية والأمن الثقافي والفكري والعلمي والاجتماعي ، والتشجيع الأدبي والمادي والرعاية المستمرة والمتابعة الجادة والتخطيط والمنهج ... أن يقطع أشواطاً عملاقة في مجالات الإبداع والابتكار والبحث ، مسجلاً بذلك بصمات مشرقة وانتصارات جلية في مختلف مناحي الإبداع الحضاري .. تشهد بريادته وتفوقه .

إلَّا أن الحقيقة التي يجب ألَّا تغيب عن الذهن ونحنُ نقر هذا الامتياز العلمي للغرب ونعترف له بهذه الريادة .. هي أن العقل الغربي لم ينطلق من فراغ ولا من لمسة سحرية .. ليسجل كل هذه الانتصارات والفتوحات ، وما كان له أن يصل بهذه الدرجة من السرعة ، إلى ما هو عليه اليوم من تفوق وسبق لو لم يجد بين يديه بدايات جادة ومقدمات متينة وأسساً راسية وجهوداً سابقة ، اعتمدها كمرتكزات ومنطلقات لبداية مسيرته العلمية : فقد انطلق هذا العقل من حيث انتهت خطوات سلفنا من علماء الإسلام في العصر القيادي للحضارة الإسلامية التي أضاءت للغرب الأوروبي ظلمات عصوره الوسطى ، وقدّمت له مع أجهزة الرصد الفلكي ذخيرة من علوم الطبيعة والملاحة والطب والرياضيات والفلك[1] ... وهذه حقيقة يعترف بها علماء الغرب أنفسهم ، وكشفت عنها وسطَّرتها بكل موضوعية الكاتبة الألمانية « إيزفريت هونكا » في كتابها القيم : « شمس الإسلام تسطع على الغرب » وأفصح عنها « غوستاف لوبون » بقوله : « إن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون ، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم (يقصد علماء المسلمين) وأنهم الذين مدَّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً ، وتأثير العرب عظيم في الغرب »[2] .

غياب المشاركة العلمية الإسلامية

إلَّا أن الإضافات الغربية لهذه المقدمات والأسس والجهود .. تتمثل في كون علماء الفرنجة عرفوا كيف يستفيدون منها وكيف يوظفونها ويجعلون منها مصادر دفع وفعالية ، ولم يجعلوا منها ترفاً فكرياً يتلهون به ، أو مادة مِتْحفيَّة ساكنة أو عروضاً أثرية .. بل حرصوا على التزود منها وهضمها وتمثلها ، والاسترشاد بها واستفتائها فيما أشكل عليهم من أمور العلم .. وبذلك استطاعوا أن يكونوا فاعلين ورائدين في مجالات العلم والإبداع .. تتوالى خطواتهم حثيثة مكتشفة مجاهل الكون ، متنقلة من عصر البخار إلى عصر الكهرباء إلى الذرة .. ويظل الغرب كما أشرنا في البداية ، صاحب التاج والمبادرة دون منازع والمهيمن على الحركة العلمية والتقنية ...

بينما تظل المشاركة الاسلامية المعاصرة غائبة عن الميدان بشكل أو بآخر ، وهذا في الحقيقة واقع يؤسف له ويحز في قلب كل مسلم غيور ، يحس بانتمائه إلى الأمة الشاهدة - خير أمة أخرجت للناس - والتي من مستلزمات شهادتها وقيادتها أن تظل صاحبة السبق والامتياز لا أن تكتفي بالنظر والانبهار : ذلك أننا نملك الطاقات وتتوفر لدينا مصادر الفاعلية ، كما أن لدينا تراثاً

■ إن السبب في غياب المشاركة الإسلامية المعاصرة عن الحركة الحضارية هو المناخ السياسي المضطرب السائد في عالمنا العربي والإسلامي المتسم - في عمومه - بالاستبداد والحزبية الضيقة، والعلاقة المتشنجة بين بنية السلطة ومتطلبات التقدم.

علمياً قيّماً شاهداً على نبوغ العقل المسلم وإبداعه، وأبوّة علمية ونسباً علمياً عريقاً يصلنا بأعلام البحث وأقطاب العلم وجهابذة المعرفة من ابن سينا إلى الرازي فالإدريسي فالخوارزمي فابن الهيثم فابن خلدون ... والقائمة طويلة.

فلأي سبب إذن تظل مشاركة العقل المسلم المبدع معطّلة ومغيّبة عن الساحة !؟

أسباب وعوائق

في الحقيقة هناك شبكة من الأسباب الموضوعية القاهرة والمعيقة، تكمن وراء هذا التغييب المقصود، وتعمل جادة، على إقصاء المساهمات الإسلامية أو في أحسن الحالات تعتيمها وتقزيمها إن وجدت.

ومن هذه الأسبـــاب :

(١) الفهم السلبي لحقيقة الكفاءة : ففي عالمنا العربي والإسلامي يسود فَهْم خاطىء وسلبي للكفء باعتباره صاحب الشهادات العليا واللقب البارز، الذي يؤهله لاعتلاء منابر التدريس في المعاهد العليا ويسمح له بتقلد المناصب الرسمية السامية وإدارة المؤسسات ... دون أي اعتبار للتخصص والفاعلية والإخلاص والخُلُق .. وبهذا المقياس السطحي والفهم السلبي وجد كثير من أصحاب الكفاءات الحقّة والتخصصات العالية والمهارات والفعالية والاستقامة .. أنفسهم مُبعدين عن مصادر ومراكز التأثير والتنظير والتوجيه والتخطيط والبحث ..

(٢) الاعتماد على المؤسسات والجامعات الغربية في تكوين الإطارات وترشيد (!) الطاقات العلمية المتخصصة - من جهة - وارتكاز كثير من المؤسسات العلمية والتقنية الموجودة - على استحياء - في بعض الأقطار العربية، على أنماط مستوردة من الغرب ..

أضف إلى ذلك الفوضى وانعدام التخطيط وغياب المنهج الذي أدّى إلى تشتيت الجهود وتفتيتها، ومن ثم تقلصت المساهمة واختفت المبادرات الطيبة الصالحة إذ لم تجد المحضن الفاعل ولم تتوفر لها المؤسسة الناجعة ...

(٣) المناخ السياسي المضطرب السائد في عالمنا العربي والإسلامي والمتسم في عمومه بالاستبداد والحزبية الضيقة .. حيث توجد علاقة متشنجة مضطربة بين بُنْية السلطة وخصائصها وبين متطلبات التقدم العلمي والتكنولوجي. وهذا التشنج والاضطراب قد تعدّى بدوره لينعكس على العلاقة القائمة بين الرموز السياسية وأصحاب الكفاءة : حيث يصبح الكفء بحكم خبرته وتأهيله ونبوغه وفعاليته يمثل عنصر عدم استقرار وهاجس خوف بالنسبة للسلطة[3] .. وهذا ما دفع ولا يزال يدفع بكثير من الأنظمة إلى توخي سياسة التهجير ولو بطرق ذكية غير مباشرة كافتعال واختلاق عوامل دافعة إلى ذلك : كعدم المبالاة، وتقليص فرص العمل المناسب، وخنق حرية التعبير والتفكير، وعدم الاعتناء بمخابر البحث ومراكز التجارب بناءً وتجهيزاً ... كل هذه العوامل وغيرها تُولِّد بمرور الزمن لدى النابغين شعوراً مريراً بالإحباط واليأس والقلق والانسحاب ... وهذه في الحقيقة ضريبة النبوغ في العالم المتخلف.

ولعل في كلمة أحد السياسيين العرب لمواطنه العالم الدكتور في علوم الذرّة ... والذي يُشهد له عالمياً بنبوغه وتفوقه وفعاليته في ميدان تخصصه، والذي فاز سنة ١٩٦٩م برئاسة الوكالة الدولية للطاقة النووية .. خير دليل على تلك النظرة المجحفة للسلطة تجاه أهل الخبرات العلمية والكفاءة. فقد قال له بالحرف الواحد : « سنعصرك مثل الليمونة ثم نرميك !! ».

(٤) حرص الغرب على إبقاء العالم الإسلامي في صفوف الدول المتخلفة أو بالعبارة المهذبة الخادعة : الدول النامية ..

وقد سلك لهذا الغرض سياسة تتسم بالعداء الصريح والمكر الحاد، وهي تركّز على :

(أ) محاربة الإسلام وإبعاده عن ساحة التأثير والفعل والحركة، حتى تتعطل المحركات الفاعلة والطاقات الإيجابية التي باستطاعتها استنهاض الأمة وتجديدها وبعثها من رقدة العطالة والتخلف، والارتقاء بها إلى مراكز الريادة وقمم المجد.

(ب) إقصاء العلماء الصادقين والكفاءات العليا الفاعلة والمخلصة عن أية مشاركة أو مساهمة في تقرير شؤون الأمة .. التي ستجد نفسها في النهاية مشلولة ومعطلة، لفقدانها القيادات القادرة على التدبير والتخطيط والتنظير والتعبئة.

(ج) فرض التبعية الاقتصادية التي مهّد لها الغرب عملياً بنسفه أسس الاقتصاد الذاتي للأمة ... كالمحاولات التي استهدفت لها الصناعات المحلية والتقليدية والزراعة المحلية وغيرها، فقد عمد الغرب إلى تحطيمها وتشويهها وتخريبها .. حتى يوفر لبضاعته وإنتاجه سوقاً رحيبة واسعة .. ويجعل من البلاد سلة استهلاك.

(د) سد الطريق ورصد العراقيل أمام محاولات التقارب وأشكال التعاون والتضامن .. وإضعاف العلاقات الثقافية والتجارية والسياسية .. وذلك عن طريق فرض التجزئة التي لا تزال تمثل أكبر عائق أمام تطلع الأمة إلى استرداد قوّتها وفاعليتها.

كل هذه الأسباب وغيرها .. كانت وراء غياب المشاركة الإسلامية في حركة الإبداع الحضاري وهي - ولله الحمد - ليست عوائق مزمنة أبدية وإذن لكان اليأس والقنوط، وإنما هي في متناولنا متى شئنا إزالتها وإبعادها عن طريقنا ... شريطة العودة الواعية إلى الذات، والتحقق العميق والفاعل بتعاليم إسلامنا وكتابنا، في إطار من المنهج السليم والعمل الاستراتيجي المبرمج والمنظم والمتين.

هوامـــش

(١) انظر : القرآن وقضايا الإنسان : الدكتورة بنت الشاطىء، ص ٢٤١.

(٢) انظر : حول إعادة تشكيل العقل المسلم، الدكتور عماد الدين خليل، ص : ٧١.

(٣) انظر مجلة - العالم - العدد ٢٣ ص : ٦٥.

بقلم : د . إبراهيم علي أبو الخشب

التكافل الاجتماعي

■■ من الكلمات الحبيبة إلى أسماع الناس في كل زمان ومكان كلمة التكافل الاجتماعي وما يراد منها من الألفاظ الدالة على الترابط الذي يقوم بين الناس مقام القانون ، فلا يبيت إنسان شبعان وجاره إلى جانبه طاوي الحشا ، لا يجد ما يسد رمقه ، أو يمسك صلبه ، أو يدفع عنه غائلة الجوع ، وهو يقاسي مضاضة الحرمان ، وألم الفقر وكآبة الحاجة ، وحسرة العوز ، وربما تشدق بهذه الكلمة أرباب الأديان الأخرى زاعمين أنهم هم وحدهم كانت شريعتهم طبَّ النفوس ، وعلاج الأمراض . وشفاء علل هذا المجتمع الذي ينشد الإصلاح ، ويطلب التقويم ، ويمد يده إلى من ينقذه مما يعانيه .. ■■

في حين أن الإسلام وحده هو هذا الدين الذي اعتبر الإنسانية في ترابطها وتماسكها ، وحدب الكبير على الصغير ، والقوي على الضعيف . والصحيح على المريض ، والغني على الفقير ، والعالم على الجاهل ، ضريبة مفروضة . وواجباً محتوماً ، فاهتم بترابط الأفراد ، ومتانة العرى الاجتماعية . ودعا في كل تعاليمه إلى السخاء والبذل ، والجود والعطاء ، وكفالة اليتيم ، ورعاية الفقير ، وإغاثة الملهوف ، وإنقاذ العاني ، وإرشاد الضال ، وعلاج المريض ، وتعليم الجاهل . واعتبر هذه التكاليف التي يقوم بها المسلمون تهذيباً لشعورهم ، وتقويماً لسلوكهم ، بمثابة هذا الإعداد الاجتماعي الذي يجعل الفرد كامل الاستعداد للاستجابة إلى هذا الداعي النبيل حين يدعوه ، وهذه الصيحة الكريمة حين تناديه ، وبذلك يكون لبنة كريمة في بيئة صالحة ، أو جماعة قوية . يكون شأنها دائماً أبداً البناء لا الهدم ، والعمران لا التدمير ، والنهوض لا الركود ، والإقدام لا التخلف .. والإسلام في سبيل الوصول إلى هذه الغاية يُعَوِّد الفرد أن يكون إنساناً في كل عمل يعمله ، أو نية يضمرها ، أو سلوك يسلكه ، أو اتجاه يأخذ نفسه به ، ويعلن إليه أن أفضل برٍّ يوليه ، أو معروف يبذله هو هذا الذي يعود على الجماعة ، وتؤول عائدته إلى الأمة ، وليس ذلك في المال الذي يملكه . أو الجهد الذي يطيقه ، أو العلم الذي يحصله ، ولكن في المال وفي الجهد وفي العلم وفي كل ما يجعله عضواً نافعاً في البيئة التي تضمه ، وفي المجتمع الذي يحيط به ، وفي الأمة التي ينتسب إليها .. ومن أجل هذا فنحن نعتقد أنه يحث على التصدق ، ويأمر بدفع زكاة المال ، ويرغب في الإنفاق في سبيل الله ، لا ليكون هنالك طبقة عاجزة من شأنها أنها تستمرىء الأخذ ، وتستكين للفقر ، وتذل للحوادث ، وتلين عريكتها للأيام ، وتخضع آدميتها الكريمة للأمر الواقع ، فلا تعمل على إصلاح الحال ، أو الوضع ، ولا تسمو همتها إلى التخلص من تلك القيود ، وإنما هو لا يفعل ذلك ليظل المعدم معدماً ، والعاجز عاجزاً ، وليبقى هذا الذي يمد يده للسؤال على ما هو عليه من العجز والكسل والتواكل والتواني والضعف والتخلف والمرض ، وإنما يعطيه وهو يجعل من ذلك كله علاجاً عاجلاً ، ثم يقول له في الوقت ذاته ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .. كما يقول الرسول ﷺ « اليد العليا خير من

■ المال ليس غاية وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع .. فمن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورد صاحبها المهالك وتفتح على الناس أبواب الفساد ■

اليد السفلى » ثم هو مع هذا وهذا ينادي بالأخوة حيث يقول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ليكون المسلم في كل أحواله عطوفاً رؤوفاً لا يقطع عروة موصولة ، ولا يفسد مودة قائمة ، ولا يباعد نفسين متقاربين ، ولا يفرق قلبين جمع الله ما بينهما ... وهذا هو السبب الذي جعل بعض الفقهاء يقولون : إن الملكية وظيفة لا حق ، على معنى أنه يملك ليؤدي حقوق ما يملكه ، لا ليختزنه أو يعطله عن الغلة ، أو يتركه دون أن يستثمره ، وللحاكم حينئذ أن ينحيه عن هذه الملكية ، ثم يدفعها إلى من يقوم باستغلالها ، ويرى ابن حزم الظاهري رحمه الله أن الأرض الزراعية تؤخذ من المالك لها إن أهمل استغلالها ، أو قصر في زراعتها .. وقد نقل عنه أن على أهل كل بلد أن يقوموا بالإنفاق على الفقراء الذين يعيشون معهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم يكن في بيت المال ما يكفيهم ... ويقول الشيخ شلتوت رحمه الله : « والمال ليس غاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع ، وقضاء الحوائج ، فمن استعمله في هذا السبيل كان المال خيراً له وللمجتمع ، ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورد صاحبها المهالك ، وتفتح على الناس أبواب الفساد ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ومن أجل ذلك عبر عنه القرآن بـ « الخير » ، ليكون إنفاقه ـ كذلك ـ في الخير .. ووجوه الخير التي يجيء منها المال هي الزراعة والتجارة والصناعة ، وهي عمد الاقتصاد القومي لكل أمة تريد أن تحيا حياة استقلالية كريمة ، ومن الضروري العمل على تنسيق هذه الوجوه ـ التجارة والزراعة والصناعة ـ بما يحقق للأمة كيانها واستقلالها ، ومن هنا كان على ولي الأمر في الجماعة الإسلامية أن يعمل بكل ما يملك من جهد على ما يؤكد هذا الانتفاع ويحققه ، وأن يوازن بين حاجة الأمة من ذلك كله ، فلا يجعل الفضل للزراعة وحدها ، أو الصناعة وحدها ، أو التجارة وحدها ، لتحيا البلاد حياة عزيزة ، لا ينال منها طامع ، ولا يعتدي عليها مغتصب . ولا يمتص دماءها مستعمر ، وليس في هذا التقييد

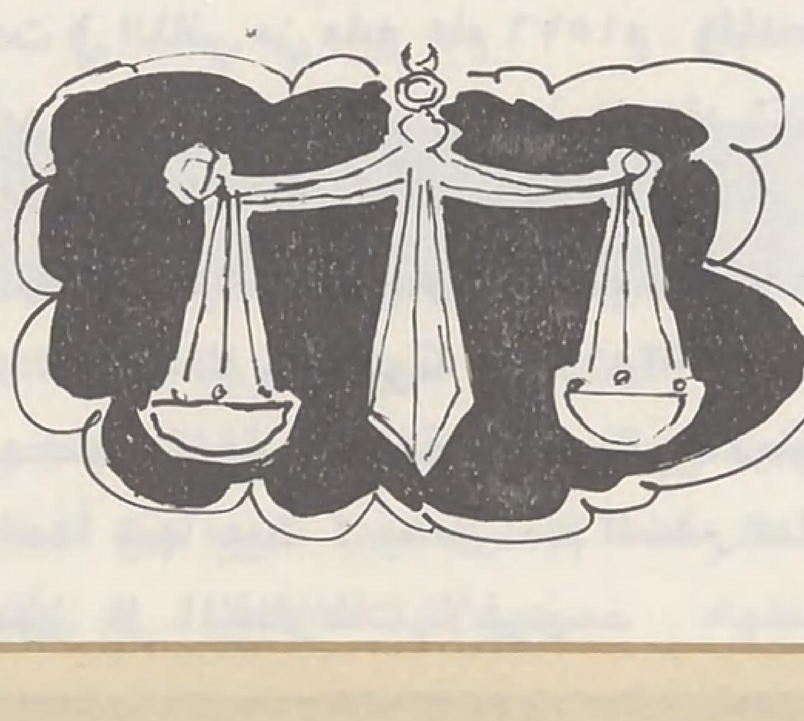

حجر على حرية الملكية ، ولا إهدار لحقوق الأفراد ، فإن واجب ولي الأمر يساوي واجب رب الأسرة .. وقد صح أن رسول الله ﷺ حمى أرضاً بالمدينة لترعى فيها خيول المسلمين ، وكذلك حمى عمر رضوان الله عليه أرضاً بالربذة لتكون مرعى عاماً ، فلما شكا إليه أهلها أفهمهم أنه للمصلحة العامة أخذها ، وربما كان هذا هو الذي يسميه علماء الفقه الإسلامي بالمصالح المرسلة ، وحاجة الجماعة مقدمة على حاجة الأفراد .. ومن هنا يقولون إن لولي الأمر نزع الملكية لتوسيع المسجد أو الشارع ، وبناء المستشفى أو المدرسة ، وغير ذلك من المصالح العامة التي يدخل فيها كل ما كان من قبيل إتاحة الفرصة الكريمة للأفراد وللجماعة على حد سواء .. ومن هذا الذي سردناه عليك ، وقدمناه بين يديك ، تطمئن كل الاطمئنان ، إلى أن هذا الدين ـ كما قدمنا لك ـ لم تكن تكاليفه للإرهاق ، ولا خالية عن المغزى ، ولا أوامر ملتزمة مجرد التزام ، وإنما هي تربية اجتماعية رشيدة ، وتهذيب إنساني صحيح ، وتنمية لروح البر بين الناس ، لتذوب الفوارق ، وترتفع الحواجز ، وتزول السدود ، فتصبح الأخوة الكاملة ، والرأفة الشاملة ، والرحمة العادلة ، هي الدساتير المرعية ، والقوانين المتبعة ، وبذلك يشعر المسلم بيد أخيه المسلم تربت عليه ، وتمسح عنه ، وتقدم له ألوان المعونة من غير أن تشعره أنها صدقة مال ، أو زكاة جاه ، أو ضريبة غنى ويسار ، وإنما هو واجب الإسلام ، وفريضة الدين ، قضى الله أن نرعاها بعناية ، وأن نؤديها باهتمام ، وكذلك كان المسلمون .

عالم الكتاب

■■ قام الدكتور « براوليو خوستيل » بنشر رسالته للدكتوراه ، وتشتمل على التحقيق النقدي لكتاب أبي العباس موسى الرجراجي ، وقدم لهذا التحقيق بدراسة مستوعبة عن المخطوط وكاتبه وموضوعه ، والعلماء السابقين عليه والمعاصرين له ، والكتابة في هذا الفن سواء لدى المسلمين أو النصارى ، وأنقل للقراء مقتطفات من الدراسة الإسبانية ومن النص العربي المنشور لهذا الكتاب ... ■■

الرجراجي وكتابة هِدَايَةُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ الرَّبِّ المَوْلَى

المخطوط ومكتبة الأسكوريال

بناء على دراسة المحقق فإن المخطوط الأساسي لهذا العمل القيم محتفظ به في مكتبة الأسكوريال الملكية القريبة من مدريد ، وترجع نسخته إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد إلى عام ١٥٤٢م .

وصل المخطوط إلى مكتبة الأوسكوريال في حدود عام ١٦٢٦م على أبعد تقدير ، حيث قام المستشرق الاسكتلندي « دافيد كولفيل David Colville » في هذا العام - المشار إليه - بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة الأوسكوريال ، وخاصة مجموعة « هورتادو دي ميندوثا Hortado de Mendoza » ، وقام بفهرستها ووصفها وصفاً مسهباً ، وكتب ملاحظاته باللغة اللاتينية عليها ، لكنه لوحظ أن ملاحظاته التي سجلها على مجموعة مولاي زيدان كانت مبتسرة ، ولا تشير إلّا إلى العنوان والمحتوى في كلمات قليلة سجلها في الركن الأسفل من كل مخطوط . وهناك من الأدلة ما يجعل وصول هذا المخطوط يدور حول نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، نشير إلى بعضها :

١ - لم يظهر المخطوط في فهرس المكتبة الذي أعده البروفيسور « دييغو دي أوريا Diego de Urea » بعد موت ملك إسبانيا فيليب الثاني عام ١٥٩٨م والذي انتهى إعداده عام ١٦٠٠م .

٢ - لم يسجل المخطوط في قوائم جرد المكتبة لما قبل عام ١٦٠٠م وخاصة سجلات الحصر التي تمت في الثاني من مايو عام ١٥٧٦م . ولقد شهد اليوم الثاني من حزيران (يونيه) عام ١٥٧٦م وصول المكتبة القيمة التي أهداها للأوسكوريال السفير الاسباني « دييغو هورتادو مندوثا Diego H. de Mendoza » والمكونة من (٢٥٦) مخطوطة معظمها باللغة العربية ، ولم يكن مخطوطنا واحداً منها حيث لا يحمل اسم السفير كما هو مدوّن على المخطوطات الأخرى .

وكذلك لم يكن المخطوط واحداً من المجموعة القيمة التي ضمت إلى مكتبة الأسكوريال عام ١٥٩٩م بعد أن كانت ملكاً لعالم الإنسانيات الشهير « بنيتو أرياس مونتانو Benito Arias Montano » والذي كان واحداً من أوائل من أداروا هذه المكتبة وتولوا مسؤولياتها ، وتكونت مجموعته من (٢٦) مخطوطاً مجلدة تجليداً فاخراً .

أما التحديد الأكثر احتمالاً إذنْ لوصول المخطوط إلى المكتبة فهو عام ١٦١٢م وهو العام الذي وصلت فيه مكتبة الأوسكوريال ، المجموعاتُ الضخمة من المخطوطات والكتب التي كانت تضمها مكتبة مولاي زيدان سلطان المغرب ، وهي المجموعة الوحيدة التي أضيفت إلى المكتبة خلال المدة من ١٦٠٠م إلى ١٦١٢م .

الأسكوريال ومكتبة مولاي زيدان

يروي لنا الدكتور « براوليو خوستيل » باختصار شديد ، قصة استيلاء الإسبان على مكتبة مولاي زيدان سلطان المغرب وكيفية ضمها إلى مكتبة الأوسكوريال الملكية لتصبح بذلك واحدة من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات العربية ، بل وأشهر هذه المكتبات على الإطلاق ، فيقول :

كان مولاي زيدان ابناً لأشهر سلاطين الأسرة السعدية ، أبي العباس أحمد المنصور الذهبي والذي حكم المغرب خلال المدة من (٩٨٦) إلى (١٠١٢هـ) الموافق ١٥٧٨ إلى ١٦٠٢م ، ولقد صعد المولى زيدان إلى عرش مراكش خلفاً لوالده وظل سلطاناً لمدة خمسة وعشرين عاماً كاملة من ١٠١٢هـ إلى ١٠٣٧هـ الموافق ١٦٠٣ إلى ١٦٢٨م ، وكان عهده - على ما يحدثنا به المؤرخ الفرنسي « ليفي بروفنسال » - حافلاً بالأحداث والثورات ، وخرجت عن طاعته أركان المغرب

بقلم : الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

■ الحياة عند المسلمين نتاج متكامل لما هو مادي وروحي ، ولا يفرقون بين الدين والسياسة ، لأن هذه الحياة إنما تنتظم بتعاليم الله سبحانه وتعالى ، والاقتناع كامل بين المسلمين على أن الازدهار المادي ليس إلَّا محصلة طبيعية للتدين الصحيح .

هداية من تولى غير الرب المولى
تأليف
ابي حفص عمر بن موسى بن محمد الرجراجي
تحقيق وترجمة الى الاسبانية ودراسة
براوليو خوستيل كلابوثو
المعهد الاسباني العربي للثقافة
مدريد ١٩٨٣

■ في عصر شمل فيه الانحطاط والتدهور كل مناحي الحياة في العالم الإسلامي وتهاون الناس في التمسك بمبادىء الدين وأخلاقياته ، بيَّن علماؤهم بوضوح أن العلاج الناجع يكمن في العودة إلى هذا الدين الحق .

الأربعة كلها . ولقد اضطرت إحدى تلك الثورات المستمرة المولى زيدان أن يرحل من مقره في « آسفي » إلى مدينة « أغادير » المغربية حاملاً معه أشياءه الشخصية وما استطاع حمله مما يعتز به . ومن أجل ذلك استأجر مركباً فرنسياً بقيادة القبطان « جين فيليب دي كاستيلانا Jean Philippe Castelane » لكي ينقل بعض أثاثه ومكتبته القيمة إلى مدينة « أغادير » .

وفي ميناء أغادير وحين ماطل السلطان في دفع المبلغ المتفق عليه ، استولى القنوط - أو ربما الجشع - على القبطان الفرنسي فهرب بحمولته تحت جنح الظلام متجهاً إلى ميناء مرسيليا الفرنسي ، لكن سوء طالعه أوقعه أمام مدينة « سالي » الاسبانية تحت رحمة ثلاث من بواخر المراقبة الإسبانية ، والتي اعتقد ملاحوها خطأ بوجود الذهب في صناديق الكتب فأسروا المركب الفرنسي وتوجهوا به إلى مدينة « بلنسية » الأندلسية ، ومن ثم أمر الملك فيليب الثالث ملك اسبانيا ، بنقل هذه المكتبة الضخمة والتي تتكون من (٣٠٠٠) مخطوط عربي إلى دير « سان لورنس دي الاسكوريال » حيث أودعت هناك على أمل أن يتم استبدال هذه الكتب بكل الأسرى النصارى المحتجزين لدى المغرب في ذلك الوقت ، وحين فشلت المفاوضات تم ضم هذه الغنيمة الضخمة إلى مكتبة الأوسكوريال مما أثرى مخزونها بصورة كبيرة ، وإلى هذه المجموعة ينتمي مخطوطنا الخاص بالهداية للشيخ الرجراجي .

المخطوط وحريق الأسكوريال

تعرضت مكتبة الاوسكوريال الملكية لحريق هائل التهم نصف ما فيها من مخطوطات عربية - على الأقل - ولو شاء لها القدر ، و أنقذتها عناية الله ، لازداد تراثنا الإسلامي ثراء وغنى ولكانت الأوسكوريال منهلاً عذباً لهذا التراث الغالي ، لكن كما أشرنا تعرضت هذه المكتبة لحريق ضخم لم تُعرف أسبابه ودوافعه بوضوح حتى الآن ، ذهب بالكثير مما تحتويه المكتبة . وشاءت العناية الإلهية أن يخرج مخطوط الهداية من هذا الحريق سالماً دون أن يُمس بأذى مع ألفين من المخطوطات تم قذفها من النوافذ إلى فناء الدير بعيداً عن النيران الملتهبة التي كادت أن تلتهم باقي محتويات المكتبة ، وتسبب ذلك في تلف عدد كبير من المخطوطات واختلاطها . وحيث إن الهداية لم تكن مرقمة أصلاً ، فقد تم تجليدها بعد ذلك بطريقة عشوائية وعلى يد رجل لا يعرف من العربية إلَّا قليلاً .

مؤلف الهداية

أسرة الرجراجي أسرة مغربية عريقة تقع أرضها في الجنوب الشرقي من البلاد ، وقد أنجبت هذه الأسرة عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء ، خصص لها « التاولي » في كتابه « التشوف » جزءاً كبيراً عنوانه « أخبار صالحي رجراجة » .

ولقد شهد منتصف القرن الخامس عشر الميلادي شخصيتين علميتين كبيرتين من هذه الأسرة حملا معاً اسم « أبو حفص عمر الرجراجي » وكان أكبرهما أكثر شهرة ، واشارت إليه جميع ترجمات عصره أو التالية لها ، وأجمعت جميعها على تاريخ وفاته في السادس من ذي القعدة ٨١٠هـ كما أنها لم تختلف في اسمه الكامل « أبو حفص عمر بن محمد أبو علي الفاسي الرجراجي » ، وتكاد الدلائل التي تشير إلى تقواه وورعه وإيمانه تحملنا على الاعتقاد بأنه مؤلف الهداية ، لكن مقارنة تاريخ وفاته بالأحداث التاريخية التي تشير إليها نصوص الهداية تؤكد لنا أن المؤلف هو شخص آخر ، أطلق عليه محقق الكتاب اسم « الرجراجي الأصغر » .

عاش مؤلف الهداية في فاس وفي تونس ، ورحل إلى مصر ومنها إلى مكة لأداء فريضة الحج عام ٨١٣هـ/ ١٤١١م ومات في حدود عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٥م ، وكان معاصراً للشيخ التونسي « ابن عروس » المتوفى ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م .

عصر المؤلف

عاش المؤلف حياته في نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين خلال حكم بني

مرين في المغرب والحفصيين في تونس، وقد تنقل المؤلف معظم حياته بين المغرب وتونس. ومن أجل ذلك نلقي قليلاً من الضوء على هاتين الأسرتين الحاكمتين:

حكمت أسرة بني مرين في المغرب من عام ١٢٦٩ إلى ١٤٧٠م وهي فترة تاريخية هامة سواء في حياة المغرب العربي أو الأندلس، كتبت فيها مجموعة من الدراسات الهامة خاصة كتابات العالم العربي ذائع الصيت «ابن خلدون»، ولقد وصلت هذه الأسرة إلى قمة مجدها السياسي خلال القرن الرابع عشر الميلادي، لكي تنحدر بعد ذلك بسرعة إلى نهايتها واختفائها. أما محاولاتها لاستعادة المملكة المنهارة والمتناثرة التي خلفها الموحدون، فإنها باءت بالفشل ولم تنجح في ذلك على الرغم من ازدهارها الكبير خلال الفترة من عهد السلطان أبي الحسن المريني ٧٣١هـ/١٣٣١م إلى ٧٥٢هـ/١٣٥١م وإلى الفترة الثانية من حكم السلطان أبي العباس ٧٩٦هـ/١٣٩٣م.

نجح السلطان أبو الحسن في إعلان الجهاد على النصارى في الأندلس واستطاع أن يسترد منهم جبل طارق - وهو طريق الإمداد بين المغرب والأندلس - لكنه لقي هزيمة مدمرة لجيوشه وجيوش بني نصر في معركة طريف التي كانت نهاية المعارك الكبرى ضد الإسبان الذين كانوا يتقدمون بسرعة لإخراج المسلمين من الأندلس.

أما من الناحية العلمية في عصر بني مرين فقد تركزت في المجال الفقهي التشريعي واهتموا بالأصول اهتماماً كبيراً، خاصة النصوص القرآنية والحديث، على عكس ما كان الحال عليه من اهتمام بالفروع في العصر المرابطي، وكانت كتابات حجة الإسلام الإمام الغزالي، من الكتب المفضلة في المغرب في هذه الحقبة.

وساد المذهب المالكي بينهم، كما هي أحوال الأندلسيين والمغاربة منذ القدم، ولكنه في هذا العصر تطعم بكتابات الغزالي، وأصبح هناك دم جديد يجري في عروق الفقهاء المرينيين؛ وإن كان يمكن القول بأن العصر المريني لم ينجب أعمالاً ذات مستوى رفيع بقدر ما دارت الحياة العلمية حول التفسير والتعليق على الأعمال الكبرى التي أنجبتها العصور السابقة لها، والعمل على استيعابها، وركز الفقهاء والعلماء هنا على الذاكرة والحفظ أكثر من تركيزهم على الإبداع والابتكار، وهي ظاهرة اتسمت بها الحالة العلمية في العالم الإسلامي كله حينذاك، ويدل على ذلك تأكيد «ابن خلدون» على أن مدرسة «فاس» قد تفوقت في هذا المجال، وأن التعليم فيها قد قام على تدريب ملكة الحفظ وتقويتها.

أما في أفريقية «تونس» فقد ورث الحفصيون دولة الموحدين، وحكمت هذه المنطقة من عام ٦٢٧/٩٨٢هـ - ١٢٢٩/١٥٧٤م وهي السنة التي تمكن فيها «سنان باشا» من ضم تونس إلى الدولة العثمانية، وفي النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي تمكن «خير الدين بارباروسا» من الاستيلاء على تونس، لكن الملك الحفصي «أبا الحسن» استدعى الإسبان بقيادة الامبراطور «كارلوس الخامس Carlos V»، الذي وصل إلى تونس مع حملة ضخمة عام ١٥٣٥م تمكن خلالها الاثنان من هزيمة «بارباروسا» والاستيلاء على تونس وإعادة الملك الحفصي عليها تابعاً ذليلاً لملك إسبانيا.

حكم من الأسرة الحفصية (٢٥) أميراً، يهمنا منهم ثلاثة حكموا في نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين وهم: «أبو فارس عبد العزيز ٧٩٦/٨٣٧هـ، ١٣٩٤/١٤٣٤م» و«المنصور ٨٣٧/٨٣٩هـ، ١٤٣٤/١٤٣٥م»، و«أبو عمر عثمان ٨٣٩/٨٩٣هـ، ١٤٣٥/١٤٨٨م».

عاصرت الأسرة الحفصية الأحداث التي مر بها بنو مرين في المغرب، وتشابهت الأسرتان - تقريباً - في جميع الأحوال، خاصة في المناحي الفكرية والعقلية وإن كانت في المغرب أكثر رفعة منها في أفريقية.

شهد العصر الحفصي نوعاً من الازدهار الثقافي تمثل باهتمام السلاطين بالحياة العلمية والعلماء، وتمتع أهل العلم بمكانة طيبة واحتلوا أماكن هامة في الحياة الاجتماعية والسياسية، ومع ذلك تبقى إشارتنا صحيحة إلى أن المستوى الفكري للمجتمع التونسي على عهد بني حفص كان أقل درجة منه في المغرب على عهد بني مرين رغم ظهور المدارس في تونس قبل مائة سنة على الأقل من ظهورها في المغرب.

عادت تونس إلى المذهب المالكي بعد الموحدين، لكنها ابتعدت عن تشدد الموحدين وشهدت في هذا المجال نوعاً من التسامح، امتد بدوره إلى الحركة الصوفية.

الهداية: ما هي؟

«هداية من تولى غير الرب المولى» رسالة في تأديب السلاطين، وهو نوع من الكتابة تفتقت عنه العقلية الإسلامية انطلاقاً من واجب المسلمين الشرعي في تقويم حكامهم بتقديم النصيحة الخالصة لهم ونتيجة للارتباط الوثيق بين الحياة الخلقية والعملية وهيمنة الدين على كلا المجالين، وكان ذلك سبباً في غزارة إنتاج المسلمين في هذا المجال حتى أصبح فناً من فنون ثقافتهم ومجالاً حياً من مجالات تفكيرهم سواء ما كتب منه باللغة العربية أو الفارسية. ولنشر بإيجاز إلى بعض المؤلفات التي تشبه الهداية في هذا المجال:

رسالة الصحابة والأدب الكبير لابن المقفع (توفي ١٤٢هـ/٧٥٩م) وكتاب «التاج» المنسوب إلى الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، وكتاب «السلطان» وهو الجزء الأول من كتاب «الخراج» لابن قتيبة (توفي ٣٢٩هـ/٩٤٠م)، وكتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي (توفي ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، و«نصيحة الملوك» للإمام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ/١١١١م)، وبعض أجزاء كتابه «الإحياء» وخاصة الأبواب المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب «سراج الملوك» للأندلسي - نزيل الإسكندرية - أبي بكر الطرطوشي (توفي ٥٢٠هـ/١١٢٦م).

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر

■ البداية السليمة لعودة المسلمين إلى الصراط المستقيم، ومن ثم إلى مجدهم وعزهم، تأتي من حكام المسلمين أنفسهم، على أساس أن فساد الرعية أو صلاحها إنما هو من فساد الحكام أو صلاحهم.

■ اهتم علماء المسلمين بالكتابة في مجال « تربية السلاطين » إلى درجة أن أصبح هذا المجال فناً من فنون ثقافتهم وعلماً يرتبط باسمهم دائماً ، ولقد وجد هذا النوع من الكتابة في الفنون الأوروبية ، ويحتاج الأمر إلى دراسة مستوعبة تبين لنا مجالات التأثر والاستفادة .

الميلادي كتب إبراهيم بن عبد الواحد بن أبي النور كتابه « سياسة الأمراء وولاة الجند » وفي النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي - عصر الرجراجي - كتب ابن السكاك كتابه « نصح ملوك الإسلام » كما يمكن أن يشار أيضاً إلى أرجوزتي ابن الخطيب المرسلتين ، وهما : « مقامات السياسة » و « إشارة إلى أدب السياسة » ، علاوة على ما كتب في هذا المجال باللغة الفارسية مثل : « قابوس نامه » و « سياسة نامه » التي كتبها الوزير الشهير نظام الملك ، ولقد تأثرت هداية الرجراجي بهذه المصادر السابقة عليها كلها ، فاعتمد على « الأحكام السلطانية » للماوردي ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي وغيرهما من مؤلفي هذا النوع من الكتب .

هداية الرجراجي وتربية الأمراء في النصرانية

قام محقق الهداية بدراسة مستوعبة للكتابات النصرانية في مجال تأديب السلاطين وتربية الأمراء ، خاصة خلال القرون الثلاثة الممتدة من الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادية ، وركز على المؤلفات التي عاصرت الرجراجي ، ويرى في بداية هذه الدراسة أن نشر كتاب « الأمير » لميكيافيللي قد فتح الباب أمام نظريات جديدة في الحكم وفي السلطة تختلف عن ما جاء عند الرجراجي أو العلماء المسلمين أو كتابات النصارى خلال نهايات العصور الوسطى ، ورغم هذا التباين فإنه يرى وجود بعض التوافق الهام بين الكتابين خصص له فصلاً خاصاً ، ثم استعرض أسماء المؤلفات النصرانية في هذا المجال ، وعرض لنقاط التوافق والاختلاف ، وإن كان قد استبعد التأثير المتبادل نتيجة لعدم فهم اللغة وبعض الصعوبات الأخرى : وهي دراسة تحتاج إلى ترجمة كاملة وإلى مراجعة خاصة لأهميتها بالنسبة للتأثير المتبادل بين الثقافة الإسلامية والنصرانية في العصور المتأخرة بعد القرن الثالث عشر الميلادي .

هداية من تولى

بداية الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه « عمر بن محمد الرجراجي » لطف الله به ورحمه ورضي عنه بجوده وفضله .

الحمد لله الذي مَنَّ بحفظه وكلاءته على الأملاك والملوك ، وأظهر من قدرته في إعجاز الفراعنة والقياصرة والأكاسرة ما رفع به الريوب والشكوك ، أزال بصِرْف توحيده عن قلوب المؤمنين الجهلَ والعمى فقال لسيد عبيده : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ فالكمال بتوحيد الأفعال مع الذات والصفات ، والمخل بالأول حام حول الحمى ... ظهر بجلاله وجماله لقلوب المؤمنين فملكهم ، وأعرض بعز كبريائه عن قلوب الغافلين فاستملكهم واسترقهم لملاك شتى غير مالكهم ، شرح صدور أهل التوحيد بنور الإيمان فأيقنوا أن مولاهم مالكهم ، فالموحدون بربهم يفرحون ، وبمولويته يفتخرون ، وبذكره بصفات العلو والمجد يستبشرون ، والغافلون ﴿ أَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ فهم ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وفي قفار ابقاهم يتقلبون ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . وصلى الله على من أمَّ مقامَ العبودية جميع العالمين ، سيدنا محمد ﷺ ما دام حزب الحق والباطل متعادين .

أما بعد فإن مقام السلطنة نائب عن مقعد النبوة ، فكما وقع العدل في حقه من الصفوة العاملين ، وقع التفريط والإفراط فيه من الجفاة الجاهلين الغافلين ، فلا بد للغافل من علم ذلك ليسلك سبيل المؤمنين وإلَّا تاه في بيداء الضلالة كما تاه عن طريق العدل فيه أكثر الهالكين ، والطريق العدل فيه ينحصر في مقدمة وأربعة أبواب : الباب الأول فيما للسلاطين ، الباب الثاني فيما عليهم ، الباب الثالث فيما ينبغي لهم ، الباب الرابع فيما ليس لهم .

(ص ٩ - ١٠) .

وبعد أن يبين لنا أهمية وجود السلطان وأن مكانته من أكبر آيات الله تعالى الدالة على توحيده ، ومن النعم التي يجب على جميع الخلق شكرها ، طلب منا أن ننظر إلى « حكمة الله تعالى في تدبير سلطنتهم تلك ففيه عبرة في ترتيب ملكوت الله عز وجل ، وذلك أن لكل طائفة من أعوان السلطان وأنصاره وحجابه ووزرائه وندمائه عملاً يختص به وخدمة يختص بها ، ولكل واحد مقام حُدَّ له لا يتجاوزه ومصلحة لا ينوب فيها غيره فإذا غاب توقف الجيش كله لفقد عمله .

وتصل أوامر السلطان إلى الرعية عبر وزرائه ثم إلى حجابه ثم إلى عماله ثم إلى حفاظه ، ثم إلى عرفائه ثم إلى مشايخ بلاده ثم إلى الوجيه في كل قرية فينفذ لآحاد الرعية فإذا وقعت مظلمة لأحد من الرعية ، رفعها إلى السلطان بهذا التدرج على العكس حتى تبلغ إليه ثم يرد الأمر فيها كذلك ، فأوامر تنزل وأوامر تعرج فسبحان المدبر في ملكوته . ثم إذا وقع للسلطان وجع أو تألم بعض أعضائه وقع بذلك التشويش في جميع مملكته فتتزعزع أركانها ، كلها جسد وهو رأسها ، ثم إن حدث سلطان آخر معه تشوشت كالجسد له رأسان فلا راحة إلَّا بإزالة أحدهما .

طاعة السلطان

يقول الرجراجي : السلطان في قومه خليفة النبي ﷺ في أمته ولما بعث الله نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين وجعل طاعته في طاعته فقال : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وجعل رسول الله ﷺ طاعته في طاعة أمراء أمته فقال في الصحيح : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » ، ويُروى « أميري » فإذا تحقق المؤمن أن الله عز وجل غني في هداية خلقه عن الأنبياء بحكمته رحمة للجميع فعرف الحق لأهله ، ثم لا يمنع ذلك من مراعاة حكم الله في الأسباب فيشكر الوسطاء على نحو ما حدّ له الشرع في ذلك .

■ على السلطان أن يكون حازماً في : اختيار العامل العادل ، وإقامة الصلاة في أوقاتها ، ومراقبة القضاة والشهود ، وأن يحترز أن يسمي أحكام القضاة أو الفقهاء أو غيرهم بالشرعية ، لأنهم مجتهدون ، والكمال لله وحده .

■ ليس للسلاطين استعباد الرعية والسماح لهم بالتمادي في مناداتهم بألقاب خاصة بالله سبحانه وتعالى .

■ من واجب المسلمين تقديم النصيحة الصادقة للسلطان دون تجاوزها إلى ما يقلل من هيبته ومكانته .

ويخصص الرجراجي الباب الأول بفصوله الثلاثة لتوضيح ما يجب للسلاطين على الرعية من السمع والطاعة وما لهم عند الله إن استقاموا ويورد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة التي تأمر بطاعة ولي الأمر أياً كان جنسه أو أصله أو لونه حتى ولو كان عبداً حبشياً مجدَّع الأطراف ، إلَّا من أمر بمعصية ، فلا طاعة للسلاطين إذا أمروا بمعصية ، ولا يجوز الخروج عنهم كيفما كانوا .

ويخصص الفصل الثالث من هذا الباب « في فضل الإمام العادل وثوابه عند الله تعالى » حيث أخرج مالك في موطئه والبخاري في صحيحه ، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظلّه ، الإمام العادل ... » فبدأ به ، كما أخرج قول رسول الله ﷺ « خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » ، قيل : يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة . » وفي الأثر « يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ورضي الله عن ابن المبارك فما أحسن قوله حيث قال :

والله يدفع بالسلطان معضلة
عن ديننا ـ رحمة منه ـ ودنيانا
لولا الخليفة لم تأمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

ويختم هذا الباب بما للسلطان على الرعية من الحقوق : « النصيحة » ففي صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة . قيل لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (ص ٢٣) .

ما ينبغي للسلاطين

خصص الرجراجي الباب الثالث بفصوله التسعة فيما ينبغي للسلاطين حيث قال : ينبغي لهم إذا قدموا عاملاً أن يقولوا له كما قال عمر بن عبد العزيز لعماله إذا ولَّاهم : « إنَّا قد وليناك على عملنا هذا فإن وجدناك أميناً قوياً سخياً شكرناك على أمانتك وأعدناك إلى عملك . وإلَّا ... ... » (ص ٣٢) .

وإذا ظفر السلطان بخائن من عماله فينبغي إذا أخذ مما بيده أن لا يرده عاملاً بعد ذلك ، وإن فعل فقد ظلم الرعية ...

وينبغي للسلطان حفظ أعراض المسلمين كأموالهم أو أشد ، حيث إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم .

ومما ينبغي للسلطان إذا خرج الأمر من يده في دفع مظلمة أو قضاء حاجة ألَّا يكون له همٌّ إلَّا إنقاذه ولا يسامح عماله في ترك الأخذ به .

ومما ينبغي للسلطان على سبيل الوجوب أن يجعل أمور الصلوات وإقامتها من أهم الأمور عنده ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكتب لعماله ، إن أهم أموركم عندي الصلاة ، من حفظها وحافظ عليها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » (ص ٣٤) .

ومما ينبغي للسلطان أن يتفقده ، ولا سيما في زماننا الفاسد ، أمر القضاة والشهود ، أما القضاة فتفقدهم بزجرهم عن الباطل إذا ظهر له فيهم ولا يسامحهم في القليل منه ، فإنه يجر إلى الكثير بخلاف العمال فإنه قد يحسن العفو عنهم بعد أدبهم في بعض الأحيان إذ ليس من تعدى بجهل كمن تجرأ بعلم ، ويجب عليه إذا وقعت نازلة مهمة أن يجمع عليها أهل العلم ببلده ولا يجتزىء بواحد أو اثنين بل كلما كثر الجمع فهو أصلح ليكثر البحث منهم عن مسائل الفتوى (ص ٤٠) .

ما ليس للسلاطين

وهو استعباد الرعية بتسميتهم إيَّاهم بأسماء مولاهم ومالكهم إذ الخلق كلهم عبيد لمولى واحد ، ولا ثاني له يشاركه في اسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إلـه إلَّا هو تعالى عمَّا يشركون . (ص ٥٩) .

ولقد ثبت مما تبين أن المؤمن الكامل يكره له كراهة شديدة أن يقول لغير الله « مولاي » أو « مالكي » ، إذ لا يستحق ذلك إلَّا مولاه الحق ومالكه المبين وربه الرحمن الرحيم . ويبين لنا الرجراجي الفرق بين المولوية والولاية « فالمولوية خاصة لا يجوز إطلاقها إلَّا في حق الله تعالى من الكامل ، ويجوز إطلاقها من الناقص لغير الله بحكم ظاهر الشريعة ، فإن المولى الحقيقي لا يضاف إليه العبد الحقيقي ، وأما الولي فهو عام في الكامل والناقص : يقال ولي المرأة وولي المحجور ، والمؤمنون بعضهم أولياء

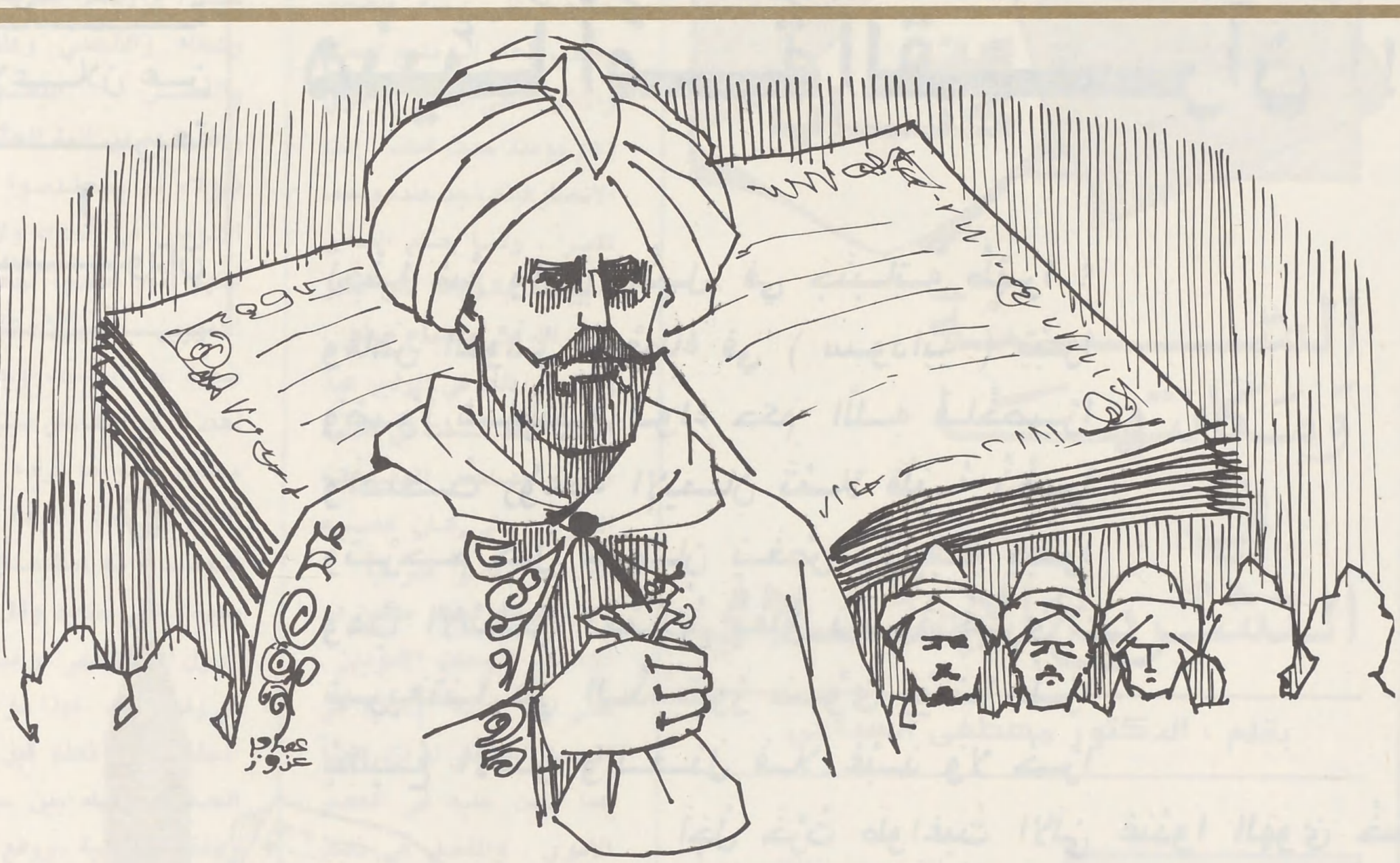

بعض ، والله ولي الذين آمنوا . ثم يعمل بعد ذلك على توضيح آرائه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي اقوال فقهاء المسلمين ، ويطيل القول في هذا المجال في صفحات طويلة (انظر من ص ٦١ إلى ص ٨٧) .

واعلم بأن السلطان خليفة رسول الله ﷺ على امته ـ كما قال أبو الحسن الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » ـ فمن جملة ما يجب عليه في حق رعيته أن يردهم من الإفراط والتوغل في مدحه والادب معه بما لا يجوز إلى ما ينبغي له ولهم كما كانت سيرة رسول الله ﷺ ، ويكون ذلك بالعنف مرة إذا علم ان مخاطبه بالمولوية عالمٌ بقبحه ، وباللطف أخرى إذا تخيل جهل المتكلم بذلك (ص ٩٣) .

فإن قلت : فما الذي يصنع من أراد الهداية من الملوك في زماننا وقد شاع الخطاب بالمولوية على السنة العامة ، وأكثر الخاصة ، وهل يكفيه ان يغير بقلبه فقط ؟ ، فإنه إن اشتغل بالإنكار على الناس مع كثرتهم ضاع وقته ، وإن تركهم ضيع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيأثم ؛ أو لا بد له من الإنكار عليهم بالقول ؟ فاقول : اما ترك الإنكار بالقول والاقتصار على كراهية القلب فلا مندوحة عنه ، إذ لنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة . (ص : ٩٥) .

يتناول الشيخ الرجراجي رحمه الله بعد ذلك ماذا يفعل المؤمنون إذا امتحنوا بأمثال من يفرطون في مدح السلطان . فيبين أن طائفة من العلماء اختارت البعد عن سماع خطبهم ، وطائفة أخرى اختارت الانشغال عنهم بالذكر والصلاة بالركوع والسجود ، وطائفة ثالثة اختارت السكوت دون الإنصات ولا يتكلم .

ثم يتناول خطبة الجمعة وصحة جواز ذكر الصحابة والترضي عنهم ، وما يكون فيها من الدعاء للأمراء والخلفاء والحكام وغيرهم ، مستشهداً بخطب للإمام علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وينتقل الرجراجي إلى نقطة هامة جداً في كتابه ، وهي : تزلف العلماء للسلاطين والأمراء والحكام بالأفعال والأقوال ، ويناقش الأسباب التي تؤدي إلى ذلك ، وصحة نسبة بعضهم إلى العلم حقاً ، وما يجب ان يتصف به العلماء والفقهاء من الزهد في الدنيا ، والتواضع والتحلي بالخلق الكريم ، واتباع احكام الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ .

وابتداء من الصفحة الخامسة والتسعين من النص العربي يقوم المؤلف بتعريف مكانة الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين ، وما ينبغي لحق الأنبياء مع اممهم والإذعان لأحكامهم ، مركزاً القول على سيدنا محمد ﷺ ، مع تفسير لآيات من القرآن الكريم وبعض الاحاديث النبوية ، ثم يعقد فصلاً خاصاً لحديث رسول الله ﷺ : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ، وانقسام الناس في هذا المجال إلى اقسام متباينة ، إلى أن يختم الكتاب بالصلاة على رسول الله ﷺ .

بعض الجوانب التاريخية

تعرض الكتاب في ثناياه لبعض الإشارات التاريخية والأسماء المعروفة عند روايته لبعض الأحداث ، خاصة ما يتعلق برواية الصوفي « الجنيد » ، واصحابه مع الخليفة المتوكل الواردة بالنص في الصفحات من ٤٨ إلى ٥٧ ، ولاحظ محقق الكتاب عدم دقة الروايات التاريخية وان هذه الرواية لا تستقيم من الناحية التاريخية لسبق وفاة الخليفة المتوكل لكل من « النوري » و « الجنيد » ، وأشار إلى أن هذه الرواية الصوفية قد وردت مراراً وتكراراً في كتب التصوف الإسلامي عامة ، وأن احداثها قد جرت امام اكثر من خليفة ؛ ويرى أن كاتب « الهداية » الرجراجي قد خلط بين شخصيتين : الأولى « للنوري » صاحب الجنيد ، والثانية « لذي النون المصري » الذي عاش ما بين ١٨٠/٢٤٦هـ ـ ٧٩٦/٨٦١م والمدان من قِبَل الفقيه المالكي المصري عبد الله بن الحكم ؛ وسجن ذو النون في بغداد في حوالي عام ٢٥٥هـ/ ٨٥٠م ، وعرض بالفعل يوماً ما على الخليفة المتوكل للنظر في أمره ، والخطأ والخلط بين الاسمين محتمل جداً .

بالإضافة إلى ذلك أشار المحقق إلى اختلافات تاريخية أخرى وإلى تباين الأسماء ، وختم هذه الملاحظات بقوله بأننا لن نعطي أهمية إلى هذا الجانب التدويني ، وذلك لأن للهداية رسالة مختلفة .

ويقع النص العربي من الكتاب في مائة واربع عشرة صفحة من الحجم المتوسط ، أما الدراسة الإسبانية وترجمة النص العربي إلى الإسبانية فقد شغلا مائتين وثلاثين صفحة من الحجم نفسه ، وكان هذا العمل (التحقيق والدراسة) رسالة دكتوراه قدمها الدكتور « خوستيل » عام ١٩٧٤م ونشرت مؤخراً بالمعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد .

بمناسبة
الإعلان عن
الشريعة
في
السودان

هنيئاً أُمَّةَ القرآن !!

أَحَقّاً شَعَّ وادي النِّيلِ في جَنَباتِهِ طُهْرا ؟
وفاضَ الكَوْثَرُ المِعْطاءُ في (سودانِهِ) تِبْرا
وَضَوَّأَ شاطِئَيهِ لواءُ حكمِ اللّهِ فاخْضرّا
وَأَضْحَتْ رَوْعَةُ الإيمانِ تَمْلأُ قَلْبَهُ ذُخْرا
وتَرْجُمُ كُلَّ شَيْطانٍ يَغَصُّ بِريقِهِ كِبْرا
وَهَبَّ الأسْمَرُ العِمْلاقُ يُعْلِنُ دَعْوَةً كُبْرىٰ :
شَرِيعَتُنا هي الدُّسْتورُ سَوّىٰ بَيْنَنا طُرّا
يُشيعُ الأَمْنَ وَالعَدْلَ فَلا عَبْدَ وَلا حُرّا
أَجَلْ خَرَّتْ طَواغيتُ الأُلَىٰ عَبَدُوا الهَوىٰ خُسْرا
وَباتَ السَّيْفُ مُنْصَلِتاً عَلىٰ مَنْ زاغَ وَاغْتَرّا
وَمَنْ سَرَقَ النَّهارَ الطَّلْقَ أَوْ عَصَرَ الدِّما خَمْرا
وَيَأْكُلُ بالرِّبا ناراً لِيُطْعِمَ غَيْرَهُ المُرّا
وَيَسْلُبُ قُوتَ مَن بَذَلوا فِداءَ الدَّعْوَةِ العُمْرا
وَيَجْعَلُ مِنْ جَماجِمِهِمْ كُؤُوساً أُتْرِعَتْ قَهْرا
تَبارَكَ ﴿ فالِقُ الإصْباحِ ﴾ آتي جُنْدِهِ النَّصْرا !!
وَمُحْيي أُمَّةٍ .. عَصَفَ النَّوىٰ بِتُراثِها دَهْرا
أَثارَ المُلْحِدُونَ رِياحَهُم تَغْتالُها جَهْرا
وَعاثوا في مَغانيها وَكَمْ زَرَعوا بِها وِزْرا
وَظَنُّوا أَنَّنا تُهْنا وَراءَ ضَبابِهِمْ أَسْرىٰ
وَكانَتْ نَفْخَةٌ في الصُّورِ .. هَزَّتْ أَنْفُساً حَيْرىٰ
هَنيئاً أُمَّةَ القُرْآنِ جاءَ الفَجْرُ مُفْتَرّا !!
وَحَبْلُ العُرْوَةِ الوُثْقىٰ يَشُدُّ قُلُوبَنا أَزْرا
وَتَجْمَعُنا أَواصِرُنا فَنَسْمو في الدُّنا قَدْرا
دَعَوْتُ اللّهَ أَنْ تَحْيا شَرِيعَةُ (أَحْمَدَ) الغَرّا
وَنَسْعىٰ عامِلِينَ بِها فَنَعْبُرَ باسْمِها العَصْرا

شعر : عبد الرحمن البجاوي

صفحة من كتاب

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

بقلم : الدكتور مصطفى السباعي

موقف الأمويين من الدين

يقيم المستشرق جولد تسيهر أساس نظريته على مدى الخلاف الذي زعم انه كان قائماً بين الأمويين (والعلماء الأتقياء) ، وقد حرص على أن يصور لنا الأمويين جماعة دنيويين ليس لهم همٌ إلا الفتح والاستعمار ، وأنهم كانوا في حياتهم العادية جاهلين لايمتون إلى تعاليم الإسلام وآدابه بصلة ، وهذا افتراء على الواقع والتاريخ ، ومن المسَلَّم به أن ما بين أيدينا من نصوص التاريخ التي تمثل لنا العصر الأموي ، إنما وضعت في العصر العباسي ، وقد كان عصراً مشبعاً بالعداوة لبني أمية ، فتزيد فيه الرواة والأخباريون ما شاؤوا ، ولعبت الشائعات التي أثارها صنائع العباسيين عن الأمويين وخلفائهم دوراً خطيراً في التاريخ ، إذ احتلت مكانتها في الكتب ، وغدت حقائق في نظر كثير من الناس ، وهي لاتعدو أن تكون أخباراً تناقلتها الألسنة دون تحقيق ، وهي من وضع صنائع العباسيين وغلاة الشيعة والروافض ، فلا يصح الاعتماد بدون تمحيص على كتب الأخبار والتاريخ فيما يتعلق بالأمويين .

هذا شيء ، وشيء آخر انه حتى في هذه الحالة فإنا نجد نصوصاً كثيرة تكذب ما رمى به هذا المستشرق خلفاء بني أمية من انحراف عن الإسلام وتحدٍّ لأحكامه ، فابن سعد يروي لنا في طبقاته عن نسك عبد الملك وتقواه قبل الخلافة ما جعل الناس يلقبونه بحمامة المسجد ، حتى لقد سئل ابن عمر : أرايت إذا تفانى أصحاب رسول الله ﷺ من نسال ؟ فاجابهم : سلوا هذا الفتى وأشار إلى عبد الملك ، وسترى في بحث الزهري أن عبد الملك كان حريصاً على إرشاد العلماء وطلاب العلم إلى تتبع السنن والآثار ، حتى لقد قال للزهري وهو يومئذ حدث شاب : إئتِ الأنصار فإنك تجد عندهم علماً كثيراً ، ولما جاء الناس لمبايعته بالخلافة كان يتلو كتاب الله على مصباح ضئيل ، وقل مثل ذلك في الوليد عبد الملك ، فلقد انشئت في عصره اكثر المساجد المعروفة اليوم ، حتى كان عصره للمسلمين عصراً عمرانياً .

والتاريخ ليذكر بكثير من الإعجاب فتوحات الأمويين . حتى إن رقعة الإسلام في العصر العباسي لم تزد كثيراً عما كانت عليه في العصر الأموي ، والفضل في ذلك للأمويين حيث كان أبناء خلفائهم على رأس الجيوش الفاتحة الغازية في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر شريعته ، فلماذا يعاديهم العلماء ؟ ولماذا يتهمون هؤلاء بأنهم لم يكونوا يفهمون الإسلام ؟ ولم يكونوا على شيء من حبه والتفاني فيه ؟

فما أقامه المستشرق من نظرية الوضع في الحديث ، بناء على اشتداد العداء بين الأمويين والعلماء الاتقياء لا أساس له من الصحة ، نعم ! لقد كان العداء بينهم وبين زعماء الخوارج والعلويين قوياً مستحكماً ، ولكن هؤلاء هم غير العلماء الذين نهضوا لجمع الحديث وتدوينه وروايته ونقده ، كسعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسالم مولى عبد الله بن عمر ، ونافع مولى ابن عمر ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، والإمام الزهري ، وعطاء ، والشعبي ، وعلقمة ، والحسن البصري ، وأضرابهم من أئمة الحديث ، فهؤلاء لم يصطدموا مع الأمويين في معارك ولا أثر عنهم أنهم تصدوا لخصومة الأمويين ، اللهم إلا ماكان من سعيد بن المسيب وجفائه لعبد الملك ، فقد كان سبب ذلك معلوماً وهو ما أراده عبد الملك من أخذ البيعة لابنه الوليد ، ثم لسليمان من بعده ، فأبى سعيد وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين في وقت واحد ، فهذا هو سبب الجفاء ، ولا نعلم قبل هذه الحادثة جفاء بين سعيد وخلفاء بني أمية ، ووقع شيء من الجفاء بين الحجاج وبعض علماء عصره ، سببه اشتداد الحجاج في مقاومة خصوم الدولة الأموية ، لا إمعانه في الفسق والضلال ، حتى يثور عليه العلماء الأتقياء . كيف وللحجاج فضل في إعجام حروف القرآن وشكل كلماته ، وهذا يدل على مبلغ عنايته بكتاب الله وذلك لا يكون إلا في نفس عميقة التدين .

وقصارى القول : إن هذا المستشرق إن عنى بالعلماء الذين وقعت الخصومة بينهم وبين الأمويين أنهم هم زعماء الخوارج والعلويين ، فنعم . ولكن هذا لاعلاقة له بالعلماء الذين دأبوا على نشر السنة وحفظها وتنقيتها ، وإن أراد بهم امثال عطاء ونافع وسعيد والحسن والزهري ومكحول وقتادة ، فكذب وافتراء يرده التاريخ ويأباه عليه كل الإباء .

الإسلامية

بقلم : محمد عروي

■■ عندما برزت ظاهرة الشعر الحديث في إطاره المكتمل حوالي الأربعينيات أحدثت هوة لا قرار لها بين مدرستين أدبيتين متباينتين تمام التباين :

١ - مدرسة احتضنت هذه الظاهرة ، وهللت لها وخصصت لها صحفاً ومجلات ، تبشر بها وتدعو إليها ، ونستطيع أن نذكر في هذا الصدد كثيراً من (الشعراء) ابتداءً من : نازك والسياب إلى آخرهم مروراً بالبياتي وصلاح عبد الصبور وأدونيس وخليل حاوي ..

وغيرهم ممن استأثروا بصحف المجلات مثل : مجلة الشعر ، والأديب وحوار وآفاق المغربية ، وكما يقال : (حدث ولا حرج) ..

٢ - وفي المقابل وقفت المدرسة المحافظة وقفتها العتيدة في وجه هذه الموجة التي يسميها أدعياء الثقافة بـ « الموجة الثالثة » ،

واعتبرتها على العكس من ذلك (موجة تالفة) تهدف إلى هدم البناء الشعري القديم الذي ظل الشعراء يصوغون تجاربهم الفنية والشعورية في قالبه دون أن يتطاولوا على نبذه أو الخروج عنه ■■

ومن النقاد من ذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث اعتبر ظاهرة الشعر الحديث بمثابة خطة من الخطط الهادفة إلى محو التراث المتمثل في الشعر العربي القديم واللغة والقرآن .

ولقد مثل هذه المدرسة كثير من النقاد والأدباء ، وبما أننا نتحدث أو ينبغي أن نتحدث عن كل القضايا بمنظور إسلامي ملتزم ، فإن كثيراً من النقاد الإسلاميين رفضوا ذلك الشعر الحديث أمثال : **أنور الجندي والدكتور عمر فروخ والشيخ محمد الغزالي** .

ومن هنا كان مفرق الطريق بين المدرستين لا تكاد تعايش الواحدة الأخرى شروى نقير .

تساؤلات !!!

ولقد أثيرت - نتيجة هذا المفرق - تساؤلات عديدة يطرحها المؤمن الرسالي طرحاً مُلحاً يصل في بعض الأحيان إلى حيرة فكرية تنتج عنها حيرة في الالتزام على مستوى الإبداع الهادف إلى إيجاد المسلم الفعال في مسيرة الحياة الاجتماعية والأدبية .

من بين هذه الأسئلة على سبيل المثال - لا الحصر - :

ما هو موقف الإسلام - حتى لا نقول ما هو موقف الأدب الإسلامي - إذ إن بعض الأوساط لا تؤمن بعد بوجود أدب إسلامي مستقل - ما هو موقف الإسلام من قضية الشعر الحديث شكلاً ومضموناً ؟

هل يتوافق مع شكله توافقه مع البناء القديم ؟!..

هل بإمكانه أن يطرح نظرية نقدية لواقع الشعر الحديث ولمستقبله ، على صعيد الحياة الأدبية من الشعراء والجمهور على حد سواء ؟

وهل بإمكان المسلم المبدع أن يصوغ تجربته الشعرية في قالب « التفعيلة الواحدة » أم ذلك ممنوع في حقه ؟ وهل من مبرر لرفع ذلك المنع - في حالة وجوده - أم لا ضرر لذلك ؟

وأسئلة أخرى أكبر من هذا القلم المتواضع ، وبما أن المشكلة - في رأيي - تحتاج إلى بيان وتوضيح ، فإني أرجو أخذ الكلمة لحظة واحدة لأقـول :

مكتسبات الشعر الحديث :

١ - من القضايا التي وصلت إلى درجة البداهة عند كثير من النقاد - سواء كانوا إسلاميين أو غير ملتزمين - أن الشعر الحديث - بشكله الراهن - قد حقق مكتسبات عديدة على مستوى الساحة الإبداعية ، وحتى الذين كانوا ينظمون في قوالب الشعر القديم ولوا

والشعر الحديث

وجوههم شطر هذا الشكل الجديد ، فجاءت انتاجاتهم الأخيرة أرقى وأجمل من الإبداعات الأولى .

٢ ــ لقد حصل ـ كنتيجة موضوعية لهذا الانتشار ـ أن مال القراء والمتذوقون إلى جهة الشعر الحديث ، وباتوا ينظرون إلى الشعر الكلاسيكي على أساس أنه (**كنيسة الأدب**) لا ينبغي للشعراء أن يخضعوا لأصفادها .

٣ ــ من هذه المنطلقات ـ النتائج ـ أرى أنه من المغامرة أن نتخلى عن هذا الشكل الجديد ، بعد ما علمنا النتائج الإيجابية التي حصل عليها ، وندعي خطورته ونكتفي فقط بالإبداع في إطار البناء الأصيل ـ إن كان هناك إبداع ـ من جهة ، وبالنقد الجامد للهيكل الحديث من جهة ثانية .

إن الأمر أضخم من ذلك بكثير ، إننا أصحاب عطاء لا ينضب أبداً ... هذا العطاء يتوفر على مرونة لا مثيل لها وهو بالتالي لا يعجز على أن « يتموضع » في إطار دون آخر ، خاصة إذا علمنا أن إطار الشعر الحديث يظل بعيداً ـ كإطار ـ عن كل « الأيديويولوجيات » السائدة .

وهنا أتذكر الغايتين اللتين ألح عليهما **الدكتور عمادالدين خليل** في عملية الإبداع وهما : **الجمالية والتأثير** .

فأي إبداع توفرت فيه الجمالية الإسلامية والتأثير الإسلامي أصبح جديراً بالاحترام والقبول ، ولا يضر بعد ذلك تموضعه في هذا القالب أو ذاك .

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أنوه بالانتاجات الشعرية التي أبدعها **الدكتور نجيب الكيلاني** في ديوانه (**كيف ألقاك**) والتي نظمها على غرار البناء الجديد مثل قصيدتيه : (**الروس قادمون**) و (**الشيطان**) ، وبالمناسبة ، فإني أدعو **الدكتور نجيب الكيلاني** إلى مساهمته في إثراء هذه القضية ، قضية (**الإسلامية والشعر الحديث**) .

النقــاد ... لماذا رفضوا الشعر الحديث ؟

٤ ــ إن معظم النقاد رفضوا الشعر الحديث لسببين رئيسين :

(أ) السبب الأول : يتجلى في ذلك التعقيد المتربص بالقصيدة من مطلعها إلى آخرها ، والذي يقف في وجهك شاهراً سيفه ، ولا يتيح لك فرصة ولوج عالم الشعر ـ إن كان هناك عالم ـ أو بعبارة أرحب أفقاً ـ إن كان هناك شاعر ـ كما يتجلى هذا السبب في ذلك الحشد الهائل من المصطلحات والألفاظ التي تستعصي على الفهم بالنسبة للقراء ، وفي غالب الأحيان بالنسبة للشاعر نفسه ، ناهيك عن توظيف ـ كما يقولون ـ بعض الأساطير الميتة واختلاق دلالات عائمة في ضمير الشاعر لم يتبين هو نفسه ملامح تلك الدلالات .

(ب) السبب الثاني : يتجلى في ظاهرة التقليد ، حيث اعتبر النقاد تلك الموجة الجديدة مجرد تقليد لموجات غربية غريبة عن أرضيتنا الفكرية والإبداعية ، ولا تلبث أن تتفتت في وجه صخرة أصالتنا فتصير هباءً تتقاذفه الرياح من كل جانب ، ومن خلال هذا السبب لاحظ النقاد أن هذه الموجة وقعت في تناقض مع نفسها ، ففي الوقت الذي يحاربون فيه تقليد الشعر القديم ويتبرمون منه تبرم أحدهم من **(الأجرب)** ، يقعون في تقليد نوع آخر ، يسقطون في تقليد المعطيات الإبداعية الوافدة من الغرب دون مراعاة لخصوصيات تلك المعطيات من جهة ولخصوصية ذاتيتنا الإسلامية التي لا تنفصل عن عقيدتنا ـ ذلك النبع المعطاء ـ من جهة أخرى وإلا فهو الموت الزؤام ، وهذا هو واقعنا واضح لمن يرى بعينيه ، وليس لمن يرى بعيني فئات معينة نعرفها جميعاً ، ولابد من الدخول معهم في حوار ونقاش حتى نقوض عروشهم أو نكاد .

● أي إبداع توفرت فيه الجمالية الإسلامية والتأثير الإسلامي ، جدير بالاحترام والقبــول ..

● الشعر الحديث ، ربما تبرم دعاته من الشعر القديم ورفضوا تقليده ، ولكنهم يقعون في تقليد من نوع آخر هو تقليد المعطيات الإبداعية الوافدة من الغرب ، دون مراعاة لخصوصيتنا الإسلامية المميزة ..

الإسلامية والشعر الحديث

● **تحت عاطفة الرد والانتقاد ، رفض بعض النقاد (الشعر الحديث) ونسوا أن يفرقوا بين القالب والمحتوى ، وبين الشكل والمضمون ..**

ولكن نتيجة لخروج أصحاب موجة (الشعر الحديث) حتى على وحدة التفعيلة ، وخلطهم الشعر بالنثر ، والغامض بالمفهوم فلا بد من الافتراق والمفاصلة .. ولا بد من ثورة ومن نقد ..

انطلاقاً من هذين السببين رفض بعض النقاد هذا الشعر الحديث ، ولعلهم ، وتحت عاطفة الرد والانتقاد ، نسوا أن يفرقوا بين القالب والمحتوىٰ ، بين الشكل والمضمون ، بين تلك الألفاظ والمصطلحات البعيدة عن الذوق والفهم ، وبين البناء الجديد .

ولقد كان في وسع النقاد أن يتساهلوا في حكمهم على هذا الشعر لو توقف الأمر عند حدود (**التفعيلة الواحدة**) والألفاظ ذات المأخذ السهل والأبعاد العميقة ، كما فعل « **نزار** » في قصيدتيه الطويلتين : « **هوامش على دفتر النكسة** » و « **فتح** » ، أما وقد خرج أصحاب هذه الموجة حتى على وحدة التفعيلة ، وبدأوا يخلطون الشعر بالنثر والغامض بالمفهوم ، والسهل بالصعب ، أما وقد وصل الأمر إلى هذا الحضيض .. فلابد من ثورة ولابد من نقد ، ولابد أخيراً من مفترق الطريق .

ومن خلال هذين السببين ، تبرز بعض القضايا التي لابد من البت في شأنها ، **مثل قضية الغموض وتوظيف الأساطير وقضية الاحتكاك بالانتاجات الوافدة من وراء البحار ..**

فإذا كان (**بابوات**) الشعر الحديث - أمثال **أدونيس** - يعتقدون أن **الغموض هو القوة المحفزة على ولوج عالم** الشاعر ، وأن الوضوح يسلب في كثير من الأحيان تلك المتعة التي يحققها الغموض ، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء ، فما هو موقف الإسلام من ظاهرة الغموض ؟

ومن خلال طرحنا لهذا السؤال نكون قد أدلفنا إلى قضية أخرى وهي : الفرق بين مصطلحي الغموض من جهة ، والعمق من جهة ثانية وهنا لابد للإسلامية أن تتقدم لتعطي المفهوم الدقيق لمصطلحي الغموض والعمق ، وتحدد الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الغموض والرموز .

ونصل بعد هذا إلى قضية توظيف الأساطير ، هذه الظاهرة التي أصبحت أهم خاصية تميز الشعر الحديث ونقول : **إن الإسلام الذي أقبر كل مظاهر الشرك والخرافات ، لا ولن يرضى للمنتسبين إليه أن يرجعوا إلى الوراء كي يجتروا معهم تلك الأساطير ولو على المستوى الفني فقط ، لأن الإسلامية لا تعرف تلك القطيعة الوهمية بين الفن والالتزام .**

■ أنور الجندي ■

■ عمر فروخ ■

■ الشيخ محمد الغزالي ■

اعتبروا الشعر الحديث خطة تهدف إلى محو التراث المتمثل في اللغة والقرآن ..

■ الدكتور نجيب الكيلاني ■

مدعو إلى إثراء الإسلامية والشعر الحديث .

● لا بد « للإسلامية » أن تقدم المفهوم الدقيق لمصطلحي الغموض والعمق ، وتحدد الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الغموض والرموز ، وتوظيف الأساطير .. تلك الخصائص التي أصبحت تميز الشعر الحديث .. في كثير من معطياته ..

ثم إن الإسلامية ترى في الأسطورة خطراً آخر وهو احتمال الخلط بين ما هو أسطوري وبين ما هو حقيقي ، سواء في مجال الاعتقاد أو في مجال التاريخ ، **وهذا هو الخطأ الشنيع الذي وقع فيه هؤلاء الشعراء .**

الاحتكاك بالغرب وإنتاجاته الأدبية

وندلف ـ بعد كل هذا ـ إلى النقطة الحساسة والتي ثار حولها جدال طويل وعريض ، والتي اعتبرها الناس قضية ، ألا وهي قضية الاحتكاك بالغرب ، وبالإنتاجات الأدبية الوافدة من هناك .

فمما لاشك فيه أن تلك الانتاجات ، إن لم تكن السبب المباشر في خلق موجة الشعر الحديث عندنا ، فإنها لعبت ـ على الأقل ـ دوراً بارزاً في تشكيل وبلورة هذا الشعر ، سواء من حيث البناء الشكلي أو من حيث المضامين .

ولكننا نحن الإسلاميين الذين نعرف ونعيش يومياً تجربة (دس السم في العسل) ما موقعنا من هذا الاحتكاك ؟؟

أنجعله احتكاكاً قوامه الاستيراد ، فنخلط بالتالي بين استيراد الأفكار والبضائع التجارية ، أم نجعله احتكاكاً أساسه الأخذ والعطاء ، أو ربما تغليب كفة العطاء ، لأننا ـ وانطلاقاً من موازيننا الإسلامية ـ نعلم حقيقة أنفسنا كما نعلم حقيقة الغرب ومستواه العلمي والفكري والخلقي على السواء .

وقد يطول بنا الحديث إذا حاولنا تشخيص مثل هذه الظواهر والقضايا ولكننا نجمل القول فنقول :

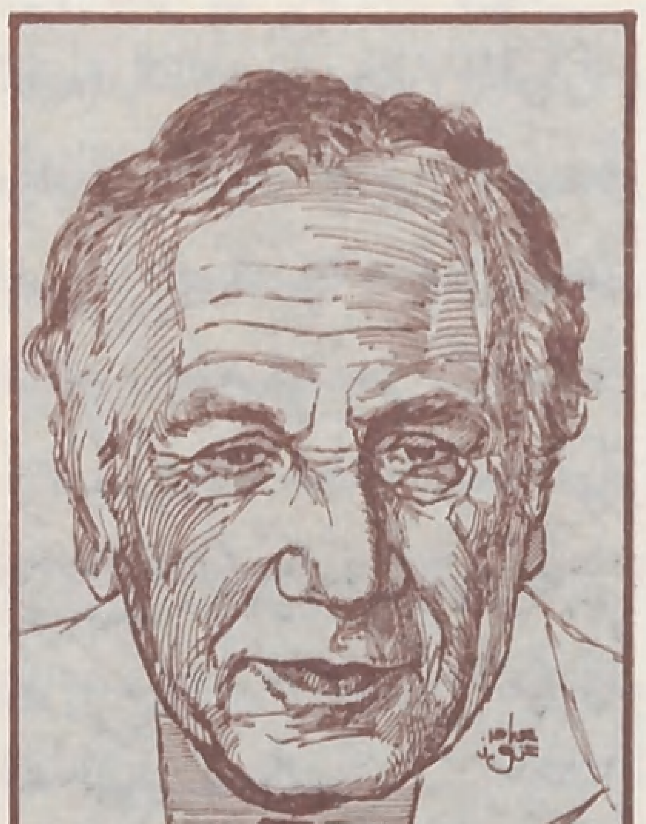

■ نزار قباني ■ سهولة المأخذ وعمق الأبعاد .

■ أدونيس ■ الغموض طلباً للمتعة في عالم الشاعر .

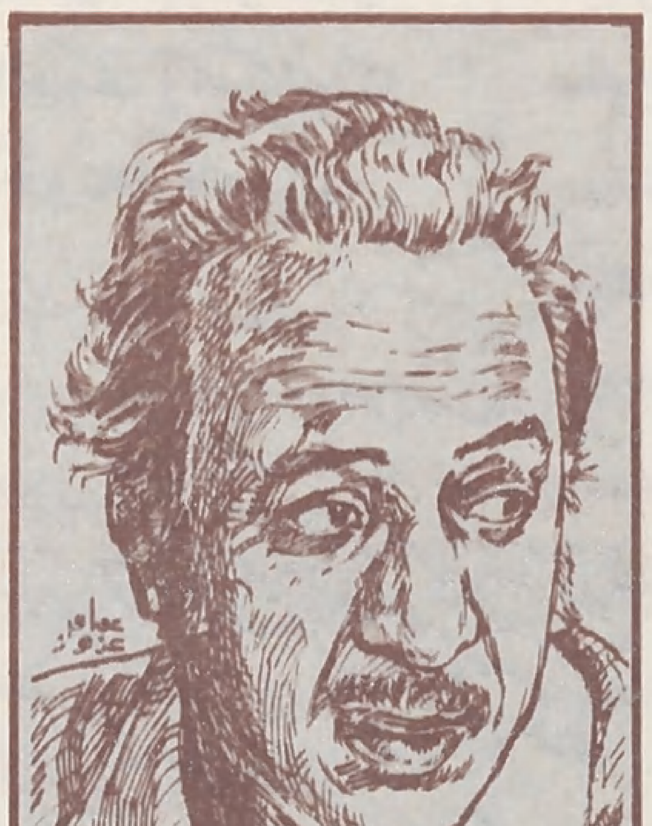

■ صلاح عبد الصبور ■ هل الدعوة إلى الشعر الحديث تعني هدم البناء الشعري القديم ؟

● ما هو موقف الإسلامية من الشعر الحديث شكلاً ومضموناً ؟؟ علماً بأن الشكل العربي القديم لم يكن من إبداع الإسلام وإنما كان موجوداً قبل نزول الوحي ، وإذا كان الإسلام قد زكى الشكل القديم ، والذي ليس من إنتاجه فلماذا لا يزكي الشكل الحديث ؟؟؟

● لابد للإسلامية أن تأخذ البادرة وتتقدم بشروح دقيقة للمفاهيم والمصطلحات الحديثة مثل : العمق والغموض في هذا المجال .

● تقول الصحف : إن الشعر الحديث يمر بأزمة خطيرة ، فما هو موقف الإسلامية من هذه الأزمة ؟ أين تتجلى هذه الأزمة ؟ ما هي أسبابها الحقيقية في نظره ؟ هل هي أسباب فنية محضة ؟ أم هي أسباب اجتماعية بالدرجة الأولى ؟؟؟

● أخيراً ـ وليس آخراً ـ أين هو الشاعر الإسلامي الحديث ؟؟؟؟

أين هو الشاعر الذي يستطيع أن يقدم للآخرين قضايا الحياة تقديماً فنياً تتجلى فيه أسمى خصائص الشعر ألا وهي : الجمالية والتأثير .

وأتوقف هنا راجياً من الله عز وجل أن يوفقنا إلى الفلاح السياسي والاجتماعي والأدبي ، إنه على كل شيء قدير .

التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية

□□ بعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بدين الإسلام، وجعل معجزته القرآن الكريم، وهي المعجزة اللغوية الوحيدة بين معجزات الأنبياء عليهم السلام؛ ومنذ ذلك العهد تبوأ القرآن الكريم مكان الصدارة لدى أرباب اللغة والبيان، ومن ثم اعتبر الباحثون قديماً وحديثاً أن أهم حدث في تاريخ هذه اللغة هو نزول القرآن الكريم، وظهور الإسلام[1]. وبدا أثر هذا الحدث واضحاً في لغة الحديث النبوي الشريف. ونستطيع أن نتبين مداه إذا علمنا أن القرآن الكريم كان يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل ثم يأتي الحديث النبوي الشريف فيفصّل ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤)، فالقرآن الكريم مثلاً لم يذكر التكاليف العملية التفصيلية والأحكام المترتبة على دلالة بعض الألفاظ الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم مثل الصلاة والزكاة والحج ـ وهي أهم أركان الإسلام ـ بل اكتفى بنحو قوله عزّ من قائل: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ[*] وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة: ١١٠)، وجاء الحديث النبوي الشريف ليفصّل أوقات الصلاة وكيفياتها، كما فصّل القواعد التي يجب اتباعها في جمع الزكاة[2].

والصلاة والزكاة أنموذجان لما تناولته السنة النبوية بالبيان والشرح حتى إنه ليصح لنا القول: إن السنة تبيّن أحكام القرآن الكريم بياناً لغوياً، كما أنها توضح المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية والسلوك المترتب على هذه المفاهيم الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم ■■

ومن المتعارف عليه ان دراسة اللغة العربية غاية ووسيلة، فهي غاية ممثلة في هذه اللغة الجديدة في كلام الله سبحانه وتعالى؛ إذ ان مجرد تلاوته عبادة، وهي أيضاً وسيلة لفهم ما وراء هذه الكلمات واستعمالها كما وردت في آي القرآن المجيد، والحديث الشريف، وكلام ائمة الدين من بعد.

موقف علماء اللغة الأوائل من تفسير القرآن

لقد وقف علماء اللغة العربية من سلفنا الأوائل إزاء شرح هذه الكلمات الجديدة وقفة طويلة مترددين في الإقدام على هذا العمل الشاق، وذلك لتحرجهم أن يتجرؤوا على تفسير كتاب الله بغير علم، فلغة القرآن الكريم تُعرب عن معان جديدة. فهل يُؤخذ اللفظ على ظاهره، أو أن دقائق المعنى تقتضي أن يوجه اللفظ توجيهاً آخر؟

فأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) يرى أن فهم لغة القرآن الكريم وتدبر معانيه غاية كل مسلم، وأن الشعر واللغة ينبغي أن يكونا أدوات لفهم لغة القرآن الكريم، وعلى هذا النهج ألّف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) كتابه «مجاز القرآن» وسائر كتبه في هذا الباب. وهما مقلدان لعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) رضي الله عنهما[3] بينما عارض الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٤هـ) هذا الاتجاه إذ اشتُهر عنه أنه لم يكن يحب التعرض لتفسير الفاظ القرآن تورعاً وتديناً فضلاً عن الاستشهاد بالشعر في هذا الباب[4].

أثر القرآن في إثراء العربية والتوسع الدّلالي لألفاظها

لقد أعطى القرآن الكريم أنموذجاً جديداً وممتازاً لهذه اللغة، ودفعها إلى حضارة جديدة، فلقد جاء الإسلام بمفاهيم جديدة في

بقلم : الدكتور حامد صادق قنيبي

■ جاء الإسلام بمفاهيم جديدة في العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، مما لم يألفه العرب في جاهليتهم ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة ؛ انعكس أثرها على اللغة العربية ، إذ هي وعاء الفكر ودليله ..

العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق مما لم يألفه العرب في جاهليتهم ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة انعكس أثرها على اللغة العربية ؛ إذ هي وعاء الفكر ودليله .

ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية مادة لغوية جديدة تغاير معاني الألفاظ المعهودة قبل الإسلام ؛ إذ تستمد معانيها من لغة التنزيل المجيد ، والحديث النبوي الشريف ، وهكذا نشأت طائفة من الكلمات الإسلامية[٥] ، يمكن أن نسميها « المصطلحات الإسلامية أو الشرعية »[٦] .

يقول ابن فارس[٧] : « كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله ـ جلّ ثناؤه ـ بالإسلام حالت أحوالٌ ، ونُسخت ديانات ، وأُبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زيدت ، وشرائع شُرعت ، وشرائط شُرطت . فعَفّى الآخر الأول . وشُغل القوم بعد المغادرات والتجارات وتطلب الأرباح ، والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة ، بتلاوة الكتاب العزيز الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ ، وبالتفقه في دين الله ـ عزَّ وجل ـ وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام . فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشؤوا هم عليه كأن لم يكن ، وحتى تكلموا في دقائق الفقه ، وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دوِّن وحفظ حتى الآن . فصاروا بعد ما ذكرناه إلى أن يُسأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويَحْسُب بثلاث كلمات ؛ وذلك قول أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) حين سُئِل عن ابنتين وأبوين وامرأة : « **صار ثُمنها تُسْعاً** »[٨] فسميت المنبرية ، وإلى أن يقول[٩] على منبره ، والمهاجرون والأنصار متوافرون :

« سلوني ، فوالله ما من آية إلَّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل » ، وحتى قال [رضي الله عنه] وأشار إلى ابنيه :

« يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علمَ ما مضى وما يكون » .

وإلى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرائض : **كالمشتركة** ، ومسألة **المباهلة والغرّاء وأم الفروخ ، وأم الأرامل** ، ومســألة **الامتحان** ومسـألة **ابن مسعود والأكدرية ومختصرة زيد والخرقاء** وغيرها مما هو أغمض وأدق . فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب ـ بتوفيقه ـ عما ألفوه ونُشِّئوا عليه وغُذّوا به إلى مثل هذا الذي ذكرناه . وكل ذلك دليل على حق الإيمان وصحة نبوة نبينا **محمد** ﷺ .

فكان مما جاء في الإسلام ذكر **المؤمن والمسلم والكافر والمنافق** . وأن العرب إنما عرفت المؤمن من **الأمان والإيمان**[١٠] ، وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن مؤمناً . وكذلك **الإسلام والمسلم** ، وإنما عَرَفَتْ منه إسلام الشيء . ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من **الكفر** إلَّا الغطاء والستر . فأما **المنـافق** فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من **نافقـاء اليربوع**[١١] . ولم يعرفوا في **الفِسـق** إلَّا قولهم : **فَسَـقت الرُّطَبة**[١٢] إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاشُ في الخروج عن طاعة الله ـ عزَّ وجل ـ ومما جاء في الشرع **الصَّـلاة** ، وأصلها في لغتهم الدعاء . وقد كانوا عرفوا **الركوع والسجود** وإن لم يكن على هذه الهيئة .

قال **النابغـة الذبياني** :

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّـةٍ غَوَّاصُـها
بَهِجٌ متى يَـرَهـا يُهِـلَّ وَيَسْجُـدِ

وقال أبو عمرو : **أَسْجَدَ** الرجل : طأطأ رأسه وانحنى . وأنشـد :

*** أَسْجِـدْ لليلي فَأَسْجَـدا ***

يعني البعير إذا طأطأ رأسه لتركبه . وهذا وإن كان كذا فإنَّ العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والمواقيت والتحريم للصلاة والتحليل منها . وكذلك **الصِّيـام** أصله عندهم **الإمسـاك** . ويقول شاعرهم[١٤] :

خَيْلٌ صِيامٌ وَأُخْرى غَيْر صائِمة
تحت العَجاجِ ، وخيلٌ تعلك اللُّجُما

ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة ، وغير ذلك من شرائع الصوم . وكذلك **الحـج** لم يكن عندهم فيه غير **القصد وسبر الجراح**[١٥] ، من ذلك قولهم[١٦] :

التوسع الدلالي
في الكلمات الإسلامية

وَأَشْهدُ مِنْ عَوْفٍ حُلولاً كَثيرةً
يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبرقانِ المُزَعْفَرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره . وكذلك **الزَّكـاة** لم تكن العرب تعرفها . إلَّا من ناحية **النَّمـاء** ،

وزاد الشرع ما زاد فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره .

وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من **العمـرة والجهـاد** وسائر أبواب الفقه .

فالوجه في هذا إذا سُئل الإنسان عنه أن يقول : في الصلاة اسمان : **لُغَوي وشَرعي** ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به . وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : **لغوي وصناعي** .

ويحدد لنا الجاحظ بعض سمات هذا التغير اللغوي الذي طرا على العربية بسبب الإسلام ؛ ممثلاً في سقوط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال فيقول[17] : « **ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة ؛ فمن ذلك تسميتهم للخـراج إتاوة** وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان **الحُلوان**[18] **والمكس** ، كما تركوا **أنعم صباحاً وانعم ظلاماً** ، وصاروا يقولون : **كيف أصبحتم ، وكيف أمسيتم** ؟ كما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع : **أبيت اللعن** ، وقد ترك العبد أن يقول لسيده : **ربي** ، وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا : **ربّنـا** » .

ويقول أيضاً : « ومن الكلام المتروك والتي زالت أسماؤه مع زوال معانيها المِرباع والنشيطة وبقي **الصَّفايا**[19] ، فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس وصار في الإسلام **الخمس** على سنة الله تعالى ، وأما **النشيطة** فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه ، وبقي **الصَّـفي** ، وكان لرسول الله ﷺ من كل مغنم »[20] . ويقول ابن فارس : إنَّ **الصَّـفي** أيضاً زال بعد وفاة الرسول ﷺ[21] .

لقد أطلنا في سرد النصوص السابقة لأنها تلقي أضواءً ساطعةً على صميم ما نحن بصدد بيانه ، لقد أسقط الإسلام كلمات وتراكيب من العربية لم تعد صالحة للتعبير عن الفكر الجديد ، فلم تعد مثل كلمات : إتاوة ، مكس ، المرباع ، النشيطة محتاجاً إليها فهُجرت ؛ لأن الإسلام غيَّر من القيم الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي ، ثم عدل عن دلالة بعض الألفاظ وأضاف إليها دلالات جديدة لم تكن شائعة الاستعمال من قبل ، فلم يعد العبد يقول لسيده : ربّي ، ولم تعد حاشية الملك يقولون : ربنا ، لأن دلالة كلمة الرب اختلفت بعد الإسلام ، وفي ذلك يقول **أبو حاتم الرازي** (ت ٣٢٢هـ) : « الرَّبُّ المالك والسيد ، والرب في كلام العرب هو المالك ؛ يُقال : هذا ربُّ الدار ، وربُّ المملوك ، ويقال ذلك في كل مالك لشيء ... ولا يقال للمخلوق هو « الرب » معرَّفاً بالألف واللام كما يقال لله عزَّ وجل بل يعرّف بالإضافة فيقال : ربُّ الدار ، وربُّ البيت وغير ذلك ، لأنه لا يملك غير ذلك الشيء[22] ، فإذا قيل « الرب » معرَّفاً بالألف واللام دلت على العموم واستغني بذلك عن الإضافة ، لأنه عزَّ وجل ربُّ كل شيء ومالكه ، فلا يضاف إلى شيء فيختص به دون غيره . وإذا قيل للمخلوق أضيف إليه شيءٌ خاص دون غيره ، فقيل : ربُّ الدار ، وربُّ القوم ، أي : رئيسهم وسيدهم . وهو في كلام العرب مشهور[23] .

ونلحظ مثل هذا في بقية أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم فمعظمها نقل من الدلالة الحسية إلى دلالة مجردة تتناسب مع ما وصف صاحب العِزَّةِ به نفسه ؛ فهو الواحد ، الأحد ، الظاهر ، الباطن ، البارىء ، المصور ، السلام ، المؤمن[24] ... سبحانه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ... ﴾ .

ولم يتوقف التوسع الدلالي للألفاظ على إسقاط بعض التراكيب والألفاظ من الاستعمال ، أو إضافة دلالات جديدة إلى بعض الألفاظ القديمة بل تجاوزه إلى استحداث نوع آخر من الدلالات أيضاً إلى الفاظ اعتاد العرب استعمالها على غير المعنى الذي جاء به الإسلام ، ومن ثم نُسخت معانيها القديمة ولم تعد تستعمل إلَّا في المعاني الإسلامية الجديدة ، وأهم هذه الألفاظ ما اتصل بشعائر الإسلام وعباداته كما سبق بيانه[25] .

غير أنه يجدر بنا بعد استعراض هذه الألفاظ التي ذكرها **ابن فارس والجاحظ والرازي** أن نؤكد ما يلي :

* إن هناك الفاظاً كثيرة كانت تستعمل في الجاهلية لمعانٍ محدودة ، ثم جاء الإسلام وتصرف فيها فصارت لها معانٍ أخرىٰ ، وإن لم تتغير صياغتها من نحو : الصلاة ، الصوم ، الزكاة ، الحج ، الإسلام ، الإيمان ... وغيرها .
* إن بعض هذه الألفاظ اشتُق ولم يكن من قبل معروفاً بهذه الصيغة

■ تطلبت الحضارة الإسلامية مادة لغوية جديدة ، تغاير معاني الألفاظ المعهودة قبل الإسلام ؛ إذ تستمد معانيها من لغة التنزيل المجيد ، والحديث النبوي الشريف ؛ وهكذا نشأت طائفة من الكلمات الإسلامية يمكن أن نسميها « المصطلحات الإسلامية أو الشرعية » .

أو الدلالة ؛ مثل المنافق .

* إن الرسول ﷺ قد تولى بنفسه بيان هذه المصطلحات الجديدة ، وإن هذا البيان قد حصل بطرق مختلفة كقوله ، أو فعله ، أو تقريره عليه الصلاة والسلام :

ففي الصلاة مثلاً نجد الرسول ﷺ يصلي ثم يقول : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » . وفي الحج يقول : « **خُذوا عَنِّي مَناسِكَكُمْ** » .

ومثل ذلك في الصيام والزكاة وسائر العبادات ، نجد الصحابة رضوان الله عليهم يؤدون عباداتهم كما رأوا الرسول ﷺ ، وكما سمعوا منه .

وفي المعاملات من بيع واقتراض ورهن وزواج ، قلَّد الصحابة رسول الله ﷺ واجتنبوا ما حظر .

اللغة العربيـــة في ظل الإســـلام تتحـــول إلى لغة علم وحضـــارة

لقد أخذت اللغة العربية بهذا التغير الدلالي في ألفاظها تتحول لتصبح لغة حضارة من نوع فريد ، للتشريع فيها مكان مرموق ، وأخذت عقول المسلمين تتجه إلى تكوين لغة علمية تحدد بها الفكرة تحديداً واضحاً ؛ ذلك أنَّ استنباط الأحكام التي يراد فهمها وتطبيقها تخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الإقناع ووسيلة الفهم ، وبذلك بدأت العربية بهذه « الكلمات الإسلامية » ترسي قواعد صوغ المصطلح العلمي وفق أسس منهجية أدت إلى قيام علوم إسلامية التحمت فيها جهود الفقهاء بجهود اللغويين وغيرهم من علماء أصول الفقه والمتكلمين .

ولقد أغنى أولئك السلف الصالح بجهودهم خلال العصور هذا الرصيد من المصطلحات ؛ ولكنه ظل مبعثراً هنا وهناك في تضاعيف كتبهم وأعمالهم[٢٦] . وذلك للاعتقاد الراسخ أن اللغة ليست إلَّا أداة للتعبير عن المفاهيم الإسلامية ؛ وبات من المتعذر على المسلمين أن يفكروا في فصل علوم العربية عن علوم الإسلام ، أو يفكروا في علوم إسلامية وعلوم شرعية دون استخدام اللغة العربية[٢٧] .

وبادىء ذي بَدْء يجب التنويه إلى أن تلك المصطلحات لم تكن ارتجالاً من لدن الفقهاء وغيرهم من الشرعيين ، وإنما رجعوا فيها إلى ما جاء به الإسلام نفسه ، ويبقى لهم بعد ذلك فضل صياغة التعريفات الدالة على المعاني الجديدة ، وأن هذه التعريفات قد مرَّت بمراحل من التطور في صيغ أساليبها[٢٨] .

ففي كل باب من أبواب الفقه نجد ألفاظاً لها معانٍ اصطلاحية غير معانيها اللغوية ؛ ففي الإرث مثلاً : **الفرائض ، الأكدرية ، العَصَبة ، العَوْل ، الحرمان ... إلخ**[٢٩] .

وفي النكاح : **الشِّغار ، اللعان ، الفسخ ، الخلع ، خيار العيب ، العزل ، الاستبراء ... إلخ**[٣٠] .

وفي الدعـاوىٰ : **تخصيص القضاء ، رفع الدعوىٰ ، يمين الاستظهار ، الحجْر ... إلخ**[٣١] .

ولا يغفل الفقهاء كما بيَّنا عند استعمالهم مصطلحاً أن يبينوا معناه الذي نقل إليه ، ومثاله : الوقف في اللغة الحبس ، وفي الاصطلاح حبس العين عن أن تكون ملكاً لأحدٍ من الناس ، والتصدق بمنفعتها .

وإذا عرضت لهم لفظة معرَّبة[٣٢] نصوا على ذلك ، ومثاله : الجِلْو ، السُّفْتُجة ، الكدك[٣٣] . ولا شك أنهم بذلك قد أغنوا الألفاظ الاصطلاحية فلم يعرض لهم معنىً إلَّا اصطلحوا على الدلالة عليه بلفظ عربي ينقلونه عن معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي لأية مناسبة ، فإذا لم يجدوا للمعنى لفظاً عربياً أدخلوه من باب التعريب[٣٢] ولم يضيقوا ذرعاً بذلك .

خلاصـــــــة

وبعـــد ؛ فإجمالاً لما سبق بيانه في هذه التوطئة في المصطلحات الفقهية نقــول :

أولاً : إن الرسول ﷺ قد وضع البذور الأولى للغة الفقهاء عندما كان ينقل بعض الألفاظ العربية من معانيها اللغوية إلى حقائق شرعية او اصطلاحية . ولقد تم هذا النقل عن طريق المجاز اللغوي ، يقول السيوطي نقلاً عن ابن برهان :

« **والأول ـ يعني نقل الأسماء من اللغة إلى الشرع ـ هو الصحيح ؛ وهو أن رسول الله ﷺ نَقَلَها من اللغة إلى الشرع ، ولا تخرج بهذا النقل عن احد قسمي كلام العرب ، وهو المجاز** »[٣٤] .

وفي القرن الثالث الهجري تضخم رصيد هذه المصطلحات وتوزعت كتب الفقه ، وساهم اللغويون في ذلك ، ولكن طابع الفردية ظل مميزاً في هذه الجهود ، ولهذا السبب يمكن عزو الاختلاف بين فقهاء الحجاز وفقهاء العراق . ففقهاء الحجاز مثلاً لا يفرقون بين الفرض والواجب ، على عكس فقهاء العراق ، وفقهاء الحجاز لا يفرقون بين الباطل والفاسد في المعاملات أو العبادات بينما فقهاء العراق يفرقون بين الباطل والفاسد في المعاملات ويسوّون بينهما في العبادات .

ثانياً : إن التحضر الذي أفاء على الأمة الإسلامية منذ أواخر القرن الثاني الهجري قد انعكس على مظاهر الحياة كلها ، وأن الناس قد تأثروا بذلك في لُبسهم وأكلهم وكل مظاهر حياتهم ، ومن المحال ألَّا يتأثروا كذلك في تفكيرهم ولسانهم ، لذا دخلت طائفة من الألفاظ الأعجمية لغة الفقهاء من باب التعريب .

ثالثاً : إن العربية قادرة على الاستجابة لسائر دواعي الحياة الدينية والدنيوية ، وإن الاشتقاق فيها يمنحها الجدة ومسايرة الزمن مما يضمن لها الخلود والبقـاء .

رابعاً : ومن هنـــا جازلنا أن نقترح أنه يمكن لباحثٍ أومجموعة من الباحثين أن يعكفوا على جمع هذه المصطلحات مع شروحها ، وأن يضيفوا إليها ما استحدث المعاصرون في هذا الباب ، وبذلك يكون هذا العمل معجماً تخصصياً في لغة الفقهاء ، ثم هو عمل تمهيدي للمعجم التاريخي ، الذي ما يزال الأمل المنشود لمجمع اللغة العربية

التوسع الدلالي في الكلمات الإسلامية

بالقاهرة ، ونرجو أن تقيض أسباب إخراجه .

المراجع

(١) انظر الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) . إعجاز القرآن تحقيق السيد أحمد صقر . القاهرة ، دار المعارف ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م ص ١٩ و ٣٥ . وانظر ك ، يوهان . العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار . القاهرة ، ١٩٥١م . ص ١ وما بعدها .

(*) الصلاة بمعناها اللغوي مطلق الدعاء ، وفي معناها الإسلامي الشرعي : عبادة خاصَّة كما بينها رسول الله ﷺ .

(٢) انظر ابن الأثير ، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ) . النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي . ط الحلبي . القاهرة (٦٣ - ١٩٦٥م) . المقدمة ١/ ٤ وما بعدها .

(٣) على هذا الأساس كانت « سؤالات نافع بن الأزرق » لابن عباس رضي الله عنهما . والأخبار التي رويت عنه تشير إلى انه ابتدع لوناً من تفسير ألفاظ القرآن الكريم يقوم على الاستعانة بما أُثر من كلام العرب شعراً أو نثراً حتى تحرّج الناس وتشككوا فيما ذهب إليه . يروي حميد الأعرج وعبد الله بن أبيْ بكر بن محمد عن أبيه قال : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمُصادِقِهِ من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس :

سلاني عما بدا لكما .

فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ .

قال ابن عباس : العِزون : حَلَقُ الرفاق .

قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال ابن عباس : نعم . أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاؤوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

ثم استمر يسأله على هذا الوجه مسائل عديدة ، وقد طالت رواية هذه المحاورة في كتاب الاتفاق حتى ملات خمس عشرة صفحة [انظر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ) ، الاتقان في علوم القرآن ط الحلبي القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م الجزء الأول ص ١٢٠ وما بعدها] .

(٤) انظر ابو الطيب ، عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١هـ) ، مراتب النحويين تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ط ١٩٥٥م . ص ٤٨ .

(٥) انظر الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢هـ) ، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية . تحقيق حسين الهمداني ، ط القاهرة ١٩٥٧م . الجزء الأول ص ٥٦ وما بعدها .

(٦) المصطلح هو : اللفظ او الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي او عملي او فني او اي عمل ذي طبيعة خاصة (شاهين ، عبد الصبور . العربية لغة العلوم والتقنية ط السعودية ، الدمام ١٤٠٣هـ ص ١٢١) واقول : إن هذا التعريف غير مانع لدخول كثير من الألفاظ اللغوية المستعملة في العلوم ضمن التعريف كالضوء في علم الفيزياء والحديد والذهب في الكيمياء والجمع في الحساب وهلم جرّا .

(٧) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ) . الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها . تحقيق مصطفى الشويمي ط لبنان ١٣٨٣هـ . ص ٧٨ وما بعدها .

(٨) التُسع : جزء من تسعة أجزاء متساوية (انظر المعجم الوسيط) .

(٩) هو الإمام عليّ .

(١٠) لعلَّ الأصل : من الأمان او الإيمان وهو التصديق . لأن الأمان - بمعنى الأمن - غير الإيمان كما هو معروف .

(١١) في اللسان : سمي المنافق منافقاً لأنه نافق كاليربوع ؛ وهو دخوله نافقاءه .

(١٢) في الأصل المطبوع الرطبة بسكون الطاء والأصح فتحها كما في اللسان مادة (ف س ق) .

(١٣) شطر البيت من إنشـاء أبي عبيد (اللسان) .

(١٤) البيت وارد في (اللسان) منسوباً للنابغة الذبياني . وهو في ديوانه .

(١٥) يقال حجّ الشجَّة إذا سبرها بالميل ليعالجها (انظر معجمات اللغة) .

(١٦) البيت وارد في (اللسان) منسوباً للمخبَّل السعدي القريعي التميمي ، وهو شاعر مُجيد مخضرم .

(١٧) الجاحظ ، أبو عثمان . الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ط الحلبي القاهرة ، ١٩٥٨م ، ١/ ٣٢٧ - ٣٢٨ ، وانظر الصاحبي ص ٩٠ .

(١٨) الحُلْوان : ما تهبه لإنسان على شيء يفعله غير الأجرة ، والحلوان أيضاً ما يأخذه الرجل من مهر ابنته لنفسه (صحاح الجوهري) .

(١٩) الصفايا : ما كان يصطفيه الرئيس لنفسه من خيار الغنيمة .

(٢٠) الحيوان ص١/ ٣٣٠ . وانظر : السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ط الحلبي ، القاهرة . تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ١/ ٢٩٦ .

(٢١) الصاحبي ص ٩٠ .

(٢٢) كذا في الأصل : ولعل الصواب أن يقال : لا يملك كل شيء ، إذ غالباً ما يملك الإنسان الواحد اكثر من شيء واحد .

(٢٣) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية ٢/ ٢٧ .

(٢٤) انظر لزيادة التفصيل المرجع السابق ص ٣٢ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٠ .

(٢٥) راجع نص ابن فارس ، وانظر لمزيد من التوسع الحيوان ١/ ٣٣٢ وكتاب الزينة ١/ ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢٦) نهض مجموعة من الباحثين إلى وضع التصانيف التي تشرح هذه الكلمات . وقد عرفت تلك الكتب بكتب الغريبين (القرآن والحديث) ، أي شرح غريب القرآن ، وشرح غريب الحديث النبوي ، وكذلك مجاز القرآن ومجاز الحديث . وهو نوع من البحث الدلالي في الفاظ القرآن والحديث وتطور استعمالها .

(٢٧) انظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، الجزء الأول ، المقدمة ص ١ .

(٢٨) قارن مثلاً بين تعريف « بيع السلم » في مبسوط الإمام محمد بن الحسن (من القرن الثاني) والتعريف الوارد في بدائع الإمام الكاساني الملقب بملك العلماء (من القرن السادس) .

(٢٩) انظر ابن النجار ، منتهى الإرادات ٢/ ٦٩ وما بعدها .

(٣٠) المرجع السابق ٢/ ١٥١ وما بعدها .

(٣١) المرجع السابق ٢/ ٥٧٤ وما بعدها .

(٣٢) التعريب هو : نقل اللفظ من العجمية إلى العربية ، والمشهور فيه التعريب ، وسماه سيبويه وغيره « إعراباً » - وهو إمام العربية - فيقال حينئذ « معْرب » (بسكون العين) ومعرَّب (بتشديد الراء المفتوحة) [الخفاجي ، شهاب الدين ت ١٠٦٩هـ/ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تحقيق عبد المنعم خفاجي ط مصر ١٣٧١هـ ، ص ٢٣ .

(٣٣) الخِلْو : لغة من خلا الإناء مما فيه ، أي : صِفر فهو خالٍ ، واصطلاحاً : تنازل المرء عن الحق بعوض . والسُّفْتَجة : بفتح السين والفاء بينهما فاء ساكنة لفظ معرَّب ج سفاتج . واصطلاحاً : ما يُعرف اليوم بالحوالة المالية ، وهي وثيقة تمكنك من قبض مالك الذي اقرضته شخصاً عندما تنتقل لبلدٍ آخر من وكيله أو عميله في البلد الآخر درءاً لخطر الطريق ومؤنة الحمل .

والكَدَك : بالتحريك معرَّب ، وهو ما يبنيه المستأجر في عقار الوقف دون أن يحسب ذلك على الوقف ، والكاديك : ريع عقار ذلك الوقف .

(٣٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٢٩٨ - ٢٩٩ .

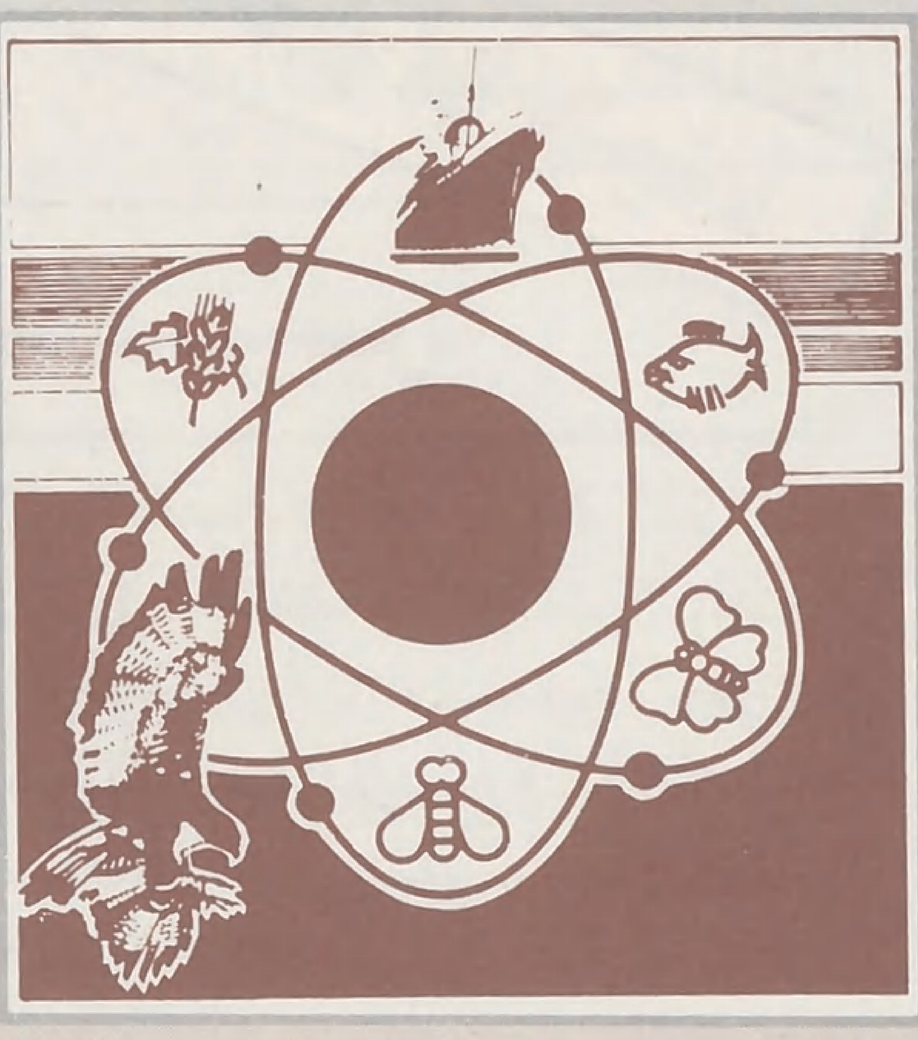

العلم والحياة

الجديد في الطاقة الشمسية

ترسل الشمس كل يوم من الأشعة ما يكفي لتوليد الطاقة اللازمة لتشغيل المصانع والبيوت على الأرض. وقد تمثل التحدي العلمي في استغلال كامل تلك الطاقة وتخزينها لاستخدامها عند الحاجة، والأهم من ذلك أن يتم الاستخدام بشكل اقتصادي يناسب الحياة اليومية.

كانت أهم الإنجازات في هذا المجال تصنيع الخلايا «الكهروبيضوئية» التي أصبحت في قلب كل نظام كهربائي يستخدم الطاقة الشمسية.

وكانت هذه الخلايا أكثر تكلفة وفعالية من خلايا السيليكون التقليدية، وقد مكنت الخلايا الجديدة الباحثين من تصنيع أجهزة متطورة تعمل بالطاقة الشمسية. ولكن قد تمضي سنوات قبل توليد الطاقة من هذه الخلايا بشكل اقتصادي. ولذلك فإن الباحثين يعكفون على تكييف الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية، خاصة أجهزة التبريد والتدفئة، لتعمل بواسطة الخلايا التقليدية قليلة التكاليف.

هذا وقد توصل الباحثون مؤخراً إلى أسلوب جديد لاستغلال الطاقة الشمسية بواسطة الخلايا « اللا متبلرة » التي تتكون من غشاء من السيليكون بسمك «ميكرون» (واحد على ألف من المليمتر) يوضع على طبقة مرنة من الزجاج والبلاستيك.

هذه الخلايا رخيصة التكاليف لسببين: الأول أنها تحتاج إلى ٦٠.٠/ ١ من السيليكون الذي تحتاجه الخلايا المتبلرة، كما أن الذرات تنتشر بشكل عشوائي وليس بنظام كما هي الحال في الخلايا المتبلرة.

من أجل زيادة فعالية الخلايا اللا متبلرة فإن الباحثين يحاولون وضع عدة طبقات من السيليكون، كل طبقة منها حساسة لأحد إشعاعات الطيف الشمسي.

حتى وقت قريب اقتصر استخدام الخلايا اللا متبلرة على الأجهزة التي تتطلب طاقة كبيرة، مثل الحاسبات والساعات. ولكنَّ هناك أملاً كبيراً في استغلال هذه الخلايا لتوليد الطاقة اللازمة لتشغيل الأجهزة المنزلية، وكذلك لتخزين تلك الطاقة واستخدامها عند اللزوم.

لقد طورت شركة «سانيو» اليابانية جهاز راديو صغيراً جداً مزوداً بخلية لا متبلرة قادرة إذا تعرضت للشمس أربع ساعات، أن تشحن بطارية صغيرة داخله كافية لتشغيله (٢٦) ساعة

« فريزر » يعمل بالطاقة الشمسية

طوّرت إحدى الشركات البريطانية « فريزر » يعمل بالطاقة الشمسية للمحافظة على « الطعوم » ونقلها في المناطق الحارة. وقد تم استخدام عشرين منها للتجربة بموافقة منظمة الصحة العالمية. ورغم أنها تعمل بالطاقة الشمسية إلّا أنها تختزن الحرارة أثناء الليل، وفي الأيام التي تحتجب فيها الشمس بسبب الغيوم، لمدة ستة أيام متتالية.

طب

طريقة سريعة لفحص الدم

توصلت شركة سويدية إلى طريقة سريعة لقياس نسبة الهيموجلوبين في الدم، وهذه السرعة ضرورية في حالات الحمل وتشخيص الأنيميا. تعتمد الطريقة على سحب كمية صغيرة من الدم بواسطة « الفعل الشعري Capil-lary action »، إلى أنبوب صغير حيث تتفاعل مع كاشف جاف ثم توضع في مضْواء Photometer. حيث يمكن قراءة النتائج في أقل من دقيقة.

زراعة

الأسمدة أو الجفاف

يقول باحثون هولنديون: إن سبب تدهور الإنتاج الزراعي في دول الساحل الأفريقي هو نقص « النيتروجين » في التربة ونقص المعادن وليس الجفاف، وحسب رأيهم فإنه لو توفرت الكمية اللازمة من الأسمدة فإن « مالي » تستطيع زيادة الإنتاج ٥٠٠٪.

بذور قطن صالحة للأكل

توصلت الصين إلى إنتاج سلالات جديدة من بذور القطن تصلح للأكل.. المعروف أن بذور القطن تحتوي على عناصر من السم والزيت غير النقي مع فضلات بروتينية عالية التركيز، تجعل البذور صالحة للاستخدام كسماد فقط. أما السلالات الجديدة فتحتوي على بذور تصل نسبة البروتين فيها إلى ٥٠٪ وتحتوي على عدة أحماض أمينية.

غشاء بلاستيكي لتغطية المحاصيل

أثبتت تغطية المحاصيل بغشاء بلاستيكي خاص نجاحاً في الصين دفع الحكومة إلى تطوير هذا الأسلوب كأداة لزيادة إنتاج الطعام.

وقد أظهرت التجارب التي أجريت على (٨٠) محصولاً أن المحاصيل المغطاة تنتج ٣٠ ـ ٥٠٪ أكثر من المحاصيل المكشوفة.

تكنولوجيا

العلم والحياة

التكنولوجيا التظاهرية

نتيجة لظروف تاريخية معينة اصبحت هناك فجوة علمية ، تتسع باستمرار ، بين الدول الإسلامية ، والدول النامية عموماً من جهة ، وبين الدول الصناعية من جهة أخرى . لقد دمَّر الاستعمار الغربي البنية التحتية لتلك الدول ، وضرب ثرواتها الاقتصادية ، حتى إذا حصلت على استقلالها وجدت نفسها في حالة من التبعية العلمية للغرب ، وفي حالة من الدمار الاقتصادي والقيمي . في سعيها لردم تلك الفجوة سعت تلك الدول لاستيراد التكنولوجيا من الدول الغربية باسعار باهظة . وهذه الحقيقة تمس استقلالها وتهدد طموحاتها . إن استيراد التكنولوجيا ومنتجاتها ، في غياب الإرادة الضرورية والقدرة على تكييف تلك التكنولوجيا مع الاحتياجات والظروف المحلية تؤدي إلى نقل النماذج الثقافية والقيم السائدة في المجتمعات التي يتم الاستيراد منها . وهكذا تسربت بعض القيم الغربية التي تتناقض مع القيم الإسلامية ، وفي مقدمة تلك القيم النزعة الاستهلاكية .

كما نتج عن ذلك أيضاً ظهور ما يعرف بالتكنولوجيا التظاهرية ، وهي نوع من السلوك المبذر للحاق بجهة أو باخرى . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك مشاريع الطاقة الذرية في اقطار ليس لديها من الموارد ما يسمح لها بمتابعة تلك البرامج التي تتم على حساب إهمال مشاريع أكثر ضرورة منها ولكنها اقل هيبة .

يقول الأستاذ ضياء الدين سردار ، في كتابه « العلم والتكنولوجيا والتنمية في الأقطار الإسلامية » : تنتج التكنولوجيا التظاهرية إلى حد بعيد عن نقل التكنولوجيا ، ويحدث ذلك عندما تدعي مؤسسة ما في بلد غربي انها تمتلك ما يريده قطر إسلامي أو يحتاج إليه . ولما كان هناك شعور قوي في العالم الإسلامي بعجائب التكنولوجيا الحديثة وفوائدها ، فإن الأمر لا يغدو صعباً على بائع التكنولوجيا . وعادة ما يفتقر مفاوضو العالم الإسلامي إلى الخبرة للتاكد من السعر الملائم للتكنولوجيا التي يشترونها كيفما اتفق ، بل بمعرفة تقسيم المجموعة أو الصفقة إلى أجزاء يتضح انه كان بالإمكان توفير بعضها محلياً .

ويتولى نظام من الرخص وبراءات الامتياز ربط الأقطار الإسلامية بالمؤسسات متعددة الجنسيات ، ومنذ تلك اللحظة فصاعداً فإن جميع قطع الغيار والملحقات يجب أن تشترى من صاحب الترخيص ، بصرف النظر عن أن معظمها يكلف ٨٠٪ أو اكثر مما هو متيسر في السوق الدولية . وهكذا تزداد الأقطار المصدرة للتكنولوجيا غنى ويزداد الفقراء فقراً .

ولا تقتصر الرخص وبراءات الامتياز على الأشياء والإجراءات المادية بل تتعداها إلى الخبرة ، التي عادة ما تكون بريئة ، وقد حجبت المؤسسات متعددة الجنسيات في العقدين الماضيين باستمرار تكنولوجيتها المتقدمة عن الأقطار النامية ، واتضح أن التكنولوجيا التي قدمتها كثيراً ما جاءت بالية وغير ملائمة .

العرب ونقل التكنولوجيا

منذ عام ١٩٧٠م دفعت الاقطار العربية آلاف الملايين من الدولارات ثمناً للمنتجات التكنولوجية ، ولكن النقل الحقيقي للتكنولوجيا الذي يثري قدرة المشتري على تشغيل تلك المنتجات ، لم يحدث إلا على نطاق محدود .

اكثر قطاع حدث فيه نقل للتكنولوجيا هو قطاع البتروكيماويات ...

ويقول تقرير صادر عن مكتب تقييم التكنولوجيا التابع للحكومة الأمريكية : إن ذلك النقل شكل تحدياً للدول المتقدمة ، بل تسبب في حدوث مشاكل لها ، لانه سوف يمكِّن الاقطار العربية من منافسة الأقطار الصناعية في المنتجات البتروكيماوية .

هذا وقد اشار التقرير إلى ان قيمة المنتجات التكنولوجية التي ابتاعتها اربع عشرة دولة عربية قد ارتفعت من الفي مليون دولار عام ١٩٧٠م إلى اثنين وأربعين الف مليون دولار عام ١٩٨٢م . ويتوقع التقرير أن تستمر عملية الاستيراد ، ولكن بسرعة اقل .

من ضمن القضايا التي تشغل بال المشترين : قضية تدريب القوى العاملة المحلية ، إذ أن معظم الأقطار لا تزال تستورد التكنولوجيا والقوى التي تديرها ، من فنيين وإداريين ، ويشكل هذا النقص عائقاً في سبيل نقل التكنولوجيا .

التكنولوجيا الحيوية من المختبر إلى الأسواق

بدات التكنولوجيا الحيوية (البيوتكنولوجي) بالانتقال من المختبرات إلى الأسواق . من ذلك مثلاً الإنسولين البشري الذي يصنع بواسطة البكتيريا . ويعكف الباحثون الآن على إعداد المنتجات « البيوتكنولوجية » اللازمة لتلبية الاحتياجات الإنسانية من معالجة السرطان وحتى تقليص نسبة التلوث في الجو . وبينما تحتاج بعض تلك المنتجات إلى أساليب بيوتكنولوجية معقدة ، فإن بعضها الآخر لا يحتاج إلى أكثر من عمليات بسيطة كتلك التي يتم بواسطتها التخمر .

من بين المنتجات البيوتكنولوجية التي بدأ استخدامها ، عقار « انترفيرون » الذي يستخدم في معالجة الأورام الخبيثة . ويتم تحضيره الآن بكميات كبيرة بواسطة زرع « جينات » معينة في البنية « الجينية » للميكروبات ، فعندما تتكاثر هذه الميكروبات يتم إنتاج الـ « انترفيرون » .

هذا وقد صنعت شركة « ميجي سيكا كايشا » اليابانية مضاداً حيوياً لإتلاف النباتات غير المرغوب فيها . وتم تصنيع هذا المضاد بواسطة سلالة من الفطريات التي تنمو في الأرض اليابانية .

أما شركة « موتورز » الأمريكية فإنها تجري أبحاثاً على استخدام البكتيريا لتخفيف نسبة التلوث ، وذلك في محاولة منها للالتزام بالضوابط الجديدة لنظافة الجو ، والتي قررت الإدارة الأمريكية تطبيقها عام ١٩٨٧م .

هذا وتبدو هذه المنتجات بسيطة مع المنتجات البيوتكنولوجية في المستقبل حيث تُجرى الأبحاث لتحضير بروتينات معدة لأداء مهام كيماوية . وقد استطاعت شركة في « ليفربول » ببريطانيا تصنيع مادة تدعى « ليجاد » ، وهي عبارة عن مادة غروية كيماوية تحتوي على إنزيم يدعى « ليجاز » ، يساعد على ارتباط المواد المورثة ببعضها . هذه المادة إذا أضيفت إلى أنبوب اختبار فإنها تتيح المجال لتكوين أشكال جديدة من المواد المورثة في جزء من الوقت .

المعلومات تعمق الفوارق بين الشمال والجنوب

أصبح مصطلح « معلومات » يستخدم اليوم للدلالة على المعلومات التي تخزّن وتعالج ويتم تبادلها بين وبواسطة أجهزة الكومبيوتر وتوشك المعلومات بهذا المعنى أن تصبح إحدى المشكلات التي تعمق الفوارق بين العالم المتقدم والنامي ، أو هي أصبحت كذلك بالفعل .

إن التقدم الذي طرأ على المعلومات وأجهزة الكومبيوتر والاقمار الصناعية في السنوات الماضية ، قد أثار عدة مشكلات عالمية ، لم يواجهها الافراد ولا الدول من قبل مثل :

- المعلومات تتم سرقتها أو نقلها من بلد إلى آخر دون وجود أية محكمة مؤهلة للنظر في هذه القضية .
- أصبح بإمكان الدول الصناعية - بواسطة الأقمار الصناعية - أن تعرف مسبقاً مواسم الجفاف وسوء المحاصيل ومعلومات أخرى تتعلق بالتكوين الجيولوجي للأرض ، قبل أن تعرف الدول المعنية ذلك . وتمكن هذه المعرفة الدول المتقدمة من التحكم في الأسواق والأسعار .
- هناك شركات متعددة الجنسيات وشبكات صناعية عالمية ، ومكاتب لخدمة الكومبيوتر وعدة منظمات حكومية وخاصة ، وانظمة عسكرية ، ووكالات أنباء ، ومؤسسات أخرى ، كلها تشارك في ضخ معلومات تثير مشاكل تتعلق بامن وسيادة الدول ، والهيمنة الثقافية ، والحريات الشخصية ...

هذه القضايا كانت مثار بحث في المؤتمر العالمي الذي عقد في « بلنسية » في إسبانيا مؤخراً لمناقشة العلاقة بين المعلومات والصحافة ، وقد حضره ستون باحثاً ومسؤولاً حكومياً وممثلاً لمؤسسات صحفية عالمية ، واستمر ثلاثة أيام ، ونظم المؤتمر المكتب الدولي للمعلومات ومركزه « روما » .

دعـــــوة
لإنشـــاء وكالـــة
فضـــاء إسلاميـــة

دعت باكستان كلاً من مصر وتركيا وبنغلاديش وإندونيسيا لإقامة « وكالة فضاء إسلامية » اهدافها توفير المصادر اللازمة لإقامة المنشآت الضرورية لإطلاق الاقمار الصناعية .

هذا وتتوقع باكستان إطلاق قمرها الصناعي في العام القادم ، الذي ستطلقه وكالة الفضاء الأوروبية ، فيما تقدمت مصر إلى وكالة « ناسا » الأمريكية للاشتراك في برامج الفضاء ، كما انها قررت إقامة مركز لبحوث الفضاء .

الاستشـــعـار عـن بعـد

تساعد المحطات الأرضية والمراكز الأخرى للاستشعار عن بعد الأقطار المختلفة على الحصول على المعلومات بسرعة ودقة ، كما تتيح لها تطوير قدراتها الفنية المحلية ، ولكن في الجانب التطبيقي فإن هذه المعلومات لا تكفي وحدها بل لا بد من مقارنتها بالمعلومات الآتية من مصادر أخرى .

ويعتمد مدى فعالية استخدام هذه المعلومات على قدرة البلد على إقامة المؤسسات اللازمة لاستخدامها وإدارتها .

قارب كويتي للأبحاث العلمية

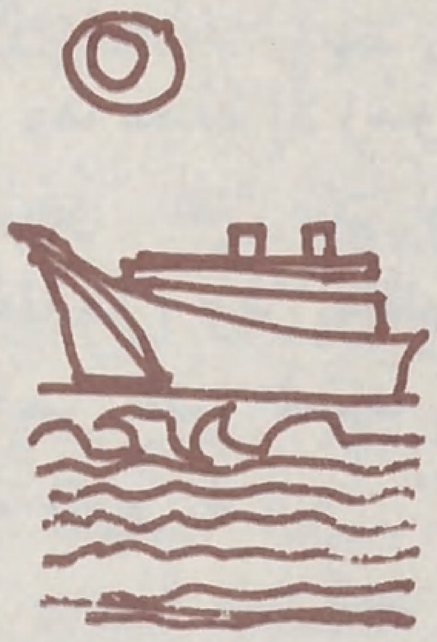

اصبح قارب الأبحاث العلمية الذي يمتلكه معهد الكويت للأبحاث العلمية جاهزاً للعمل : والقارب مصنوع في اليابان ويبلغ طوله (١٤٥) قدماً ، ومداه (٣٥٠٠) ميل بحري ، وهو مجهز لقياس ملوحة الماء ، وتحديد كميات الأسماك في المياه العميقة ، ودراسة قاع البحر .

بطـاريات كبـيرة لنقـل الكهـربـاء

قد يضطر الإنسان أحياناً إلى تشغيل بعض الأجهزة والآلات الكهربية وهو بعيد عن أي شبكة كهربية ، الأمر الذي يحتاج معه إلى مصدر مستقل وقوي للتيار الكهربي .. ولحل هذه المشكلة تجرى التجارب في انجلترا لإنتاج جهاز جديد ، عبارة عن بطارية كبيرة تزن حوالي مائة كيلو جرام ، ويمكن نقلها من مكان لآخر ، وتستطيع إدارة عدد كبير من الآلات الكهربية للأغراض الصناعية ، مثل المضخات وآلات التبريد والتجميد والأفران ، ويدوم عملها - وهي مشحونة - لمدة ساعتين ونصف بصورة مستمرة بقوة كيلو/وات واحد .

الميني كومبيـــوتر

بدات شركة « نصر للتلفزيون والالكترونيات » تصنيع اجهزة « الميني كومبيوتر » ، وسوف يتم تصنيع خمسين جهازاً سنوياً ، وقد وضع هذا القرار حداً للجدل الذي كان ثائراً حول ما إذا كان الأفضل تصنيع اجهزة « الميني » أو « الميكرو كومبيوتر » .

قصة قصيرة

ثلاثة عشر وساماً

■■ طبقات كثيفة من الظلام والكآبة، والحزن الثقيل يخيم على كل شيء .. على البقاع والديار والهضاب. والشعاب والجبال، ويثوي في الصدور، و... همهمات نشيج ونحيب، ودموع غزيرة .. لو جمعت في هذا اليوم لأبحرت فيها سفينة تدفعها الزفرات الحرّى التي كانت أعتى من أي ريح مسيِّرة دافعة ..

الخطب الجلل يستدر الدموع من العيون، ويكاد يطيح بثبات العقول الرزينة الحكيمة ..

فها هو صوت يرتفع في ذهول :

— لا . لا لا أصدق أن الرسول قد مات ..

أيموت الرسول كما يموت الناس ؟!

وتتصاعد الآية الكريمة من أفواه وقلوب مكلومة مكروبة :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

ونسيبة بنت كعب مطروحة على أرض دارها مكدودة خائرة ذاهلة تبلل دموعها ثيابها وتنهمر على وجنتيها .. جسمها الواهن ينتفض كمن أصابته حمى .. يغمرها الشعور باليتم وهي السيدة العجوز أم الرجال .. وكأنها ارتدَّت طفلة صغيرة لا تحتمل مرارة اليتم وكربه .. كم صادفت من أهوال وخطوب .. لكن يا لهول ما لحقها تلك الليلة من خطب .. البشير النذير الصادق الأمين .. رسول الله ﷺ وخاتم النبيين .. مخرج الناس من الظلمات إلى النور .. أهذا اليوم الكالح آخر العهد به ؟!!..

أمامها .. تجسمت الصور، رجعت ذاكرتها إلى سنوات مضت .. عاشت في أحداث ولَّت .. سنوات عزيزة زاخرة :

« ها هو النور يبزغ في يثرب .. حطه اثنا عشر رجلاً آمنوا بالله ورسوله وبايعوه .. سرى الإسلام في المدينة وأضاء قلبها وقلب زوجها الطيب، وتعجبت حينئذ كيف تحارب قريش ابناً لها بعثه الله بالحق هادياً، داعياً إلى عبادة خالق السموات والأرض ؟!.. كيف يحاربون ديناً جاء ليسوي بين الناس، ولا يميز أحدهم على الآخر إلا بقدر تقواه ؟!..

إن ديناً جاء لينهى عن الفسق والأذى ووأد البنات ويكرم النساء ويحطم الأوثان .. لهو الجدير وحده باعتناقه والإيمان به .. كيف يحاربون رجلاً يقول ربي الله الواحد الأحد، رب المشرق والمغرب، رافع السماء بغير عمد ؟!!..

— أجل يا أبا عمارة .. لا بد أن أذهب معك إلى الهادي البشير في مكة .

وعزمت على الخروج في موسم الحج لتبايع الرسول مع مؤمني المدينة .

لم يكن الليل حينئذ كهذه الليلة الحالكة، كان الليل مضيئاً في (مِنى) .. كان النسيم عابقاً والسماء رائقة زاخرة بالنجوم المتلألئة ..

والتقت بالنبي محمد ﷺ في العقبة، فانشرح صدرها، وسكنت روحها .. وسرى النور فأضاءها .. خالت نفسها على غلالات من ضياء، سابحة في أثير معطر .

كانت مع سبعين رجلاً وامرأتين التقوا بالرسول وبايعوه يوم العقبة الكبرى، ويومها أيضاً أحست بعزم ينمو في قرارة نفسها، ثم ما لبث أن كبر، وسيطر، ورسخ .

عزمت ـ حين سمعت عن الاضطهاد الذي يلقاه أصحاب الرسول في مكة ـ على أن تذود عن هذه الدعوة المشرقة، وعن الأمين صاحبها بحياتها ومالها وحتى آخر نفس من أنفاسها .

****

تحيطها يد ابنها الحانية يريد أن ينهضها .. اليد مرتعشة، والنحيب لا يزال مسموع الصوت :

— دعني يا بني .. دعني .

— قومي واتكئي يا أماه ..

— دعني يا بني دعني .

يضع تحتها وسادة ..

لا ترى الآن بعينيها، بل بعقلها الذي يرى ويسمع .. وهذا هو النشيد الحبيب يجلجل في أجواء المدينة، ليفعم القلوب بالبهجة، وهي زوجة شابة قوية ملؤها الإيمان واليقين .. تشارك الأنصار في الغناء .. مستقبلين الرسول الكريم الذي جاء من مكة حاملاً نوره وهديه ومعه صحبة من الفئة المؤمنة :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا للَّهِ داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحباً يا خير داع

....

آه .. آه ليتني مت قبل موتك يا رسول الله .. ليتني مت قبل موتك ..

يعلو صوتها المجروح، ويردده الصدى فيشق سكون الليل .. تتحرك أقدام، وتسرع اليد إليها ثانية .. ويعلو الصوت متحشرجاً لم يزل ..

— أماه .. إن نبي الله قد بلَّغ رسالته، وأدى أمانته، وترك لنا ما إن تمسكنا به .. لن نضل أبداً .. كتاب الله وسنته، وإن كل نفس ذائقة الموت .

بقلم : أحمد محمود مبارك

وأعاد على سمعها الآية الكريمة ، وصدى الصوت المؤمن يتجمع بعد أن يرتد قوياً ثابتاً وكأنه يرتفع إلى السماء :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ... ﴾ .

تعيد ترديد هذه الآية بقلبها ودموعها ، وبحركات وانية على لسانها المتشنج وتغوص بإدراكها في الصور المتجسمة ..

« ها هم الرماة قد تركوا أماكنهم في (**جبل أحد**) مسرعين ليشاركوا بعض المسلمين في جمع الغنائم .. لم يلتزموا بما أمرهم رسول الله به من الثبات فوق الجبل ، والمشركون ينتهزون هذه الفرصة .. يهجمون على المسلمين من الخلف ، وها هي ترى نفسها صارخة بأعلى صوتها وعلى ظهرها قربة ماء ، محرضة المسلمين على القتال والجهاد في سبيل الله :

— **تباً لكم .. أأعمتكم الدنيا وغنائمها ؟** .

يتفرق جمع المسلمين ، وتدور الدائرة عليهم بعد أن كان النصر حليفهم .. ينكشف الناس عن رسول الله ، لم يبق حول الرسول ﷺ إلا عدد قليل ..

زوجها وابناها وآخرون حول الرسول يدافعون عنه ويقاتلون .. **مصعب بن عمير** يرفع لواء المسلمين ثابتاً محرضاً المسلمين على القتال . يكرُّ عليه مشرك ويضرب يده اليمنى التي تحمل اللواء فتقطع ، فيحمله باليسرى . **الصدِّيق أبو بكر** يقاتل دون رسول الله لا يفارقه .. **أبو عبيدة بن الجراح** يذود عن رسول الله ، وتسقط أسنانه ، وهو ينتزع بها حلقة حديدية شجت جبهة رسول الله ...

« **فديتك بنفسي وابنائي يا رسول الله** » .. وتترك ابنها **عمارة** الذي كانت تعصب جرحاً به ، وتدع قربة الماء وتسرع حاملة ترساً لتدافع به عن الرسول وتضرب خيول المشركين ، يسقط مشرك فترديه .. يسقط **مصعب بن عمير** شهيداً بعد أن قطعت يداه وطعن في ظهره ، ولا يسقط اللواء .. يحمله على التو مسلم آخر ثابت العقيدة ، بينما **نسيبة بنت كعب** تتحامل على اثني عشر جرحاً أصابتها صائحة في إيمان راسخ وعينها على الرسول وهي تقاتل دونه وبيدها ترس وبالأخرى رمح .

وتبرق أمامها كلمات الرسول النورانية المطمئنة حين دعا لها ولولديها وزوجها والمعركة دائرة :

— **اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة** .

أفاقت خابية النظر ، واهنة الجسد .. كل أسرتها تحيط بها في مرقدها .. يومان مرًّا على وفاة الرسول ..

— **كلي يا أماه** ..

أيدٍ كثيرة تعينها على النهوض .. نهضت .. ازدردت لقيمات من الأيدي الممتدة .. سألت :

— **من تولى أمر المسلمين ؟**

— **الصديق أبو بكر** ..

رفَّت على وجهها سحابات من الرضا ، ورويداً رويداً سرت العافية في عروقها .

— **وكيف حال المسلمين ؟**

همهمات لا معنى لها تصدر مختلطة متداخلة .. تنهض السيدة العجوز كما لو كانت فتوة يوم أُحد قد عادت إليها :

— **لم لا تجيبوني ؟ أقول كيف حال المسلمين ؟**

— **بعض القبائل بعثت مندوبيها إلى أبي بكر تريد أن تتحرر من دفع الزكاة ، وبعض الناس قد فتنوا وخرجوا من دين الله .. وعلي والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود يرابطون بالمدينة خشية أن يهاجمها المرتدون .**

— **وما بالكم جالسين حولي ... اعجزتم عن الجهاد ؟**

****

وتذكر عزمها على أن تدافع عن دين الله حتى آخر نفس من أنفاسها ، ويلتقي جمع المسلمين بالمرتدين في موقعة اليمامة ، ونسيبة بنت كعب مع المجاهدين المؤمنين المدافعين عن دين الله تحمل الماء والعصائب ، بل وتقاتل مع الرجال ، وتجرح وتقطع يدها .. وقد لاح نصر المسلمين مؤكداً .. تنظر إلى يدها المقطوعة دون ألم ، فالنصر قد لاح ، ما يُبقي على ألم .. تنظر إلى يدها المقطوعة في رضا وزهو .. **هذا وسام جديد** .. كم بلغت الأوسمة ؟.. ثلاثة عشر وساماً حتى الآن يا نسيبة ..

ويزورها خليفة المسلمين **الصديق أبو بكر** في دارها ـ تكريماً لها وتبجيلاً ـ وأمامها جمع المؤمنين .. يردد ما ذكره **رسول الله ﷺ** ـ عنها ـ في حديثه الشريف .. إذ قال عليه الصلاة والسلام :

« **يوم أحد .. ما التفت يميناً أو شمالاً إلا وجدتها تقاتل دوني** » .

تصريحات وأقوال

● محمد محجوب

● عبـاس العقاد

● الكسندر هيج

● محمد أمين الحسيني

■■ [الحل السلمي الذي يرد على ألسنة بعضهم وأقلامهم أكذوبة ضخمة وخطأ فادح ، ودعوة للاستسلام والخضوع للعدو الإسرائيلي ، وفرصة جديدة له يعد نفسه فيها لعدوان يحقق به مغانم كثيرة وتوسعاً جديداً يقربه من هدفه المنشود ... من الفرات إلى النيل ..] ■■

(السيد محمد أمين الحسيني - رحمه الله - مفتي فلسطين الأكبر)

■■ [إن حلّ القضية الفلسطينية لا بد أن يتم عبر رؤية إسلامية ترتكز على العقيدة بشكل صحيح ، وتستفيد من الدرس التاريخي بعد أن أخفقت التجارب الأخرىٰ وانتهت إلى صورة اليأس الحالي .] ■■

(الشيخ عبد الحميد السايح - رئيس المجلس الوطني الفلسطيني)

■■ [لقد حاولت أن أكوِّن اجتماعات بين دول الشرق الأوسط لمواجهة التعصب الديني] ■■

(الكسندر هيج - وزير خارجية أمريكا الأسبق)

■■ [أنا حزين ، حزين على نفسي وعلى العرب ، لقد بدأت الانقلابات العسكرية تتكرر ، وما تزال الحريات في إجازة ... إن الرخاء لا يعيش مع الاستبداد ، والقوة لا تتحقق دون رخاء ، وعندما يصبح المواطن عاجزاً عن أن يخدم بلده فهو بالتالي سيكون عاجزاً عن أن يسترد فلسطين ...] ■■

(محمد أحمد محجوب - رحمه الله - رئيس وزراء السودان الأسبق)

■■ [إن الخصائص الإنسانية باقية في صميم الإسلام ، صامدة للحضارة العصرية كما صمدت من قبل لحضارات العصور القديمة الأولى ، فهي التي صبغت تلك الحضارات بالصبغة الإسلامية ، وهي التي جعلت تاريخ العالم من القرن السادس الميلادي إلى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر الإسلامي والآداب الإسلامية ... ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك إلَّا لأن المسلمين تخلَّفوا عن الركب .] ■■

(عباس محمود العقاد - رحمه الله -)

■■ [أسوأ المواقف وأضرها بشريعة ما : هو أن نتظاهر في مواجهتها بمظهر الورع محترمين حروفها بكل عناية وإن كنَّا نتفق على تغيير هدفها ... وذلك هو ما أطلق عليه القرآن الكريم : اتخاذ آيات الله هزواً .] ■■

(الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله -)

التوجهات الإسلامية في تاريخ الخليج الحديث

■■ يمتاز تاريخ منطقة الخليج بقوة النسيج الإسلامي وفاعلية المجتمع المسلم في الدفاع عن كيانه .. فقد تعرضت المنطقة لغزوات عسكرية متمثلة في الغزو البرتغالي الصليبي والغزو البريطاني ، كما تعرضت ـ وما تزال ـ للغزو التنصيري المنظم الذي أسست مراكزه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

غير أن التوجهات الإسلامية في المنطقة قاومت هذا الغزو ، وتمثلت هذه التوجهات في حركة اليعاربة في عُمان ، والحركة السلفية الجهادية في شبه الجزيرة العربية والإحساء وقطر والبحرين ، وكان للعثمانيين جهادهم أيضاً في الدفاع عن مقدسات المنطقة .

في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، ألقى الأستاذ أحمد العناني مدير قسم الوثائق والأبحاث بالديوان الأميري بالدوحة محاضرة بعنوان : [التوجهات الإسلامية في تاريخ الخليج الحديث] ■■

الأستاذ أحمد العناني

- ■ مَعْنيٌ بالدراسات التاريخية والخليجية .
- ■ من كتبه المطبوعة والمخطوطة :
- * جذور الحاضر الخليجي .
- * مواكب العلماء .
- * أطول المعارك التاريخية (عن قصة الصراع بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية) .
- * الكشف عن المؤامرات الصهيونية .
- * اللعبة اليهودية العالمية .
- ■ شارك في ترجمة (دليل الخليج) عن الإنجليزية ، في (١٤) جزءاً ، طبع ووزع مجاناً على نفقة حكومة دولة قطر .

استهل المحاضر كلامه بتحديد مصطلح « التاريخ الحديث » فغلَّب وجهة نظر المؤرخين الذين يبدؤونه بالقرن السادس عشر للميلاد على الراي الآخر الذي يعتبر ـ ولأسباب يذكرونها ـ أوائل القرن الثامن عشر للميلاد بداية العصر الحديث .

ثم عرض في مقدمة تاريخية طويلة لأحداث القرون الثلاثة التي سبقت القرن التاسع عشر ـ موضوع المحاضرة ـ فقال : (... لقد كانت بداية القرن السادس عشر مفتتح شقاء للخليج ، بوصول الغزاة البرتغاليين إلى مياهه عام ألف وخمسمائة وسبعة للميلاد ، ففي خلال عقدين من الزمان تمكن هؤلاء من احتلال مجموعة الجزر الاستراتيجية المواجهة لساحل أفريقيا الشرقي والساحل العماني كجزر سقطرى وجزيرة مدغشقر ، كما دمروا ـ ليس فقط ـ موانىء عمان المعروفة كصحار ومسقط ، ولكنهم أحرقوا سائر السفن المسالمة التي كانت في عرض البحار) وعدد أهداف خطة البرتغاليين التي كانت تتمثل في : القضاء على سائر أدوات المسلمين ووسائل تجارتهم الدولية ، ومتابعة المسلمين إلى سائر موانئهم ومحطاتهم في سواحل المحيط الهندي ، وإغلاق الطرق البحرية الإسلامية في الخليج والبحر الأحمر ، واستكمال مهمة الصليبيين الذين مارسوا أبشع الجرائم البربرية في شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا) بمحاكم التفتيش وألوان الاضطهاد التي لم يسبق لها مثيل ، وذلك بالتحالف مع الحبشة لتنفيذ حلم أسطوري مفاده أن يوماً سوف يجيء يتعاون فيه الصليبيون ومن يسمونهم « برستور جونز » للقضاء على الإسلام في مهده وتدمير مقدساته ..

غنى أسطوري وفقر مدقع

كانت هذه الأحداث تتم وهرمز وصحار ومسقط وغيرها من موانىء الخليج مضرب الأمثال في الغنى الأسطوري بما كان يجيء لها من خيرات الصين والهند الصينية واندونيسيا وماليزيا ، وحاصلات سائر شرقي أفريقيا ووسطها ، وحاصلات الهند وفارس .. وفي الوقت ذاته كان فقراء المسلمين في سائر البلاد يعانون الفاقة .. يقول الأستاذ أحمد العناني :

« ... كان الناس ناعمين بعيش خفيض يحسبون أنهم قدروا على دنياهم فخالفوا شريعة ربّ العالمين ، وسبحوا على بحر من الغرور ، ماؤه من دموع العبيد ، وجرجرةُ موجِهِ من أنين المقهورين والمظاليم : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ، فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٤٤ ـ ٤٥) .

التوجهات الاسلامية

جهاد العثمانيين وحركة اليعاربة

وفي الوقت الذي كان الغزاة يحصنون قواعدهم في جزائر سقطرى ومدغشقر، حاولوا إغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج وكان دور العثمانيين في الجهاد عظيماً .. ذكر المحاضر أن الدولة العثمانية ظلت تمنع الملاحة بين ميناء (مخا) في اليمن وميناء (السويس) المصري على أيَّة سفينة أجنبية كائنة ما كانت، ما دامت هويتها غير مسلمة، مدى مئات السنين حفاظاً على المقدسات في المنطقة .. إلى أن ضعفت الخلافة في أواخر أيامها، وكانت حملة نابليون، ومع تسلل الترف إلى استانبول بدأت عوامل الضعف البشري تسري في أرجاء البلاد، وساهمت أوضاع المسلمين الداخلية في استمرار قبضة المستعمرين عليهم في القرن التاسع عشر .. وفي داخل عمان، ومع ما كان عليه الخلاف بين ما سمي بالسلطنة وما سمي في الداخل بالإمامة ذكر المحاضر أن قيام اليعاربة بقيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي كان عودة بالبلاد إلى الحقيقة والجد، « فانتعش الجهاد، ونهضت النفوس من الذل يقول :

[... راحت عُمان المسلمة اليعربية تتقدم في كل توجه مدني وعسكري حتى استطاعت في عصر الإمام سيف بن سلطان - نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر - من الاستيلاء على (ممباسة)] وذلك بأسطولها وبوارجها الضخمة المؤلف من « ثمان وعشرين بارجة مزود كل منها بثمانين مدفعاً بحرياً ضخماً، وأسطول من السفن المتوسطة والصغيرة، غير السفن التجارية التي كان يعاد تصفيحها لإدخالها لساحات القتال البحري عند الضرورة » .

ولكن ما إن ذهبت العدالة من أحفاد سيف بن سلطان، حتى عادوا إلى جاهلية قسمتهم إلى قبائل متحزبة، ووصل الأمر بحفيد منهم إلى الاستنجاد بـ « نادر شاه » الفارسي - وهو عدو أصلاً - يستعديه ضد أبناء بلده، وصارت عُمان بموقعها الفريد من جديد هدفاً لكل طامع من الأعداء .. يقول الأستاذ العناني :

(... إن الأمريكان في أول إحساس لهم بالرغبة بتوسيع شبكة مصالحهم في العالم، وصل تجار منهم إلى عُمان بنهاية القرن الثامن عشر، فيما أرسلوا مبعوثاً خاصاً إلى عُمان قبل قرن كامل من زمن أول ممثل دبلوماسي لهم في المملكة السعودية، وكان يدعى « إدمون روبرتس ») .

الحركة السلفية الجهادية

ومن شرقي الجزيرة العربية كانت هجرات هائلة إلى الخليج والعراق وسورية، تزاحماً على موارد محدودة، مما كان له أثره البالغ في انتشار الفقر والجهل والخرافة والدجل والسحر .. الأمر الذي كان يجب أن يروع أيما ضمير مسلم يتفاعل مع القرآن الكريم بصدق .. يقول المحاضر :

« ... شاءت إرادة الله أن يكون صاحب ذلك الضمير طالب علم من بيئة إسلامية عريقة، فقد كان أبوه عبد الوهاب وجدّه سليمان ممن تعاقبوا على قضاء العُيَيْنة التي ولد فيها عام (١١١٥هـ) (١٧٠٣م) » . ثم أشار في بيانه لأهمية دور محمد بن عبد الوهاب إلى أهمية العقل المبدع الباحث عن الحقيقة في الإسلام وسط عكوف العوام على أوهام الدجَّالين وأكاذيب السحرة وأصحاب الأبراج والنجوم، وكتَّاب الحجب والتمائم، ومقدِّسي الأضرحة وأشجار الأضرحة وأعتاب الأضرحة ...

إنه ذلّ رهيب وفقر مدقع، وغزوات مهلكة وأمراض فتَّاكة ..

ولم ينته القرن الثامن عشر إلَّا والحركة الإسلامية السلفية الجهادية قد جمعت الإحساء إلى قطر والبحرين وسائر عُمان من العمق الداخلي، وقد تجاوب معها الغفارية في عُمان تجاوباً تلقائياً، ولم تلبث مناطق القواسم بالكامل إلَّا أن أصبحت سلفية باختيارها، كما اختار معظم أهل قطر مذهب الإمام أحمد، الذي يراه المحاضر « هو الأمثل لظروف الشدائد وأعوام الرمادة ومواجهة كل غاصب ومستعمر » .

ولم تسكت قوى الكفر عن ذلك .. ففي الوقت الذي كانت الدرعية فيه هي مصدر خطر كبير على الإنجليز، برهن الإنجليز على اقتدار سياسي كبير حين جمعوا متناقضات المسلمين كلها فنظموها في سلك واحد .. يقول المحاضر :

(... أصبحت الدولة العثمانية تدعى رجل أوروبا المريض، ودخلت مرحلة الضعف، فمحمد علي باشا ذلك الجندي المغامر الذي ثبت حسن صلاته بالغرب، والذي ملء رأسُهُ بمطامع نابليونية تفوق اقتداره، وكل من

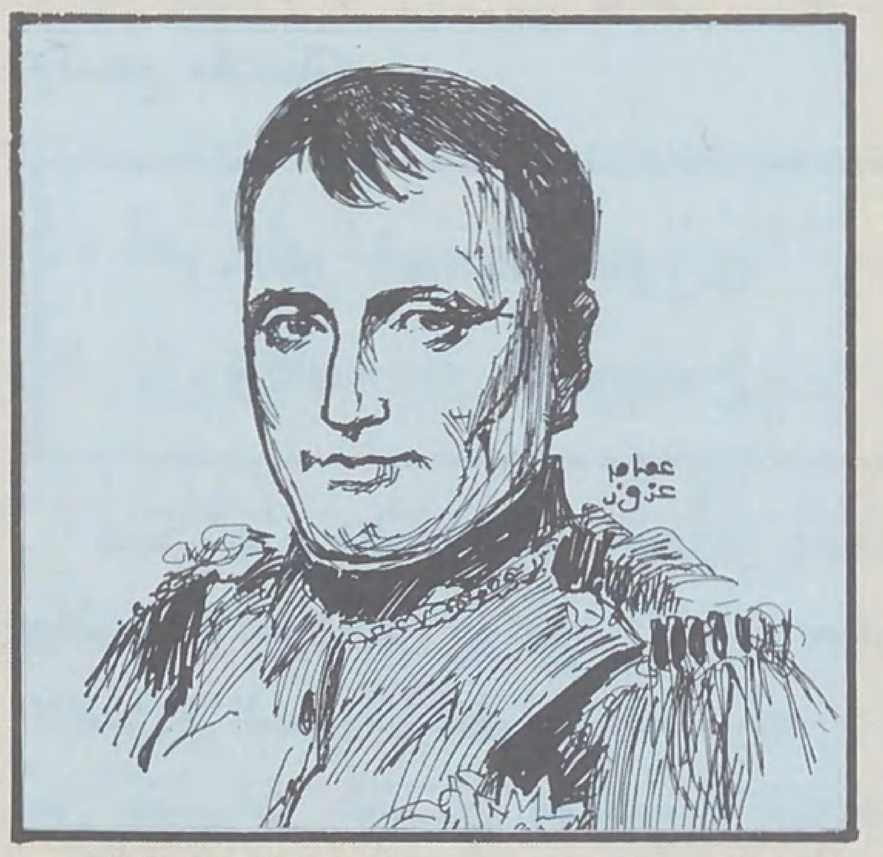

■ نابليون : ترافقت حملته مع بعض الأخطاء القاتلة في العالم الإسلامي ■

■ محمد علي باشا : ملأ رأسه بمطامع نابليونية ■

في تاريخ الخليج الحديث

■ محمد رشيد رضا : أدّت مجلته «المنار» دوراً هاماً في مقاومة التنصير في الخليج ■

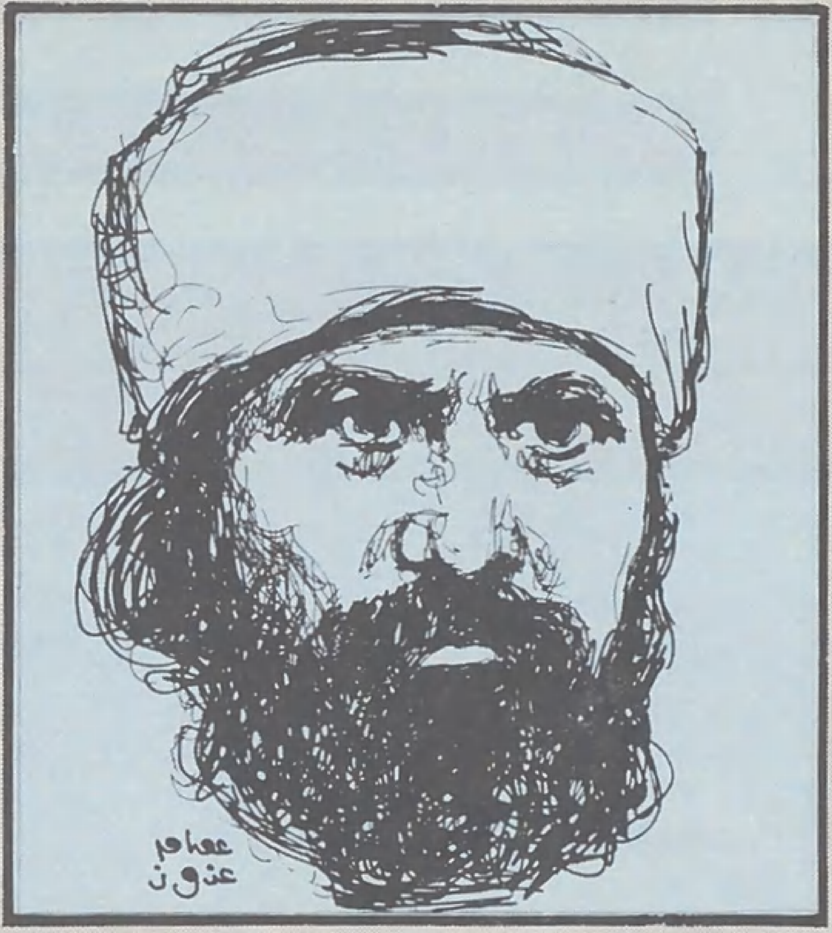

■ جمال الدين الأفغاني : كانت «العروة الوثقى» من الوسائل الفعالة في مواجهة الغزو الفكري ■

ملء قلبه خوفاً من الحركة الجديدة ، من المتنفذين في الخليج التقوا جميعاً على هدف واحد ألا وهو : إسقاط دولة السلفيين ، وحصل ذلك عام (١٨١٨م) » .

ثم يعلق قائلاً : [... لكني أتصور أنه لولا أخطاء وقعت من تلك الدولة لما كان ممكناً أن تنتهي إلى ما انتهت إليه ، ولو اجتمع عليها أهل الأرض طراً] .

صحوة عامة

أشار الأستاذ أحمد العناني بعد ذلك إلى حالة الصحو التي سرت في العالم الإسلامي : ففي تركيا دعوة للتنظيمات ، واستدراك الأخطاء ، ووقف المغامرات الحربية ، وضبط الأحوال مع الولايات الشرقية ، وفي السودان وفي جزيرة (آبه) هزم المهدي ثلاثة جيوش للمصريين وهزم أيضاً جيش جوردون الانجليزي وقضى عليه ، وفي ليبيا دعت الحركة السنوسية إلى التطهير ، وكان لها موقف عظيم في وجه الغزو الإيطالي البربري .

الغزو التنصيري

ثم أخذ الهجوم على العالم الإسلامي بُعداً آخر بعد الهجوم العسكري الشامل عليه في القرن التاسع عشر ، وكانت بداية الحركة الصهيونية التي يرى المحاضر أنها بدأت قبل هرتزل بستة عقود كاملة : حيث وقف الداعية الصهيوني (مكدونالد) يدعو لتدمير الإسلام ، وانتزاع فلسطين في مؤتمر فيينا الذي انعقد لتصفية شؤون ما بعد هزيمة نابليون وتحول للبحث في تقسيم دولة الإسلام وعالم المسلمين وتبني فكرة انتزاع القدس من المسلمين .. يقول الأستاذ العناني :

« ... في تلك الظروف الموحشة دُشّن في البصرة أول مركز تنصيري أمريكي ، وبعد سنتين دشن مركز الإرسالية في البحرين ، وكان قد أسّس مركز ببغداد عام (١٨٨٩م) وبدأ يصل إلى المنطقة هنا في الخليج جماعة من عتاة المنصّرين من أمثال « جيمز كانتين » و « صموئيل زويمر » ، و « فان إس » .

كل هذه الظروف وما وصلت إليه الدولة العثمانية من ضعف .. أدّت إلى الانفصال بين الأتراك والعرب ، ويرى المحاضر أن كلا منهما قد خسر خسارة كبرى بسبب هذا الانفصال .. فقد كان الإسلام الرسمي المتمثل في الدولة العثمانية لا يقوم بشيء إزاء الهجمات التي تصب على العالم الإسلامي سوى ردود فعل كلامية في شكل احتجاجات ، مما حدا بأمراء العرب إلى الاستهانة بالدولة العثمانية ، ولم يتمسك بالرابطة الإسلامية سوى والي بغداد « مدحت باشا » مع وجهاء المنطقة : «آل النقيب » في البصرة ، و « آل الصبّاح » في الكويت ، والشيخ « قاسم بن محمد آل ثاني » في قطر . ويحدث ذلك في الوقت الذي كان أكبر خبراء الحكومة الهندية (اتشيسون) يرى أن أكبر خطر يتهدد نفوذهم في الخليج هو الرابطة الإسلامية .

الوسائل التنصيرية

أشار الأستاذ العناني في محاضرته إلى الوسائل التي لجأ إليها الأعداء بعد ذلك للنفوذ المباشر في البلاد الإسلامية .. فذكر أن وسائلهم هذه تمثلت في التستر خلف الأمور الإنسانية كالآثار والتنقيب ، والفنون ومتابعتها ، والتنصير وما يأتون به من فتح المستشفيات والمدارس التنصيرية ..

وعدد مظاهر هذا الغزو الجديد في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، ومما لفت النظر إليه هو ما جاء في تقرير المنصّرين عام (١٩١٣م) فقد اعتبر قبول أول شابة مسلمة للدراسة في الجامعة الأمريكية بطهران - أحدى مؤسسات التنصير في العالم الإسلامي - اختراقاً للحضارة الإسلامية ومفاهيمها .

مقاومة أهل الخليج

وتمثلت مظاهر مقاومة التنصير في الخليج في إرسال الشباب إلى جامعة « عليكرة » الإسلامية في (آجرا) بالهند ، وطباعة المواد الإسلامية ضد التنصير في مطابع الهند ، كما قام رجال التجارة بتوصيل الصحف الإسلامية التي تصدر في العالم الإسلامي إلى هؤلاء الأبناء ، كالمنار للشيخ محمد رشيد رضا ، والمؤيد للشيخ علي يوسف ، والعروة الوثقى للشيخ جمال الدين الأفغاني ، وشارك أهل الخير في هذه النفقات ، كما تأسس في منتديات البحرين تيار فكري متنبه لدسائس الأعداء الفكرية .

وفي نهاية المحاضرة ذكر الأستاذ احمد العناني أن تاريخ المنطقة يمتاز بحساسية شديدة ، وقال : إنه مع الذين يرون تدوين تاريخ المنطقة كله بالحق والصدق .. ولكن ليس للنشر كله ، ومتى ينشر ؟ قال : « إذا ما انتهت القبلية العدوانية على مر الأيام وعمت رسالة التعليم ، فإن كل الحساسيات سوف تصبح بضاعة من الماضي ! ■■

بقلم : الدكتور نبيل سليم

البصر

■■ تقول الآيــة الكريمة : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

تبين الآيــة الكريمة بذكرها للبصر .. قيمة البصر وأهميته للحياة .. فالبصر من أغلى النعم التي أنعم الله بها علينا .. ■■

ولكي نبصر لا بد أن يمر الضوء بدون عائق خلال عدسة العين .. هذه العدسة التي تشبه إلى حد كبير عدسة آلة التصوير « الكاميرا » .. فالعين هي العضو الذي يستقبل الأشعة الضوئية المنعكسة من الأجسام المختلفة حيث تتجمع هذه الأشعة على شبكية العين مكونة صورة لهذه الأجسام وتنتقل نبضات الضوء من العين إلى المخ عن طريق العصب البصري Opitc Nerve حيث يتم الإحباس لهذه النبضات الضوئية وينتج عن ذلك الإحباس ما نشير إليه بكلمة الرؤية أي أننا « نبصر » فعلاً . وإذا انقطع الاتصال بين العين والمخ يفقد الإنسان هذا الإحباس بالبصر ، حتى وإن ظلت العين سليمة وقادرة على تكوين صورة للأشياء المختلفة . ويمكن تشبيه هذا الوضع بما يحدث في حالة الإرسال التليفزيوني ؛ فالعين هي كاميرا التليفزيون التي تلتقط الصور ، ثم تنتقل هذه الصور عن طريق أجهزة البث في محطات التليفزيون (وهي تمثل ما يقوم به العصب البصري) إلى أجهزة التليفزيون (وهي تمثل المخ) ؛ حيث يمكن للصورة التي التقطت بالكاميرا أن تعطي إحساس الرؤية أو الإبصار .

ويمكن مقارنة تركيب العين بتركيب الكاميرا من حيث إن كلاً منها تحتوي على عدسة تقوم بتجميع الأشعة الضوئية على سطح حساس (الفيلم في حالة الكاميرا والشبكية في حالة العين) ، وكما هو معروف تكون الصورة المتكونة على هذه الأسطح الحساسة في غاية وضوحها ، حينما يكون هذا السطح على بعد من العدسة مساو لبعدها البؤري . وذلك في حالة استقبال أشعة ضوء متوازية كتلك الآتية من الأجسام البعيدة ، وكلما اقترب الجسم من العدسة ابتعدت النقطة التي تتجمع عندها الأشعة بعد اختراقها العدسة ، وبالتالي لكي نحصل على صورة واضحة يجب أن تتغير المسافة بين العدسة والسطح الحساس أو نغير قوة العدسة نفسها مع الاحتفاظ بالمسافة بينها وبين السطح الحساس ثابتة .

تكيف العدسة

ويختلف الأمر في الكاميرا عنه في العين حيث يتم في الحالة الأولى تغيير المسافة بين العدسة أو الفيلم ، أما في الحالة الثانية حيث المسافة بين العدسة والشبكية ثابتة ، فيتم تغيير قوة العدسة بزيادة أو نقصان تحدب سطحها وهذا ما يطلق عليه اسم عملية تكيف العدسة .

وفي العيون الطبيعية تكون الشبكية على مسافة من عدسة العين مساوية لبعدها البؤري ، ولكن في بعض الأحوال غير الطبيعية يكون حجم العين أكبر أو أصغر من الحجم الطبيعي ، وبالتالي تكون المسافة بين الشبكية والعدسة أطول أو أقصر من البعد البؤري للعدسة .

وفي هذه الأحوال يكون من الضروري عمل تكيف لقوة العدسة ، حتى يصبح من الممكن تجميع الأشعة على الشبكية ، وإذا كان مقدار الاختلاف عن البعد الطبيعي أكبر من قدرة تكيف

● زرع العدسة الجديدة بعد إزالة العدسة المعتمة ●

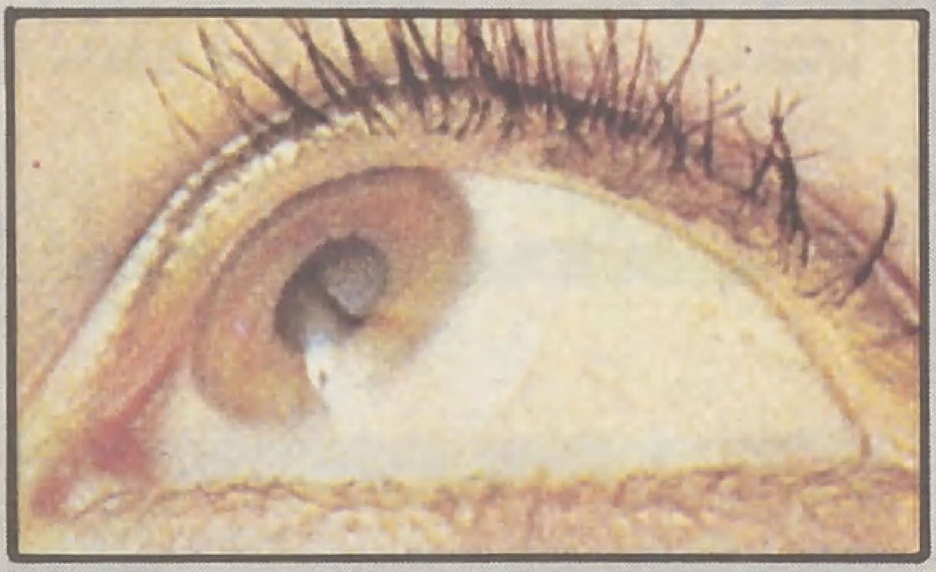

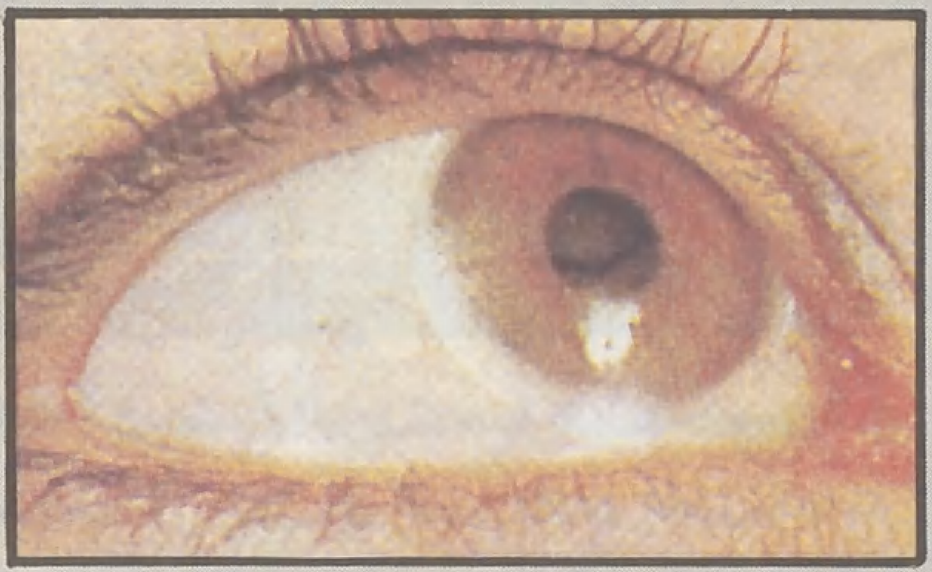

● هذه الإصابات تحتاج لعدسات لاصقة .. ●

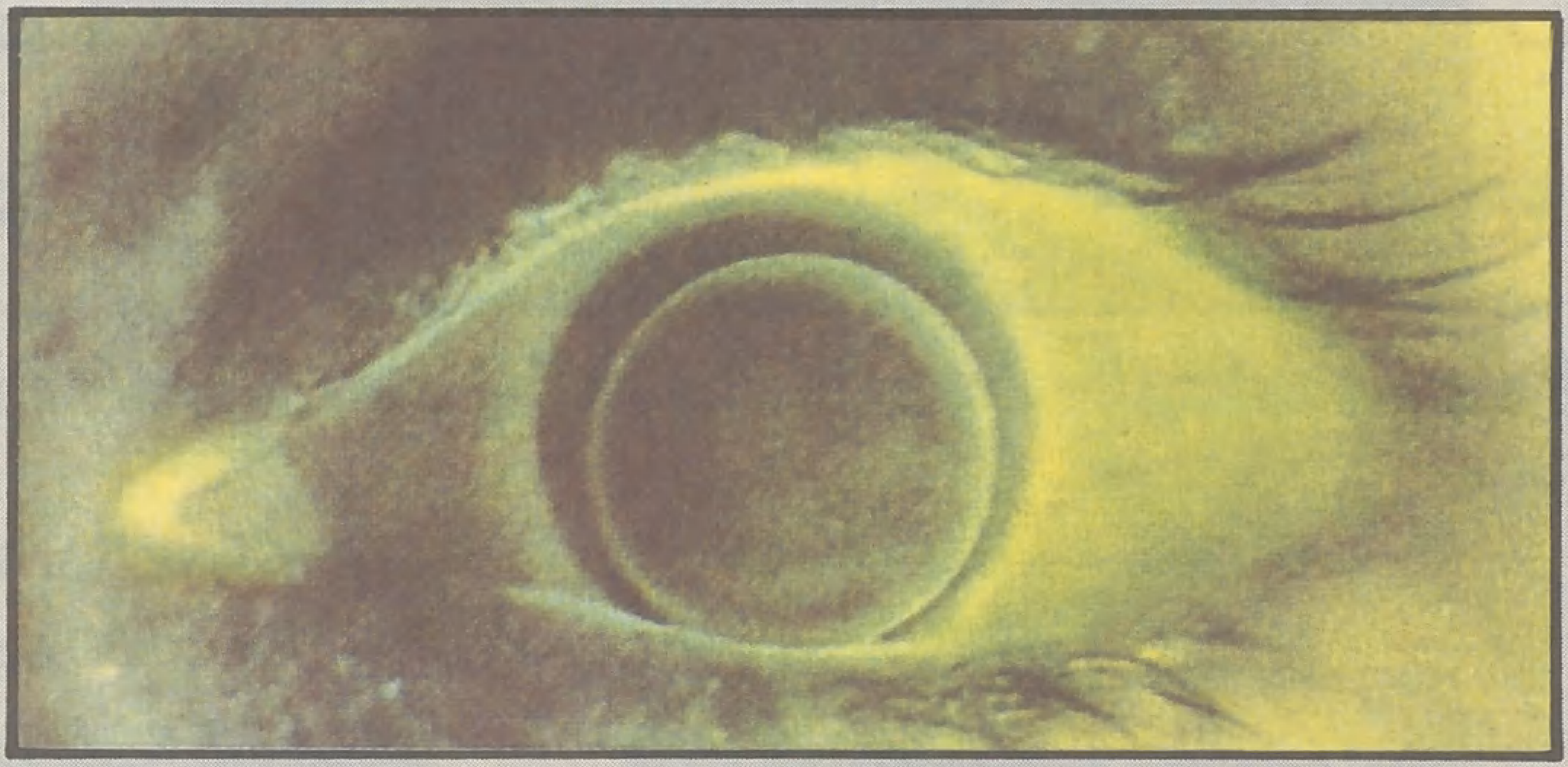

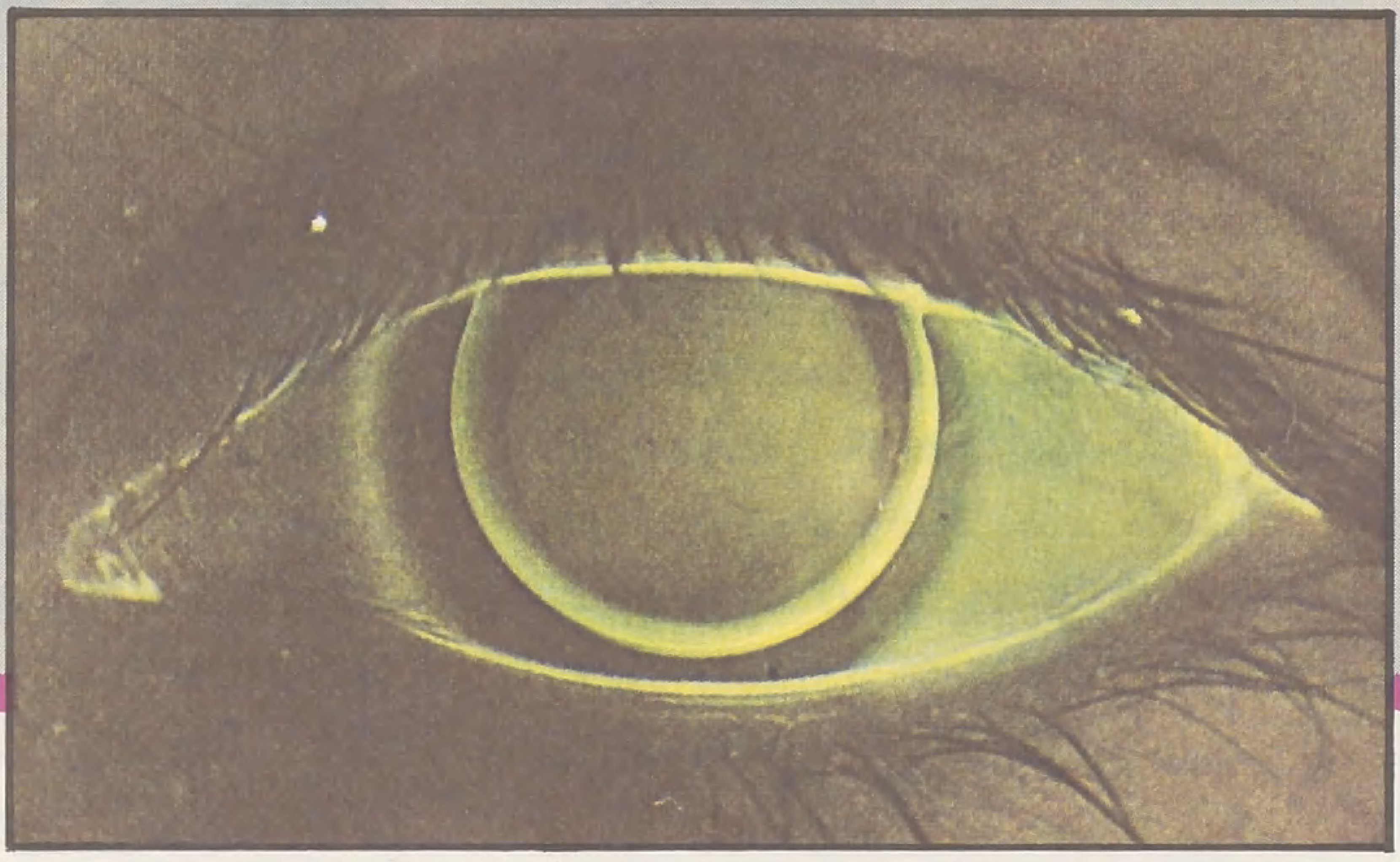

● هكذا تبدو العدسة اللاصقة داخل العين ●

العدسة تظل الرؤية غير واضحة ؛ مما يستدعي اللجوء إلى استخدام عدسات إضافية في هيئة « **نظارة** » ، أو « **عدسة لاصقة** » ، أو « **عدسة تزرع داخل العين** » .

العدسات والعين

وقد يسأل سائل : ما الداعي لوضع عدسة داخل العين طالما أنه يمكن استخدام نظارة ؟

يمكن لهذا السائل أن يلقى الإجابة إذا أمسك بعدسة محدبة ونظر من خلالها إلى كتاب (مثلاً) ؛ فسيجد أنه كلما ابتعدت العدسة عن عينه كلما كبرت الصورة التي يراها بهذه العين ، وسيجد أيضاً أن الصورة التي يراها بعينه الثانية - التي لا توجد عدسة أمامها - تكون أصغر حجماً . وهذا الاختلاف في حجم الصورة المتكونة داخل كلتا العينين يسبب « زغللة » واختلال في الرؤية ، وكلما قربت العدسة من العين كلما قل الفرق في حجم الصورة وبالتالي قلت الزغللة أو اختلال الرؤية .

وهكذا كما تبين التجربة السابقة أن حجم الصورة يكون أقرب إلى حجمها الطبيعي كلما قربت العدسة من العين ؛ **لذلك نجد أن العدسة اللاصقة تعطي صورة أصغر من النظارة ، وتعطي العدسة المزروعة صورة أصغر منها ، مما يقلل من أعراض الزغللة وخلل الرؤية .**

وكما سبق وأشرنا يتكون الجهاز البصري للعين من القرنية والعدسة ، ولكي تكون الصورة طبيعية يجب أن تكون قوة هذا الجهاز البصري متساوية في جميع الأقطار ، وهذا يتأتى بأن يكون تكور القرنية متساوياً في هذه الأقطار ، ويحدث في بعض الحالات أن يصبح سطح القرنية متعرجاً مما يؤدي إلى اختلاف في قوته في اتجاه هذا التعريج ، ويجعل الصورة المتكونة داخل العين غير منتظمة ، **لذا فإن للعدسات اللاصقة تأثيراً مضاداً لهذا التعرج غير المنتظم ؛ لأن الدموع التي تملأ الفراغ بين العدسة والقرنية تقوم بملء انخفاضات التعرج** . ولما كانت معاملات انكسار العدسة والدموع والقرنية متقاربة يبدو كما لو كان الضوء يمر خلال وسط متجانس له سطح أمامي منتظم التكور ، وهو سطح العدسة اللاصقة .

وتستخدم في صناعة العدسات لدائن صلبة يمكن أن توضع أمام العين أي في النظارة ، أو توضع ملتصقة بقرنية العين (العدسات اللاصقة) ، أو توضع داخل العين بعد إزالة عدسة العين الأصلية ، ويتم تصنيع هذه الأنواع من العدسات عن طريق نحت أقراص من هذه المواد ، وتستعمل في ذلك مخارط صغيرة ، ويُعطى كلٌ من سطحي العدسة قوة تحدب معينة حيث تكون قوة العدسة مساوية للمجموع الجبري لقوة سطحيها .

وتصنع العدسات التي تزرع داخل العين من مادة « المثيل ميتا كريلات Methyl Meta Kerelat « **التي تتميز بعدم حدوث تفاعل طردي من الجسم ضدها .**

أقـــــدار ..

لقد كان للقدر الدور الأول في اكتشاف هذه الخاصية لمادة ميثيل ميتا كريلات ، فقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن الأطباء لاحظوا أن **عيون الطيارين التي تصاب بشظايا من زجاج طائراتهم (وهو مصنوع أيضاً من مادة الميثيل ميتا كريلات) ، لا يحدث فيها تهيج مثلما يحدث في حالة شظايا المواد الأخرى ، مما يعني أن العين قادرة على تحمل وجود جسم غريب مصنوع من هذه المادة** . أما التفكير في إمكانية استبدال عدسة العين بعدسة من اللدائن فالفضل فيه يرجع إلى أحد طلبة كلية الطب غير المتفوقين !!.. فقد كان هذا الطالب يشاهد أحد الجراحين وهو يجري عملية استخراج لعدسة عين مصابة بالمياه البيضاء Cataracta ، ويبدو أن هذا الطالب لم تكن لديه فكرة مسبقة عن كيفية إجراء العملية التي هي عبارة عن استخراج عدسة العين من خلال جرح يعمل في القرنية ثم إغلاق هذا الجرح ؛ لذلك دهش الطالب لقيام الجراح باستخراج جزء هام من العين دون استبداله ؛ فصدر منه سؤال بريء : عما إذا كان الجراح قد نسي أن يضع البديل للعدسة المستخرجة ؟ . ويشاء القدر أن يكون هذا الجراح هو الأستاذ **الدكتور « ريدلي »** ، وأن يكون هذا السؤال البريء هو الإلهام الذي حدا بهذا الطبيب إلى أن يبدأ

البصر

تجاربه وأبحاثه لزراعة العدسة بالعين ، وأن يستطيع تحقيق هذا الهدف .

العدسات « الطرية »

هناك نوع ثان من العدسات يسمى العدسة الطرية ، ويستعمل في صناعتها لدائن طرية ، ويتميز هذا النوع من العدسات اللاصقة على النوع الصلب ؛ من حيث إن المادة المصنوعة منها العدسات الطرية تسمح للغازات بالنفاذ خلالها ، لذلك فهي لا تؤدي إلى غباشة القرنية التي تنتج عن حرمانها من الأكسجين ، وهذه الميزة تسمح باستعمال العدسة لمدة أطول قد تمتد إلى أسبوع في بعض الحالات ، مما يجعل استعمال العدسات اللاصقة سهلاً للمعوقين أو كبار السن الذين يمثل لبس أو خلع العدسات بالنسبة لهم مشكلة دائمة .

أما العدسات الصلبة فهي تتميز بأنها لا تتلف بسهولة ، ولا تنمو عليها الفطريات ، وتقوم جزءاً أكبر من الاستجماتزم ، كما أنها أرخص ثمناً ، ولا يصيبها الجفاف .

ويتبع في صناعة العدسات اللاصقة الطرية إحدى طريقتين ، الأولى تعتمد على نحت قرص مصنوع من مادة العدسة وإعطائه قوة معينة ، أما الطريقة الثانية فتكون بوضع المادة التي تصنع منها العدسة في حالة سيولة داخل وعاء صغير ، ثم يدار هذا الوعاء بسرعة مما يولد قوة طرد مركزية تدفع بالسائل ناحية جدار الوعاء ، ويقل من كميته في وسط هذا الوعاء ، مما يعطي سطح السائل شكلاً مقعراً ، ويختلف مقدار هذا التقعر باختلاف قوة الطرد التي تعتمد على سرعة دوران الوعاء .

علاج الانفصال الشبكي

كما أن هناك لدائن أخرى تستخدم لعلاج الانفصال الشبكي ، فشبكية العين تتكون من عشر طبقات من الخلايا والألياف ، ويحدث الانفصال الشبكي نتيجة تمزق الطبقات الداخلية من الشبكية ، مما يسمح للسوائل الموجودة داخل مقلة العين بالتسلل من خلال هذا التمزق والانتشار تحت هذه الطبقات مسببة رفعها ، أو فصلها عن الطبقات التي تليها . ولذلك كانت الخطوة الأساسية في علاج الانفصال الشبكي هو غلق هذا « **الخرق** » لمنع تسرب السوائل خلاله .

ويمكن تحقيق هذا الهدف بعدة طرق منها : أن تدفع الطبقات الخارجية من الشبكية ناحية الطبقات الداخلية ، وذلك عن طريق وضع اللدائن على سطح الصلبة ، أو تحزم الصلبة بهذه اللدائن ، وتكون النتيجة أن « ينبعج » سطح الصلبة إلى الداخل .

أما الطريقة الثانية لعلاج تمزق الشبكية فهي : استخدام لدائن سائلة تحل داخل العين مكان الجسم الزجاجي ، ويقوم هذا السائل بدفع الطبقات الداخلية من الشبكية إلى الخارج ، وبذلك يغلق التمزق ويمنع انتقال السوائل خلاله .

كما أن هناك أيضاً استخدامات أخرى لِلّدائن إذ توجد أقراص من البلاستيك تستعمل لحفظ رقعة القرنية في مكانها ، وتوجد أيضاً كرات بأشكال مختلفة وملوَّنة تماثل العين الحقيقية وتوضع مكانها في حالة استئصال العين .

العين .. والعمى

إن أسباب عمى العين أو فقدان البصر كثيرة ومتعددة : ومن أهم أسباب العمى في العالم كله « **المياه البيضاء أو الكتاركتا** » ؛ إذ أنها تعد أكثر أمراض العين انتشاراً ، وهي عبارة عن عتامة في عدسة العين تحجب مرور الضوء اللازم للإبصار .. بدون أي ألم .. فتفقد العين الإبصار تدريجياً . وقد يدعي بعضهم أن علاجها ممكن باستخدام القطرة أو الدواء وهذا غير صحيح ، **فالعلاج لا بد وأن يكون جراحياً لإزالة هذه المياه ، وقد يتطلب بعضه تأجيل العملية حتى تنضج « تستوي » تلك المياه .. ولكن هذا أيضاً غير سليم .. فالأفضل في كثير من الأحوال أن تجرى العملية .. فوراً** .

ويجب تحذير المرضى من أي أفّاك يدعي شفاء الكتاركتا بالسحر أو القطرة أو الأدوية .. فالعملية على الرغم من دقتها وخطورتها ؛ فإنها مضمونة النجاح في أكثر من ٩٥٪ من الحالات .. **والكتاركتا يمكن أن تحدث في أي عمر** ، وفي الذكور والإناث على السواء ، بل وفي الأطفال حديثي الولادة أيضاً نتيجة إصابات العين أو التعرض للحرارة الشديدة أو الإشعاعات ، ولكن أكثر الأنواع شيوعاً هو الذي يحدث في الشيوخ ، ولذلك تسمى أحياناً **كتاركتا الشيخوخة** .. كما لو كان المرض جزءاً من التغير الذي يحدث في الجسم نتيجة للتقدم في العمر خصوصاً مع الزيادة في متوسط عمر الإنسان .

وبعضهم يعتقد أن **الكتاركتا** جلد ينمو على العين .. وهذا خطأ أيضاً ، كما أن وجود

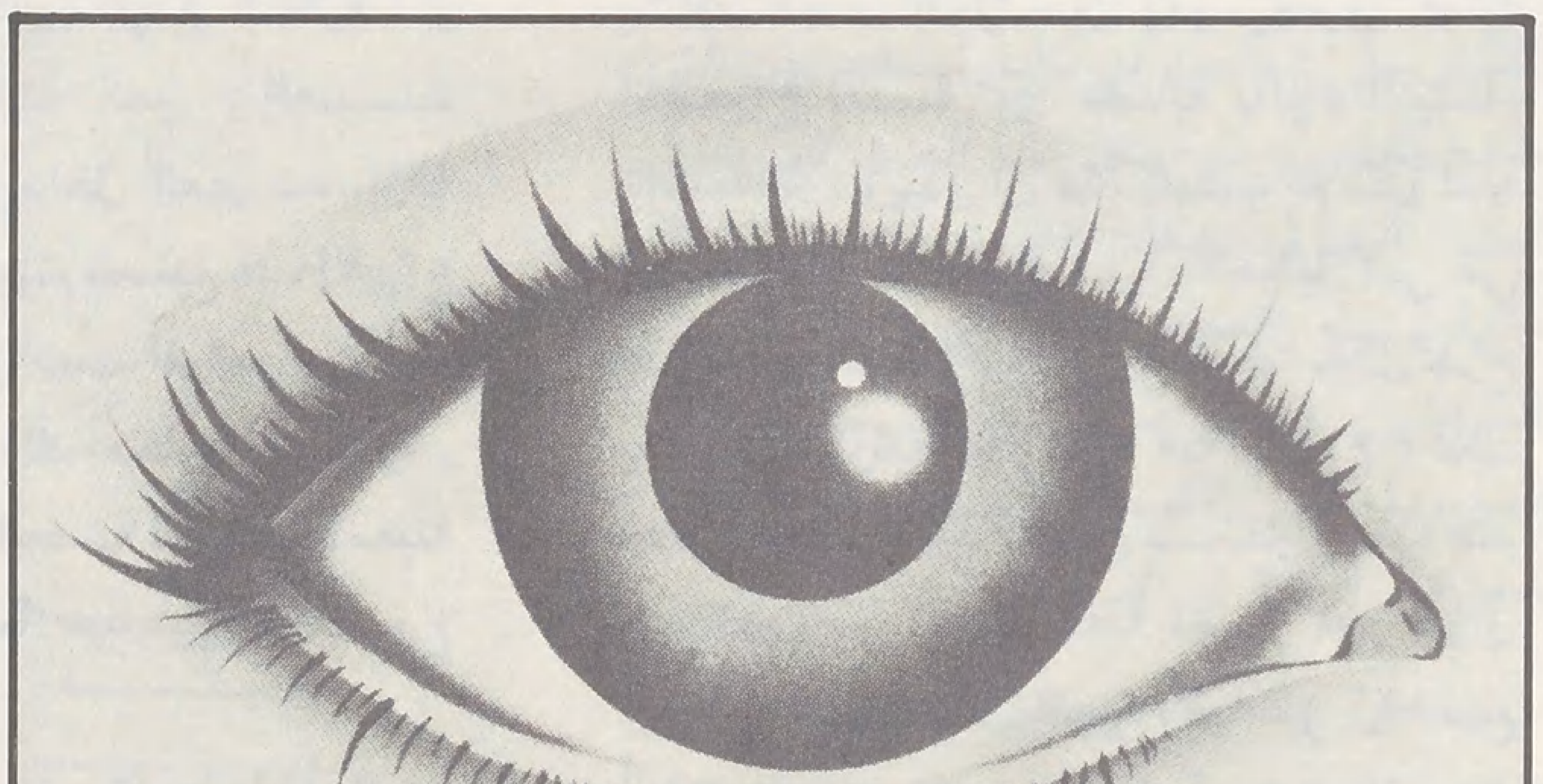

● بداية الكتاركتا .. ●

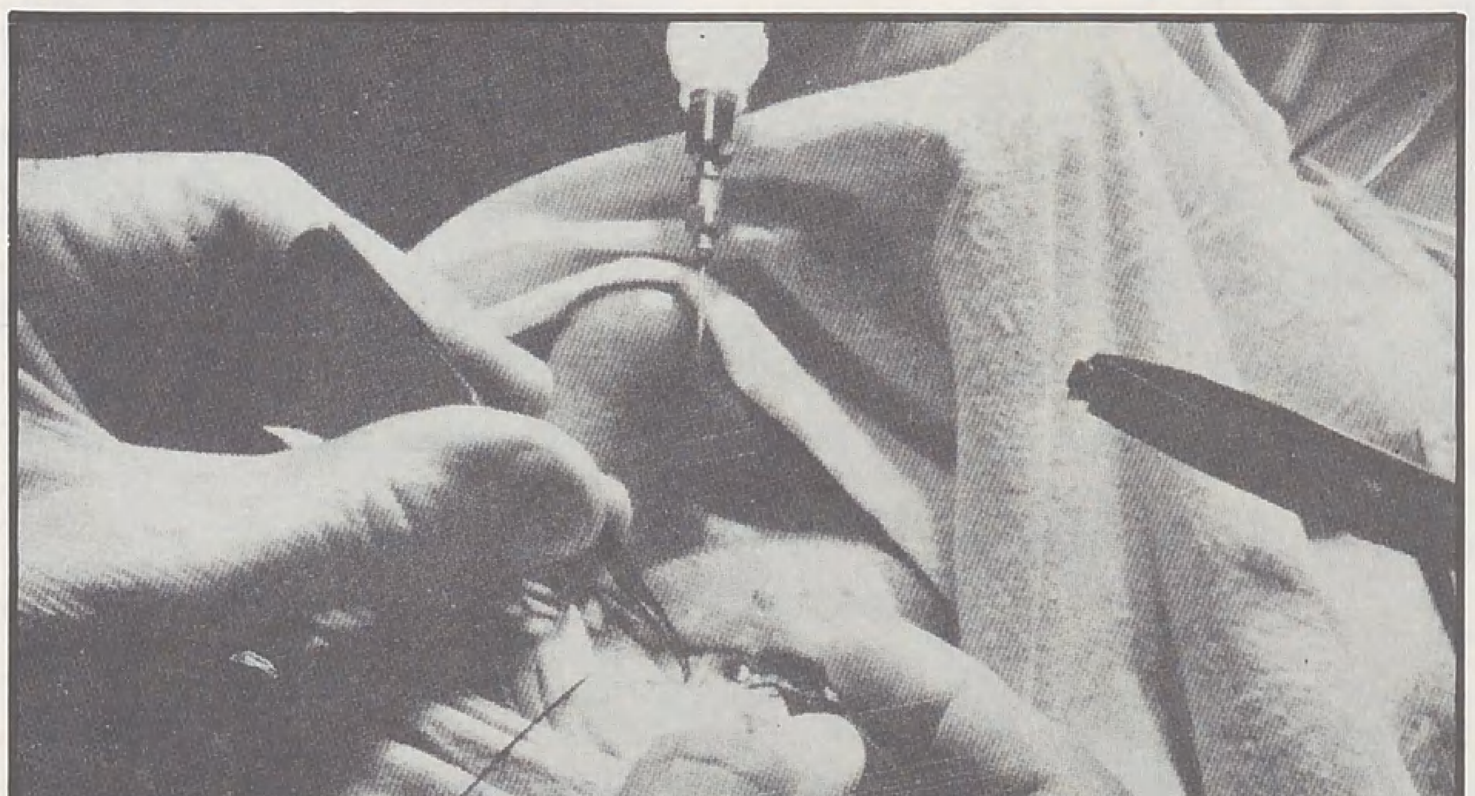

● عملية الكتاركتا وزرع العدسة الرخوة داخل العين ●

■ حدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن الأطباء لاحظوا عيون الطيارين التي تصاب بشظايا زجاج طائراتهم وأنها لا تحدث تهيجاً . فكان ذلك سبباً في اكتشاف عدسات تزرع في العين من المادة نفسها ■

الكتاركتا بإحدى العينين لا تعدي العين الأخرى .. فالمياه البيضاء هي تغير في طبيعة عدسة العين نتيجة لتقدم السن . وليس من المستغرب أن يحدث هذا التغير في العينين .

علامات المرض

- **حدوث عتامة أو غشاوة على العين ، فقد لا يستطيع المريض أن يرى الأشياء بالوضوح نفسه الذي تعود عليه .. مما يضطره لتقريب الأشياء من عينيه ، أو الاستعانة بضوء أكثر .. وحتى مع هذا فهو لا يرى بوضوح .**
- **ازدواج الرؤية .. خصوصاً للأضواء في الليل .. أو يبدو ضوء المصباح محاطاً بأضواء كثيرة ، كما قد تظهر نقط سوداء ثابتة في مجال الإبصار .**
- **كثرة تغيير النظارة .**
- **تغيير لون الحدقة إذ يصبح رمادياً أو أبيض بدلاً من لونه الأسود .**

ولكن .. متى تكون العملية ضرورية ؟

إن الطبيب هو الذي يحدد موعد إجراء العملية بعد الكشف الدقيق .. وقديماً كان الأطباء ينتظرون - ومعهم المريض وأهله - طويلاً .. حتى تنضج « تستوي » المياه .. بمعنى أن تكون القتامة كاملة ، ويحتجب البصر تماماً .. وكان هذا الانتظار يشكل عبئاً على المريض وضيقاً نفسياً كبيراً ، ولكن الآن مع التقدم الجراحي .. يمكن إزالة الكتاركتا بنجاح قبل « النضج » عندما يقل الإبصار بدرجة تعوق المريض عن مواصلة حياته العادية .. وقد يكون ذلك في وقت مبكر خاصة في بعض المهن التي تحتاج لإبصار حاد ، وفي بعض الأحيان تنضج **الكتاركتا** أكثر من اللازم ، مما يستدعي إزالتها فوراً منعاً لحدوث مضاعفات في ذات العين أو العين السليمة . حتى ولو كان الإبصار في الأخرى سليماً .

وإذا حدثت **الكتاركتا** في العينين ، فيمكن إزالة الأكثر نضجاً لزيادة مجال الإبصار ، وتحسين رؤية الأشياء ، انتظاراً لنضج المياه في العين الأخرى . والطبيب قد يستطيع رؤية قاع العين إذا كانت الكتاركتا غير ناضجة ، ولكن إذا كانت ناضجة تماماً فلن يستطيع تقدير حالة الشبكية وبذلك لن يستطيع تأكيد قوة الإبصار بعد إزالة الكتاركتا .. خصوصاً في حالات البول السكري .

أما **كتاركتا** الأطفال حديثي الولادة .. فيختلف الرأي بشأن الإسراع أو تأجيل إجراء العملية .. ولكن أحدث المؤتمرات الطبية أكدت ضرورة إجراء العملية في وقت مبكر تجنباً لحدوث ضعف وكسل بالعين أو حَوَل ، أو اهتزازات بالعينين .. مما يصعب علاجه فيما بعد .

العملية الجراحية

إن نجاح العملية الجراحية في الكبار مضمون بنسبة ٩٥٪ إذا كانت صحة المريض جيدة ، وليس هناك أية أمراض أخرى بالعين ، وتجرى العملية تحت مخدر موضعي ، وقد تجرى تحت مخدر كلي أو عام ، ولا يستغرق إجراؤها أكثر من ساعة .. وخطوات العملية باختصار هي :

- يجري الجراح فتحة أو قطعاً عند حافة القرنية « **التقاء البياض بالسواد** » ثم يزيل العدسة المعتمة بواسطة « **جفت** » أو الشفط بآلة خاصة ، أو بواسطة التبريد « **آلة خاصة تصل درجة حرارتها إلى أقل من ٢٠ تحت الصفر .. فتلتصق بها العدسة** » .

ولتسهيل استخراج **الكتاركتا** .. قد يضع الجراح داخل العين « **انزيماً** » اكتشف حديثاً يسمى « **الفاكيمو تريبسين** » يساعد على إضعاف وتذويب الرباط المعلق للعدسة .. وفي السنوات الأخيرة ، أمكن إحكام قفل (خياطة الجرح) بفضل الإبر الدقيقة الحادة ، والخيوط الجيدة مما يساعد على التبكير بحرية حركة المريض بعد العملية .. وكما أن استعمال المضادات الحيوية Antibiotics قبل وبعد العملية قلل نسبة حدوث العدوى بالميكروبات ، فأصبحت العملية أكثر أماناً .. ومدة الإقامة في المستشفى تختلف من حالة إلى أخرى ، وتتراوح ما بين عشرة إلى خمسة عشر يوماً .. وأما عملية الكتاركتا في الأطفال .. فتعمل تحت مخدر عمومي ولكنها تستغرق وقتاً أقل من عملية استخراج **كتاركتا** الشيخوخة ، ويغادر المريض المستشفى بعد يوم إلى خمسة أيام .

وفي بعض الأطفال قد تجرى عملية بسيطة جداً ، وهي أن تثقب العين والعدسة بواسطة إبرة خاصة مما يساعد على نفاذ سوائل العين إلى داخل **الكتاركتا** وإذابتها تدريجياً ، وقد يحتاج الأمر إلى تكرار هذه العملية للحصول على نتائج مرضية .

وبعد إزالة الرباط من على العين لا يكون البصر واضحاً تماماً إذ لا بد - بعد تمام التئام الجرح - من استعمال عدسات لاصقة ، أو نظارات لاستعادة البصر الحاد بدلاً من العدسة المعتمة التي أزيلت .

والعلم يتقدم والبحث الطبي يستمر ، فقد ثبت إمكانية الوقاية من بعض أنواع **الكتاركتا** كالتي تحدث من الإصابات أو التعرض للحرارة الشديدة أو الإشعاعات .. أو في الكتاركتا الخلقية التي تحدث حينما تصاب الأم في الشهور الأولى من الحمل بالحصبة الألمانية .

ولذلك فإننا ننصح بعدم تعرض الأم في هذه الفترة لهذا المرض .. أو تحصين البنات ضده . ولكن لم نصل حتى الآن لطريقة نتقي بها كتاركتا الشيخوخة أو إلى علاج غير جراحي لها .. وإنما ليطمئن مرضى الكتاركتا إلى أن العملية مضمونة النجاح تماماً إن شاء الله .

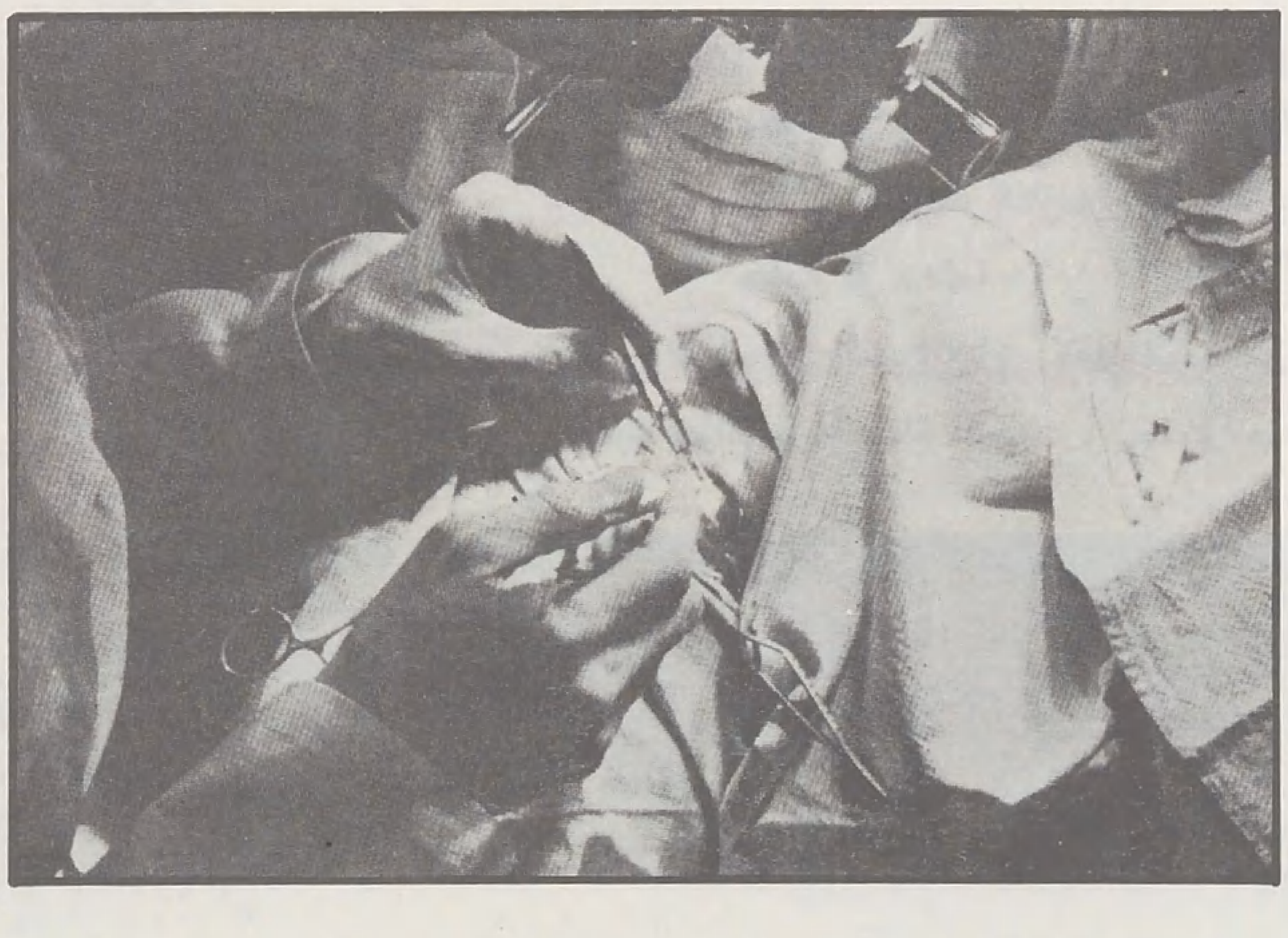

● جراحة لقصر النظر الشديد بحيث لا يستخدم المريض النظارة الطبية بعدها .. ●

■ كنّا قد عرضنا في القسم الأول من حوارنا مع الدكتور حسن الترابي حول « فقه المرحلة والانتقال من المبادىء إلى البرامج » لأهمية معطيات التجربة الميدانية في السودان على مناهج ووسائل وتصورات العاملين في الحقل الإسلامي ، وكيف أن تجدد الابتلاء سنَّة ماضية ، وضرورة الانتقال من المبادىء إلى البرامج ، وعملية التدرج في التطبيق ، والتعامل مع السنن الجارية وعدم انتظار المعجزات والسنن الخارقة ، واستيقاظ أقدار التدين ، وخطورة الإغراق في المثالية ، وضمانات الاستمرار ، وسنن المدافعة ومواجهة التحديات ■■

■ لا يمكن للتديُّن أن ينمو إلَّا في مناخ الحرية ■

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

في حوار مع الدكتور حسن الترابي

مؤسسات شعبية للرقابة العامة

■■ هل من ضمانات الاستمرار ، التفكير بإقامة مؤسسات شعبية للرقابة العامة أو ما يمكن أن يسمى بالمصطلح الإسلامي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ـ ليس من خلال الصورة المترسبة في أذهان الناس لبعض صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تأخذ جانباً من الحياة وتهمل أو تنصرف عن الجوانب الأخرى ـ وذلك حتى تشكل هذه المؤسسات بعض الضمانات على المستوى الشعبي وتكون معينة وليست بديلة ولا مقابلة للمؤسسات الرسمية ، حتى نتفادى مخاطر الازدواجية وما يمكن أن يكون من صراعات خفية أو معلنة ؟

ـ لمَّا لم يكن المشروع الإسلامي تنزيلاً من تلقاء الدولة وحدها وإنما كان دعوة لروَّاد من الدعاة اتسعت واتخذت بعداً جماهيرياً فأصبحت توجهاً

أجرى الحوار :

عمر عبيد حسنة

شعبياً تجاوبت معه الحكومة ، فقد كانت التشريعات الإسلامية تكاد تتوزع لتستجيب لحاجات هؤلاء وأولئك .. فإذا كانت بعض التشريعات مما يلي الحكومة ومحاكمها ، **فقد كان من أول القوانين التي صدرت قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** . وهو لا يضبط - بالطبع - الشعب لأن يكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر مرهوناً بإشارة من الحكومة ، ولكن **ليتيح للشعب أطراً من التنظيم حتى يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منظماً وفعالاً في المجتمع** .

ويؤسس هذا القانون على إيلاء المبادرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشعب في تنظيماته المختلفة وللشعب أفراداً .. **ولعلَّ ضآلة البناء السياسي والحكومي الإسلامي في تاريخ السودان قد اضطر السودانيين قديماً من أن يقوموا - شعباً - بكثير من مهمات العمل الإسلامي وأداء كثير من الوظائف التي يكلها مسلمون في أماكن أخرىٰ لحكومة يثقون بها وتؤدي دورها بفعالية** ..

إن غياب الدولة الإسلامية لعهود طويلة في السودان اضطر أهل السودان لأن يقوموا بخاصَّة أمرهم . ولذلك فإن قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبني على تقاليد واسعة في التنظيم الاجتماعي وفي الإيجابية الاجتماعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وليس من شك في أن **المجتمع الإسلامي الأمثل - ولا اقول المثالي - هو المجتمع الذي يقوم فيه الناس بأغلب شؤونهم ويتضاءل فيه دور السلطان لأضيق الحدود** ، لأن السلطان يستعمل أدوات القهر والأحكام الظاهرية ، أما الدين - بجوهره - فهو مواقف للوجدان وطاعة لله سبحانه وتعالى يجزى عليها الإنسان يوم القيامة .. وكلما تديَّن المجتمع وأفراده ، من تلقاء أنفسهم دون أن يرهبهم سلطان ولكن رهبة لله سبحانه وتعالى ورغبة فيما عنده ، يقومون بأغلب وظائف الدين .

محاصرة الشر والحدُّ من آثاره

... لقد شهدنا مراحل من تاريخنا الإسلامي السالف ، لأن الحكومة قامت في بعضها ببعض الصور غير الشرعية ، إلَّا أن الفقهاء حاصروها حتى لا ينشروا هذا الشر على المجتمع ، وخاطبوا المجتمع رأساً ليقوم بوظائف التعليم ووظائف العلاج والتكافل الاجتماعي وعون الضعفاء احتساباً .. ولذلك قام المجتمع بأغلب الوظائف التي هي في مجتمعات أخرىٰ متروكة للدولة .

ونحن الآن في السودان ، من خلال قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن خلال البناء على هذا التقليد الحميد في التاريخ الإسلامي وفي الواقع السوداني ، **نريد أن يتكامل الجهد الشعبي والجهد الحكومي** .. وبالطبع نظراً لطول غياب الحكومة عن الواقع ، تعطلت بعض الوظائف التي لا يمكن أن تؤدىٰ إلَّا من خلال السلطان لأنها تقتضي دقة في التنظيم لا تناسبها عفوية التنظيم الاجتماعي ، كما تقتضي كذلك بسطاً لقوة الإسلام المادية بما لا يُتاح من خلال العمل الاجتماعي .. ولذلك ، أحسب **أننا في دَوْر الانتقال سنكِل إلى الدولة أن تقود المجتمع وان تؤدي كثيراً من الوظائف ، ولكن تؤديها بوجهٍ يُربي الشعب بمقاصدها** حتى يُمكن - في مرحلة متقدمة إن شاء الله - أن نولِّد فقهاً جديداً ، يوزع وظائف الحياة توزيعاً مختلفاً .. ويمكن للسلطان أن يتقلص شيئاً ما لينتهي عند حدود الضرورة الشرعية ويقوم المجتمع عفواً ، من تلقاء دوافع الدين ، بعامة أمره ..

قصور الفقه السياسي

■■ **من المعروف أن الفقه السياسي قد توقف عن النمو من زمن بعيد ، حينما انفصل السلطان عن القرآن ، بينما استبحر واستمر النمو في الفقه التشريعي والعبادي ، الأمر الذي قد يجعل المكتبة الفقهية الإسلامية - في مجال الفقه السياسي - تبدو عاجزة في بعض الأحيان عن مدِّ التجربة الإسلامية بقدرٍ كافٍ من الفكر الفقهي ييسر أمامها رؤىٰ ومواقع جديدة ، مما يتطلب اجتهاداً ضمن إطار مقاصد الشريعة وقواعدها العامة .. فكيف يمكن معالجة ذلك ، خاصة وان الدولة الحديثة اضطلعت بوظائف جديدة وحققت آفاقاً بعيدة ومعقدة على المستوىٰ الداخلي وفي مستوىٰ العلاقات الدولية ؟**

■ **كثير من الأحزاب والتنظيمات التي ادَّعت أنها طلائع لتحول اجتماعي ، أصرَّت على أن تظل متمكنة في السلطة لمَّا وقع التحول الاجتماعي ، فحاصرت نفسها بدل أن يحاصرها غيرها .. ■**

■ **أقدار التديُّن التي تتأتىٰ من حركة شعب بأسره أضعاف ما يمكن أن يتأتىٰ من حركة صفوة مهما بلغت . وهذا أضمن إلى بلوغ القيم وإلى إثباتها من أن نحتكرها لطائفة ■**

ـ كان قدر المسلمين في تاريخهم أن يكون أول ما عطَّلوا من التدين وأكبر ما قصروا فيه هو جانب السياسة .. ففتنة الصراع السياسي أحاطت بهم ولم يقوموا بقدرٍ من التدين يكافىء قدر هذه الفتنة التي تعاظمت بانتشار الإسلام السريع ودخول طوائف قوى سياسية منفعلة بتاريخ السياسة اللادينية الجاهلية .. ولذلك تبدَّل نظام الخلافة وأصبح السلطان في كثير من جوانبه لا يقوم على نيَّات التدين .. وبعُد الواقع السياسي عن العقيدة شيئاً ما ـ ولا أقول خرج منها تماماً لأن معاني الدين بقيت تُظلِّل الدولة الإسلامية إلى عهد قريب حتى مرقت عمداً وسفوراً من بعد سقوط الخلافة العثمانية ـ **ومع انحسار الواقع ينحسر الفقه لأن العلم والعمل متلازمان** ، فإذا اتسع العمل اتسع معه العلم وإذا اتسع العلم اتسع معه العمل ، وإذا انحسر العمل كذلك انحسر معه العلم ، **فالفقهاء زهدوا فيما عند الحكام ، والحكام أدبروا عما عند الفقهاء في مجال السياسة خاصة** ، ولذلك تضاءل الرصيد الفقهي الذي نجده في تراثنا .

وتعقدت علينا هذه المشكلة في السودان ، لأن السودان لم يكن من البلاد التي فُتحت وتأسست فيها نظم للإسلام ، ولذلك تبقى بقية من بعض صور التطبيق الإسلامي القديمة يُمكن أن تُكيَّف وتُطوَّر . ولم يمارس السودان الدولة الإسلامية بمعناها الواضح السافر إلَّا لماماً .

وبالرغم من أننا حاولنا ـ من تجربة الغرب الكثيفة في مجال السياسة ـ أن نُقايس ، كما حاول بعض المفكرين المسلمين أن يقدروا كيف تكون الأحكام الإسلامية في واقع حضري كثيف تقوم فيه سلطة واسعة الوجود ، إلَّا أن **هذه المبادرات الفقهية** التي ظهرت أخيراً ، بين يدي تحديات الواقع ، لا تكاد تغني شيئاً .. وإنْ كان لنا كسب من الفقه الشعائري ومن فقه الأحكام في الأحوال الشخصية بل في المعاملات المدنية ، لا بأس به ـ وإن كان يحتاج إلى استكمال الكثير ـ إلَّا أنه إذا قسنا إليه رصيدنا من الفقه السياسي **الفيناه ضئيلاً جداً في واقع الأمر** .

معـــادلات جديـــدة

■■ **لا شك ، أن وظائف الدولة تبدَّلت وعلاقاتها تعقَّدت ...**

ـ وانتصبت مشكلات للمعادلة بين الحاكم والمحكوم ، بين استقرار الحكم وقوته ، لا سيما أنه حكم تُناط به مهمات انتقال وتحول إسلامي ، لا فقط تحول إلى التزام معايير شكلية ، ولكن **تحرك بالمجتمع كله نحو قوة اقتصادية وسياسية جديدة ، وأنه يُجابه انقضاضاً من العالم كله على التجربة الإسلامية** فلذلك لا بد من أن تتقوى الحكومة .. **كيف نعادل بين هذه المعادلة وبين معادلة الحرية والشورى داخل المسلم** ؟.. كيف نعادل بين **حق المسلم في أن يرى رأيه** وأن لا تحده دون رأيه عصبية ، وبين **ضرورة تنظيم الرأي العام في توجهات** حتى يسهل الحوار بين توجهات معدودة ولا يختلط الرأي هكذا ؟ .. هل يمكن أن **نتيح مجال التنظيم حتى ينتهي إلى أحزاب وإلى عصبية جديدة تمزق وحدة الأمة ، أم نخشى من ذلك** ولا يتأتى لنا ـ إن بسطنا الحرية ـ إلَّا ارتباك وفوضى واسعة ؟..

إنها قضية معقدة ! ويزيدها تعقيداً أنها تطرح في ظروف انتقال .. **والشعب المسلم غير مهيأ وما تزال فيه عصبيات ولو أطلقت له الحرية فإنه لا ينطلق بالإسلام وإنما ينطلق بكثير مما ورثه** من قبل .. وبذلك تتعقد علينا هذه المشكلة بأنها تطرح في مرحلة انتقال وصور الحكم ـ حتى التي نحاول أن نتمثلها ـ تفترض حاكماً ومحكوماً وإماماً ومأموماً على ذاك القدر من الوعي بالدين والانفعال به والعلم به كذلك .. وحتى الكُتَّاب يصورونها هكذا ويتوهمون أن كل المجتمع يقوم بحدٍ أدنى من الإيمان ومن العلم ومن المجاهدة بالإسلام ولذلك يرتبون الصور على هذا الاستصحاب ، ولكن **الاستصحاب يتخلف في مراحل الانتقال** .. وينسون ـ كما قدرت ـ مُدخلات العوامل الخارجية ؛ لأن ثمة قُوىً تحيط بالعالم الإسلامي وتتخلله وتكاد تؤثر على اقتصاده وعلى ثقافته وتقهره بالدعاية .

ولذلك إذا أطلقت الحرية استغلت تلك الحرية لتدخل منها مُدخلات غريبة على الدين ، **وإذا توجهت الحرية نحو الإسلام وُئِدت تلك الحرية واجهضت وفُرض على المسلمين نظام قهري حتى لا يتمهد لهم طريق الإسلام** ؛ بالرغم من أن الغرب يتشدق بالديموقراطية ؛ فلذلك يتعامل المرء مع شعب غير كامل الوعي والتدين ، ويتعامل مع قوة تكاد تكون في فعلها في المسرح الداخلي أقوى من قوة الشعب مجتمعة ، وقوة أقوى من أحزابنا وطوائفنا وتجمعاتنا التاريخية في أثرها على الحكومة الواحدة ..

من جور الأديان إلى عدل الإسلام

■■ **ولكن لا بد من التحقق بقدرٍ من الحرية كبير يميز التوجه الإسلامي عن الأنماط الأخرى التي أهدرت إنسانية الإنسان تحت عناوين شتى ومسوِّغات مضحكة من منطلق الاستبداد السياسي الموجود في كثير من**

■ **التديُّن تحرر من واقع القهر والسلطان .. والحرية لازمة من لوازم التوحيد وضرورة من ضرورات تنمية التديُّن . والمؤشر الصحيح للتحول الإسلامي سوف يبقى رهين الحرية السياسية** ■

فـقـه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

بلدان العالم العربي والإسلامي ، حتى الذي ينسج على منوال أوروبا ، يحاول أن يتهم الشعوب بوعيها وبقدرتها على التعامل مع جو الحرية ولذلك يأخذها بلون من الاستبداد السياسي .. ولا ندري : كيف يمكن ، إذا لم تكن مكتملة الوعي ، أن يكتمل وعيها بالظلم والاستبداد السياسي ؟ .. فقد يكون المطلوب أن تتحقق التجربة بقدرٍ من الحرية مميز ؛ ذلك أن التوجه يعني - أول ما يعني - الخروج من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وإلَّا افتقد التوجه مقوِّمات وجوده ..

ـ إن الغرب الذي ينعي علينا نظمنا التي يتهمها - استبداداً - يفعل ذلك ليكيد لصورة المسلمين .

فإذا رأى توجهاً عند المسلمين للحرية ، **والحرية عادة تفتح الباب للشعب** والشعب منفعل بالدين ، واد تلك الحرية بفعله حتى تظل التهمة متعلقة بنا وحتى ينسد الباب أصلاً للإسلام ، ولكن صحيح ما تقول : **إنه لا بد من توفير قدر واسع من الحرية لأنه لا يمكن للتدين أن ينمو إلَّا في مناخ الحرية** .. وما قام نبي إلَّا دعا أن يعمل كلٌّ على شاكلته ويعمل كلٌّ على مكانه وأن لا يُلزم الواحد أخاه وألَّا يكرهه على الدين لأن **التدين هو تحرر من واقع القهر والسلطان** ، وحتى يتعبد الإنسان لله سبحانه وتعالى .. **فالحرية لازمة من لوازم التوحيد وضرورة من ضرورات تنمية التديُّن** ولا بد من أن نهيىء لها المسلمين ؛ لأن المسلمين لم يتهيأوا لهذا القدر من الحرية .. فقد عهدوا في تاريخهم كله - ولا أقول في البناء السياسي وحده بل في البناء الاجتماعي أيضاً - قدراً كثيراً من التعبد والتذلل للسلطات البشرية .. فكان الفقيه دائماً يلقي بالفتوىٰ ولا يُناقش أبداً ، ولا دور للعامي إلَّا أن يتلقى وينفذ دون أن يُداور ويحاور .. وكذلك في طوائفنا الدينية **تجد الأتباع كأنهم لا شيء** ، عطَّلوا الدين كله وأصبحوا يتحركون بإشارة .. فنحن لنا تقاليد اجتماعية وفكرية وسياسية تكرس بعض الممارسات المخالفة لقيمنا ..

الفزع من الحرية عطّل الحياة الإسلامية

... ثم إن المسلمين يفزعون جداً من الحرية ، حتى الذين يدعون إلى فتح باب الاجتهاد مثلاً ، وإذا جئت برأي جديد - وهو بالطبع نتيجة لازمة للحرية - قامت الدنيا كلها : من أين أتيت بهذا ؟ ومن أين نقلته ؟ ولم نسمع بهذا في آبائنا الأولين ؟!.. **فكثير من المسلمين يخافون من الحرية ويرون أن للدين في كل فرعية دقيقة من فروع الحياة رأياً واحداً** ننتظره من أفواه العلماء وننبش التراث حتى نقف عليه .

والحرية إذا اتسعت ، اتسعت الآراء وازدهرت وتكاثرت ، وإن كان في الدين يقينيَّات وقواطع يجمع عليها الناس فستقوم حولها آراء واختلافات وظنيَّات واسعة .. **والله سبحانه وتعالى ابتلانا بهذا القدر من الظنيَّات** وهو الذي قدَّر أن تكون واسعة بهذا المدى .. ولا يمكن أن نعطِّل هذا الابتلاء بأن نردّ الدين كله إلى قوالب جامدة .. **فلا بد من إتاحة الحرية حتى يألفها المسلمون وألَّا يفزعوا من الخلاف مثلاً** ويحسبوا كل خلافٍ فتنة ، وألَّا يقدروا أن كل شيء في الدين قطعي ، فإذا اتسعت أمامهم الطرق تبلَّدوا واحتاروا وارتبكوا ارتباكاً واسعاً ..

وسنحاول إن شاء الله في الأنموذج السوداني ، بالرغم من التحديات المحيطة به وبالرغم من أنَّ هذا المجتمع الذي نُقيم فيه الدين اليوم بأتمِّ وجوهه ، مجتمع معقد مركب متباين له حدود واسعة وعلاقات واسعة بالمجتمعات الأخرىٰ ، وتلك السعة فيه تولِّد كثافة مما تموج به الحياة السودانية ، بالرغم من كل ذلك واستعانة بالله سبحانه وتعالى ، **سنحاول أن نوسع الحرية ؛ لأن التزام الإسلام ذاته يهيىء لنا قدراً من الانضباط ومن الاستقرار** الذي يحول دون الفوضى التي يمكن أن تتحقق من قضية الحرية ؛ ولأننا بالأمس كنَّا نخاف إذا فتحنا الباب من أن تُستقطب البلاد والأحزاب ويتشتت ولاؤها للخارج وتتمزق أشلاءً ويضيع الكيان الذي نعده لمستقبل الإسلام .. لكن الآن ، وبعد هذا الانفعال الواسع بالدِّين ، اكتشفنا وحدة جديدة .. وهذه **التحديات ذاتها تضطرنا إلى أن نضم هذا الصف** . ويمكن في هذا المجال أن يتاح لنا أن نتسع في الحرية السياسية بقدر واسع إن شاء الله ..

الحرية مؤشر التحول الإسلامي

■■ **هذا ما نتمنى أن يتحقق لأن المؤشر الصحيح للتحول الإسلامي سوف يكون رهين الحرية السياسية ؛ لأنه - كما تعلمون - سادت في التاريخ الإسلامي مسوغات ومبررات لقضايا الاستبداد السياسي وتكلموا بالمستبد العادل ، وغير ذلك .. فالأمر عبارة عن صناعة مسوغات للظلم في قوالب أخرىٰ ، تحت مظلة أو عناوين إسلامية ..**

ـ لعلَّك تدرك أنه في أيام الاستبداد السياسي يُزيِّن للناس أن يبحثوا عن مسوغاته وأن يؤولوا الآيات والأحاديث والمعاني الفقهية لمصلحة المناخ الذي يعيشون فيه وأن يبالغوا من الخوف من الفتنة والفرقة ومن الظنيات في الدين عموماً ..

■■ **بينما الخوف من بقاء الأخطاء وبقاء الانحراف وحراسة الظلم أشد ...**

ـ **الدين كله ثقة بالإنسان** لإتاحة حرية له حتى يتحرر من أسر الطبيعة والمجتمع وأسر الحكام ليخلص التعبد لله سبحانه وتعالى .. هذا هو جوهر التدين الذي لا بد أن يتمثل في حركتنا الفقهية وفي تنظيم الأسرة والجماعات الإسلامية وفي تنظيم دولتنا أيضاً .. فهذه قيمة أكبر بكثير من الأحكام الشرعية الكثيرة التي تؤسس معنى الشورىٰ ومعنى المناصحة ومعنى عدم استعباد الناس ..

■■ **ولكن مع الأسف بقيت في الكتب بالنسبة للحياة الإسلامية لفترة طويلة من الزمن ، والصف الإسلامي كان عاجزاً عن احتمالها أو لا يرغب في ممارستها بسبب بعض التخوفات أو الأوهام التي يمكن أن تدخل عليها**

■ من أخطر الابتلاءات التاريخية التي تجابه الحركات أن تتحول - من حيث لا تدري - من دعوة منفتحة على النَّاس إلى طائفة مغلقة تزدهي بتاريخها ورجالها وتريد أن تحتكر الفضل والعلم كله .. ■

التوجه صوب الإسلام مطلب جماهير الأمة

■■ لا شك بأن التوجه الإسلامي، كما بدا في السودان وكما هو واقع المسلمين جميعاً بعد رحلة الضنك التي عاناها من التطبيقات غير الإسلامية وما إلى ذلك، مطلب جماهيري وإن كان الفضل في تجديد ذاكرة الجماهير المسلمة تجاه القضية الإسلامية وتكوين الوعي الجماهيري يعود لروّاد يمثلون سرايا الاستطلاع للواقع والتحديات واكتشاف أمراض المجتمع والتبصير بها ..

فكيف يمكن للعاملين للإسلام أن يضمنوا الاستمرار، بالفاعلية الجماهيرية نفسها، في حمل أهداف الأمة وعدم الرجوع إلى مواقع خاصة أو تشكيل طائفيات أو طبقة خاصة تنسب إليها هذه المكاسب، فيخدعها ذلك عن أداء وظيفتها الرسمية فتنتقل القضية من إطار القيم والأفكار لتحبس في إطار الطوائف والأشخاص؟

ـ من أخطر الابتلاءات التاريخية التي تُجابه الحركات هي أن تتحول من حيث لا تدري من دعوة منفتحة مقبلة على الناس، تريد أن تستوعبهم للإسلام ولا تنحصر في ذات أمرها ولا تعكف أو تطوّف حول نفسها، إلى **طائفة مغلقة تزدهي بتاريخها وبرجالها** وتريد أن تحتكر الفضل والعلم والكسب كله.

والنظر في عبرة تاريخ كثير من الحركات التي بدأت ثم ـ من حيث لا تدري ـ تحولت هذا التحول المؤسف، **وعظنا بعض الشيء** هنا في السودان .. وظلت حركة الإسلام فيه تحاول أن تنتبه دائماً إلى هذه العلل التي تسري إليها من هنا وهناك .. **فهي لم تقُم أبداً يوماً من الأيام باسمها المتميز، لأن الاسم ذاته محور للتعلق الطائفي**، وإنما تحاول دائماً أن تدخل في جبهة واسعة من جمهور الإسلام، **وتركز على القضية التي يُدعى إليها لا إلى الداعين إليها** وتركز على الرسالة دون الرسول .. والحمد لله الذي هيأ لهذا المنهج المتفاعل مع المجتمع، الذي لا يجدِّد فقط وظائف لجماعة صغيرة مهما كانت صفوة في الإيمان ولكنه يعبىء طاقات الإيمان في مجتمع واسع .. وأحسب أنَّ هذه **الفاعلية الاجتماعية الواسعة** هي التي يسرت للسودان توجهه فلم يكن أكثر البلاد تأهيلاً من حيث استقلاله الفكري أو السياسي أو حتى من حيث عراقة تراثه الإسلامي .. ولكن الاتساع **بتعبئة الطاقة الإسلامية الكامنة** في الشعب كما يسرت **للإمام المهدي** قبل مائة عام في السودان أن يعبىء أهل السودان السذج حول قضايا الدين وأن يصدم الاستعمار ويكسره في وقت كان الاستعمار فيه أقوى ما كان ـ كان في عنفوانه وشبابه وكان يبسط سلطته كذلك ـ يسرت للسودان الآن، رغم كل التحديات التي تحيط به .. وما ذلك إلَّا بفضل الطاقة الشعبية الواسعة وبفضل الله من قبل ذلك؛ لأن ملايين من المسلمين يدعون إلى الله ويجاهدون في سبيله، أقرب إلى الله من فئةٍ قليلة مهما كان إيمانها .. إن توفيق الله سبحانه وتعالى **يتجلّ هنا في كثرة الملتمسين لهذا التوفيق ..**

الامتحان العسير

... ونحمد الله أن **الإطار السياسي** الذي طرح فيه هذا المشروع الإسلامي **والأدب الذي تأدّبت به الحركة الإسلامية** يمهد مناخاً صالحاً لأن يكون الشعب كله منفعلاً، حكومة ورعية ورعاة .. حتى الذين كان لهم تاريخ طائفي، انحصروا في هذه الرسالة التي استوعبتهم الآن وكسرت حاجز العصبية وكان يمكن أن يفضُّوا عنها لأنها لم تأت من تلقاء ما عهدوا من قياداتهم ومراكزهم ..

والحركة الإسلامية لَمّا انفعلت بهذه السماحة وهذه السعة، أعدت كذلك غيرها من الجماعات .. ولو أنها زهت بأمرها وأرادت أن تسلب الفضل، لنفرَّت كثيراً من المسلمين ولوقع التحاسد والتباغض بين الناس ولسقط بينهم الحق ..

■■ ولانتقلت ـ أيضاً ـ من وسيلة إلى غاية ولكانت سبباً في الإساءة للحقيقة الإسلامية ..

ـ نعم .. ونحن بالطبع لا نضمن، مهما اعتصمت الحركة الإسلامية بدواعي تجديد ذاتها ومواكبة التسيارات ولكن **لا نريد أن نكِل أمر الدين لأية جماعة كانت**، وإنما الجماعة المجاهدة الداعية هي مثل الفرد المجاهد الداعي ينبغي أن يفني ذاته وأن يستشهد في سبيل الله سبحانه وتعالى .. **فحركة الإسلام** التي كانت مؤهلة بشيء من زاد الفقه والزاد الإيماني **تفنى اليوم في المجتمع .. وكلما تحقق للمجتمع وجود وحضور للإسلام كلما ذابت هي فيه لأنها ليست غاية لذاتها**، وهذا **امتحان عسير** في مراحل الانتقال

■ حاولنا أن نتعامل مع المجتمع بيسر وأن نتفاعل معه فاكتشفنا فيه قدراً كثيراً من الخير، وأن اليأس منه وقطع الثقة به جملة واحدة أمر غير مؤسس وإنما يعين ذلك شيطانه عليه ■

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

لكل حركة .. وكثير من الأحزاب التي ادّعت أنها طلائع لتحول اجتماعي ، لّما وقع تحوُّل اجتماعي ، أصرت على أن تظل هي متمكنة في السلطان وتحتكر السلطة ، وأضر ذلك بقضيتها ذاتها لأنها بدلاً من أن يحاصرها الأعداء الذين يريدون أن يكيدوا لها ، **رضيت هي بأن تحاصر نفسها** .. وبدلاً من أن يعزلها غيرها ، **اعتزلت هي وتجردت واصبحت جسماً منفصلاً عن المجتمع** ..

وهذا يقتضي شيئاً من الصبر ومن التربية .. فكلما اتسع الإسلام ، ضعفت هي ..

الموكب الإسلامي

■■ **المشكلة قد تكون إلى حدٍ بعيد ، بسبب من سيطرة الصفات الحزبية على أخلاق الدعاة ، الأمر الذي أوقع بعض جوانب العمل الإسلامي بمشكلات وحال دون بلوغه المدى المطلوب ..**

ـ هذه الصورة المثالية للتدين التي ترىٰ أنه ليس أهلاً لأن يكون واحداً من الرعية المسلمة ، إلّا من بلغ قدراً هائلاً من الإيمان والإخلاص والجهاد والتقوىٰ ـ وهكذا ـ صورة غير صحيحة .. **فالموكب الإسلامي يستوعب الناس أجمعين ولكل دوره** ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾ .. ولربما الضعيف الذي يستوعبه الموكب ، لو أن الموكب عزله لظلَّ مرتكساً في جاهليته ، ولكن إذا حمله الموكب فلربما تستيقظ فطرته ويصبح من السابقين ويتجاوز بعض قُدامى السابقين .. وهذا ظهر لنا حيث إن **كثيراً من الغافلين القاعدين الذين كان يمكن أن نُباهيهم بكسبنا ، لّما انفتحت حالة الإسلام ، تقدموا ..**

■■ **في الحقيقة عندما تكون العلامة والتقدير للقيم وليس للأشخاص تنتهي هذه المشكلة ..**

ـ وهذا هو معنى الدين .. حتى بالنظر لشخصية الرسول ﷺ ، فقد كان القرآن يعلمه هذه المعاني : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ كان الكفار يركزون على شخصية الرسول ﷺ ويهاجمون رسالة الإسلام من خلال هجومهم على الرسول ﷺ وهو دائماً يذكرهم بمضمون الرسالة .. وبعض المسلمين ـ ضعاف الإيمان ـ كانوا يتعلقون بشخص الرسول ﷺ .

■■ **وفي تقديري حتى عدم التسمية بمحمديين بالنسبة إلينا ، كانت ذات مغزىً وأثر عظيم إذ ارتبطنا بالقيمة ولم نرتبط بالشخص عبر التاريخ .. لكن المشكلة الآن هي في ممارسة المسلمين ..**

ـ ما أن تكامل الأنموذج السنّي الإسلامي في دولة تمثلت فيها كل معاني الدين حتى قُبِض رسول الله ﷺ وأصبح لزاماً على المسلمين أن يتوجهوا على الطريق ذاتها وليس على الشخص .. ولذلك نشروا الدعوة وبسطوها في العالم .

حركة الصفوة وحركة الأمة

■■ **لا شك بأن يكون الأصل في هدف دعاة الإسلام : حكم القيم الإسلامية .. ويستوي عندهم أن يصلوا هم إلى السلطان أو أن يصل الإيمان إلى السلطان .. وفي التاريخ الإسلامي نماذج لوصول أهل الإيمان إلى السلطان أو لوصول الإيمان لأهل السلطان ..**

فكيف ترون الطريق الأمثل الآن من خلال المعادلة الدولية القائمة ومن خلال الظروف الحالية والتجارب التي مرت بها الدعوة الإسلامية ؛ خاصة وأن الدعوة الإسلامية في السودان مرّت بعدة تجارب من المعارضة والمواجهة والمصالحة وما إلى ذلك ؟

ـ هذا فرع عن الأصل الذي أصّلناه سالفاً .. ذلك أنه **إذا أخلص الدعاة لما يؤمنون به لكان هو أعزّ عليهم من أنفسهم ولَلْتمسوه أنّىٰ جاء** ..ذلك في الصلة بينه وبين المجتمع ، أن يتيحوا للمجتمع كذلك أن يؤدي دوره ، ومهما تضاءلت نسبة الفرد من عامة الناس من التدين ، إلّا أن **أقدار التدين التي تتأتى من حركة شعب بأسره أضعاف ما يمكن أن يتأتى من حركة صفوة مهما بلغت** .. وهذا أضمن إلى بلوغ القيم وإلى إثباتها من أن نحتكرها لطائفة ..

السلطان ... والقرآن

... وكذلك الصلة بينهم وبين الحاكمين .. ومعروف أن حركة الإسلام ـ لأسباب تاريخية ـ انفعلت بشيء من الجفاء للحكام ، ذلك أن **حكام المسلمين** كانوا دون سائر القيادات الفقهية والشعبية ، **نصيباً من التزام الإسلام في ما يليهم من الحكم** ؛ ولذلك انفعل المسلمون عامة بشيء من الجفاء لهم ، ووضع من التقويم الفقهي أنهم لا يؤسسون حكمهم على أصلٍ شرعي مقبول ، وإنما تجاوز الفقهاء ضرورةً عنهم .. ولذلك كان

■ **شأن المسلم أن يستعد لكل ابتلاء بما يناسبه من التديّن .. ولا بد أن تستعد الحركة الإسلامية بكل المناهج والأدوات حتى تحسن وضع الأمور في مواضعها ..** ■

■ التركيز على القضية التي يُدعىٰ لها لا إلى الدّاعين إليها ■

■ **لا نريد أن نكل أمر الدين لأية جماعة كانت .. والجماعة المجاهدة الداعية مثل الفرد المجاهد الدّاعي ينبغي أن يفني ذاته وأن يستشهد في سبيل الله ..** ■

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ الى البرامج

الحكم دائماً مشبوهاً حتى فقهياً .. وحتى **الحركة الصوفية** التي انتظمت العالم الإسلامي ، كانت **نوعاً من الياس من ان يربي الحكام الشعب** وان يأمروا بمعروف وينهوا عن منكر او أن يحققوا وحدة المسلمين .. فحاولت بالطرق المنبثة في قاعدة الشعب ، أن **توحِّد المسلمين حول مركز ولاء آخر** وأن تواليهم بالتربية من تلقاء القطاع الخاص ، كما **نقول الآن** ..

وزاد ذلك أن **الحركة الإسلامية** في عهدها الحديث ، بدأت غريبة بدعوتها لأول مرة **وفزع منها كثير من الحكام** فصادموها بعنف شديد وعذبوها واضطهدوها ، ولذلك انفعلت هي ، لا فقط بهذا التاريخ ، ولكن **برد فعل من هذا الواقع القائم** في كل بلد - تقريباً - من بلاد الإسلام .. ولما كانت **الحركة الإسلامية** تنشأ دائماً في قطاعات المثقفين ، فإن الثقافة الغربية التي انفعل بها هؤلاء المثقفون ، هي ثقافة فيها كثير من الرفض .. وقد شاع فيها في العهود الأخيرة الثورية والرفض ومنهج التحول العنيف ، وشاع عند كثير من المثقفين رفض الواقع - حتى بغير بديل - والثورة عليه حتى بغير تصور لقبلة معينة ..

كل هذه العوامل : التاريخية والذاتية والمجلوبة من الخارج ، أثرت على كثير من الدعاة المسلمين .. بل دعتهم **احياناً ، عمداً إلى ان يعزلوا انفسهم** .. فعندما **لا يتمكنون من مصادمة الدولة بالقوة يعتزلون جانباً** ..

معطيات التجربة الإسلامية في السـودان

... ولكن ، هنا في السودان ، تهيأت لنا ظروف من الابتلاء وظروف من نشأة فقه ، **حاولنا من اول يوم ان نتعامل مع المجتمع بيسر وان نتفاعل معه** .. وأمّلنا ذلك ، كذلك ، أن **نمد اسباب التعاون والتفاعل ذاتها مع السلطان** .. كما اكتشفنا في المجتمع قدراً كثيراً من الخير ، وأن اليأس منه وقطع الثقة به جملةً واحدةً أمر غير مؤسس ، وإنما يُعين ذلك شيطانه عليه ويضطره إلى أن يتخذ من **الحركة الإسلامية** موقفاً معيناً .

ولذلك ، **صالحت الحركة الإسلامية المجتمع وصالحت الدولة ايضاً** .. صحيح أن المصالحة تعني أن يختلط الحق أحياناً بكثير مما يراه باطلاً ..

وكثير من المسلمين يفزعون من هذا الاختلاط ويريدون الحق بائناً في جانب والباطل بائناً في جانب آخر حتى يقولوا القولة المشهورة : السنا على الحق ؟ اليسوا على الباطل ؟ فماذا بيننا وبينهم ؟ .. ولكن ، إذا اختلط الحق بالباطل ، لا أقول اختلط في أذهان الناس **ولكن اختلط في الواقع واتصل ، قوَّى ذلك وزاد اهل الحق إيماناً** ، من هذه المجاهدة والمفاعلة .. **﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾** . **ومن هذه المدافعة يحقق الله التدين** ، وبغير هذه المدافعة تفسد الأرض كما يقول القرآن : **﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١)** ..

فمن خلال هذه المفاعلة **اعدى اهل الخير اهل الشر** وحاصر أهل الخير الشر ولم يُحاصَروا هم ولم يستعيذوا ويفرّوا إلى شعاب الجبال ، **بل دخلوا معه في كل مدخل وطهروا منه الأرض** .. وتحقق بحمد الله سبحانه وتعالى هذا القدر من الإيمان **وتوحَّد عليه المجتمع بغير صراع** ، لأن الصراع - بالطبع - له مغبّات كثيرة .. وقد يضطر المسلمون للجهاد وقد يضطرون للصراع ، وهذا باب وارد في الدين ولا نقول إن الدين لا يتأتى إلَّا من خلال المصالحة ولكن هذه الطريقة هي الطريقة الحسنى ..

■■ **لكن ، يبدو - والله اعلم - ان اعتماد احد الطريقين بإطلاق فيه خطورة ، وقد يوصل إلى طريق مسدود ويحول بين الدعوة وتحقيق اهدافها .. ولذلك لا بد ان يفكر بالطرق الأجدى في كل مرحلة وبما تقتضي ...**

إن صورة بعض العاملين للإسلام اليوم ، اصبحت في اذهان بعض الحكام انهم لا يريدون من وراء التعامل مع السلطان إلَّا ان يكونوا بديلاً في الحكم وما إلى ذلك .. فهذا ولَّد تهمة لهم بانهم يطلبون السلطة . وقام نوع من الصراعات الشديدة ربما يكون قد اعان الشيطان على السلطان وحال بينه وبين أن يصل صوت الإيمان إليه في كثير من الأحيان ..

ــ شأن المسلم أن يستعد لكل ابتلاءٍ بما يناسبه من التدين .. ولما كان في وسائل ومناهج الدين سعة - لا يقابل المحسن إلَّا بالحسنى ويجادل بما هو أرفق والطف به ، وإذا انقلب الأمر وجابهه العدوان فلا يستكين ولا يلين وإنما يرد العدوان بالجهد ، كان لا بد أن تستعد **الحركة الإسلامية** بكل المناهج وكل الأدوات حتى تحسن وضع الأمور في مواضعها **ولا تفوِّت فرصة لانها تفقد - حينئذٍ - الأدوات المناسبة لهذه الفرصة** ..

ومن بعض **وجوه البركة علينا** أننا قدِّرنا بعد أن قام الدين هنا ، لا من تلقاء **الحركـة الإسلامية** مباشرة ، ولكن من مناصرتها وتعاونها ووصل جهدها بجهد الحكومة القائمة ، أن **عُمِّي الأمر بعض الشيء على بعض الذين يريدون أن يكيدو للإسلام** ؛ لأنهم لو رأوا **الحركة الإسلامية** التي يرهبونها أيّما رهبة ويتهمونها بالإرهاب ، هي بذاتها ووجهها تصل إلى الحكم ، ربما حملوا على واقع الإسلام حملة أضخم بكثير مما تحتمل الطاقات المدافعة الدينية في هذا البلد .. ولكن الله سبحانه وتعالى يلطف بعباده ويستر ويحمي أحياناً ويُلقي غشاوة على أعين الآخرين ، ويعصم عباده الدعاة كما عصم الرسول ﷺ من الناس .. وقد يكون من بعض هذه الغشاوة وهذه العصمة أن يتخذ الشكل الإسلامي شكلاً يرونه أقرب إليهم مثلاً شيئاً ما أو أقلَّ بشاعة في أنظارهم ، ولكن ، **يبقى أن جوهـر الحق واحد مهما كانت الأثواب التي يلبسها** ..

أين المرأة المسلمة؟!

●● سؤال طرحه كاتب كلمة : عودة إلى استطلاع الرأي (صفحة ٤٤ عدد ذي الحجة) فأدمى قلبي .. حقاً إن الكلمة كانت تقطر ألماً ..

عدت إلى كلمة الكاتب مرات .. وحاولت أن أتمالك نفسي وألملم مشاعري .. حاولت أن أنظر في الأمر بتجرد .. وليس هذا بالأمر اليسير على امرأة مثلي نشأت في عالم إسلامي متخلف وتنفست ثقافة الانحطاط طيلة أربعين عاماً .. وتلقت من الإهانات التي تعامل بها الأنثى في عالمنا هذا ما كان كافياً لتعقيدها وشحنها بمشاعر العداء لولا أن تداركتها نعمة الله ورحمته .. ●●

بقلم : حنـــان لحـــام

مسؤولية الرجل والمرأة

أين المرأة المسلمة ..؟! هل أقول إنها هناك حيث أراد لها بعض الرجال أن تكون .. عند كل تفاهة وترهة .. في مجالس اللغو واللهو .. في الحفلات ووراء التقاليع والموضات .. دمية مرصعة بالملابس والجواهر والألوان والأصباغ .. تحمل وتلد ، وترضع أطفالها جهالة وخمولاً .. تربي بالخرافة والدجل لأنها لا تملك شيئاً آخر تنفقه .. وكل إناء بما فيه ينضح .. وليست هذه حال نساء العامة من المسلمين .. بل هي مع كل أسف حال زوجات وبنات أكثرية الدعاة من المسلمين ـ إلّا من رحم ربك ـ .

لن أتسرع في الحكم وأحمّل الرجل المسلم المسؤولية كلها عن غياب المرأة المسلمة الحقة ؛ فلكل مشكلة طرفان .. ولكل ظاهرة أبوان .. وإن كانت الآية الكريمة توجه الإدانة للرجل حين تقول : « الرجال قوامون على النساء » ، فالقوامة مسؤولية وتوجيه ورعاية .. وإذا ساءت أحوال المرأة فهي دليل على إهمال القوامة وسوء فهمها عند الرجل . هذا في الأحوال العامة ولا أتكلم عن الحالات الشاذة التي يستشهد لها الناس بامرأة نوح وامرأة لوط ..

أقول رغم إيماني بمساهمة الطرفين في هذه المشكلة .. لا بد أن نكون واقعيين ولا نغتر بالكلمات والخطب الرنانة .. وسامح الله كاتب الكلمة حيث يقول : (فأين المرأة المسلمة التي استغرقت دفاعاتنا عنها عمراً ثم عدنا إليها فلم نجدها) ؟!

هل لي أن أسأل : أيكفي الدفاع بالكلام وحده أمام تيار الثقافة المتدفق ؟! كيف تكفي الدفاعات والمرافعات في تغيير نفسية المرأة التي تستقبل عند ولادتها بالامتعاض .. ويميز عليها الذكر في المعاملة طيلة حياتها .. وينظر إلى تعليمها على أنه من الكماليات .. ويُستخف بها إن حاولت متابعة الأخبار والسؤال عنها .. ومناقشة الأفكار والكتابة فيها ..!! ألا يحق لي أن أقول : أين هو الرجل المسلم الذي يجب أن يعرف من زوجته عند عودته إلى البيت : ماذا قرأت ؟ أكثر مما يهمه : ماذا طبخت ؟

لنكن واقعيين ... فإن المسلم لا يهتم في بيته إلّا بطعام شهي وبيت مرتب ونظيف ، وزوجة جميلة وأولاد هادئين .. إنه يؤمن أن من واجبها أن تهيىء له جواً هادئاً كي يرتاح من عمله ثم يجلس ليقرأ وحده ما يشاء .. دون أن يعكر عليه أحد .. أما أن يخصص لها وقتاً يومياً يتدارس معها فيه ويناقشها في الأفكار وما يجد من قضايا .. أو يتكفل برعاية أولاده ريثما تحضر

كلمـــة

مشاركة الطفل المسلم : ضرورة

□□ إذا كانت التربية عن طريق القدوة هي أعمق وسائل التربية تأثيراً ، فإن التوجيه العملي الملازم لوقوع الحدث يعد من أقوى هذه الوسائل ... وحين تمر بالمسلمين في منطقة معينة ، كأفريقيا ـ بما فيها السودان ـ أحداث جسام ، مثل : المجاعة التي تهدد ملايين الأطفال ـ فضلاً عن الكبار ـ فإن غرساً مثالياً لقيمة كبرى يمكن أن يزرع في نفس الطفل في ظل هذه الأحداث : فبالقدوة يمكن أن يمثل اقتطاع جزء من ميزانية الأسرة وإرساله إلى جياع المسلمين أنموذجاً عملياً للطفل المسلم ، فالتوجيه النظري وإفهام الوالدين لطفلهما واجبه تجاه إخوانه ـ الأطفال المسلمين ـ ومساعدته على خوض التجربة باقتطاعه جزءاً من نقوده أو حاجياته وإرسالها إلى إخوانه يعد من أنجح وسائل التوجيه والتربية لهذا الطفل .. فالشعور بالواجب أمر ضروري ، فإذا ترجم هذا الشعور إلى واقع عملي ، وأصبح حقيقة بمشاركة الطفل نفسه في البذل والعطاء للآخرين ، تَعَوَّدَ الطفل منذ صغره تحمل المسؤولية ، فضلاً عن الارتقاء بمستواه العقلي الذي يمكن أن يتحول بعد ذلك إلى الربط بين الفكرة والتنفيذ .. ويمثل ذلك أهمية كبرى في التنشئة ...

إن أعداداً من الأطفال تموت جوعاً يومياً في قارة أفريقيا .. فهل يشارك الطفل المسلم في الوعي العام الذي يجب أن تستشعره الأسرة المسلمة تجاه جياع المسلمين في أنحاء العالم المختلفة ؟! □□

مجلس علم أو تشارك في مناقشة أو تحضير بحث .. فهذا هو (القطع النادر) ..

تُدفع المرأة إلى الفساد

في عالمنا الإسلامي المعاصر تُدفع المرأة إلى التفلت والفساد ويُوحى إليها أن الدين يظلمها ويحرمها من الكرامة والحرية .. وتُسخَّر لذلك كتابات ومؤلفات .. بل وسائل إعلام على مستوى العصر .. بكل ما تملك من فتنة واستهواء . مستعينة على إقناعها بكل أخطاء الرجل المسلم النابعة من سوء الفهم للنصوص الشرعية . فإذا نجت المرأة من كل ذلك ـ وقل أن تنجو ـ وعادت إلى دينها واجهتها عقبات ومعوقات ثقافية عجيبة ؛ في تحصيل العلم وفي السلوك الاجتماعي بل وفي أدائها للعبادات .. ولست انسى في هذا المجال ما قالته لي إحدى المؤمنات : كنت في جاهليتي تفتح لي النوادي والمسابح أبوابها على مصراعيها ، ويغرونني بتصدر المجالس فيها .. فلما هداني الله قصدت المساجد للعبادة فنهرت عنها ولم أجد لي مكاناً فيها .. حتى الحرم زُجرت فيه .. وتعوذ بعضهم بالله من النساء وهو ينظر إليَّ شزراً وكأنني شيطان دنس لأنني أردت أن أصلي خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام .. ولولا علمي بأن الإسلام غير المسلمين لانتكست وضعفت من جديد ..

فرق بين الدفـــاع عن المرأة والتربية لها

أعود فاقــول : إن الفرق شاسع بين من يتكلم عن مكانة المرأة في الإسلام ويدافع عن حقوقها .. ومن يقوم بتربية المرأة المسلمة ويضعها في مكانها اللائق ويحملها رسالتها .. وإن نسبة هذا الصنف الأخير ـ كما لمستم في إحصاء من شارك في الكتابة لاستطلاع الرأي ـ لا تتجاوز اثنين في المائة .

ولا أبخس الصنف الأول الذي يدافع عنها حقه .. فهو يمهد للثاني ويساعده في وضع الأسس النظرية .. ونحن حتى الآن لم نستطع أن نقدم ما يكفي في هذا المجال النظري إذ ما تزال النصوص ـ من آيات وأحاديث تتعلق بالمرأة ـ تفهم فهماً ذاتياً تطغى عليه الصورة الواقعية المعاصرة وتطبعه بطابعها .. ولا أزال أذكر أنني قد اطلعت منذ سنوات على كتاب الدكتورة سلوى خماش : المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف ـ وتألمت لما فيه ـ فلقد نقلت الكاتبة الصورة الواقعية المؤلمة للمرأة وصورتها لنا في كتابها .. ونقدت مفاهيم المسلمين الذاتية عن المرأة .. لكنها رغم سعة اطلاعها وحرصها على تقديم دراسة واقعية لوضع المرأة ومدى تطورها خلال سبعين عاماً .. أغفلت تماماً ذكر المستوى الذي وصلت إليه المرأة في صدر الإسلام وخلطت في نقدها بين الإسلام وفهم المسلمين الذاتي له فشنت هجوماً على القرآن والنبي ﷺ لأنها لم تفهم من النصوص الواردة عن المرأة إلَّا الفهم الذاتي الذي يفهمه المسلمون في عصر انحطاطهم .. وهي تشير في كتابها إلى عدد من المؤلفات المعاصرة التي حاولت أن تشرح مكانة المرأة في الإسلام .. وتنقدهـا . مما أشعرني بعدم كفاية ما قدم حتى الآن في هذا المجال .. ويا حبذا لو شاركت المرأة المؤمنة في تقديم شيء من هذه الكتابات الموضوعية .. فإن صوتها في هذا المجال لا يقل أهمية عن صوت الرجل .. ووجودها كأنموذج وحضورها ومشاركتها يقطع كل كلام .. فأين أنت يا أختي المؤمنة ؟!

بين الحــق والواجب

لقد وجهنا اللوم إلى الرجال بما فيه الكفاية .. وذاك كلام يرضي ويخدر نفوسنا ويعفينا من كل تبعة .. وما أسهل الحديث عن الحقوق والمطالبة بها .. ولكن هل تحل المشكلة بهذا الأسلوب ..؟! وهل هناك إنسان يحصل على حقوقه قبل أن يؤدي واجبه ..؟! إن أداء الواجب هـو الذي يصنـع الحقـوق .. ولقـد قـامت الصحابية بـواجبها وارتفعت إلى مستوى المسؤولية وضحَّت بكل ما تملك من أجل بناء مجتمع رباني .. ولم تقف لتطالب بحقوقها .. بل جاءتها الحقوق كثمار ونتائج ..

كيف تطمعيـن يـا أختي بنيـل الاحتـرام والـدعم .. وأنت حتى الآن تلهثيـن وراء التفاهات .. وتخوضين المتاهات .. لا همَّ لك إلَّا تتبع الأزياء والتقاليع والتفنن في ألوان الطعـام .. والتباهي بـالمظاهـر والأشكال في الحفلات والمجالس الفارغة ..؟!

سمعت مرة أن رجلاً فكر بالتبرع بمبلغ في وجوه الخير .. وكان قد سمع أن الإنسان إذا فكر بخير جاءه خمسون شيطاناً وكل واحد يدلي بحجته .. فقال : تَفَلَّتُ على خمسين شيطاناً وانتصرت عليهم .. فلما رجعت إلى البيت قالت الزوجة : الأولاد بحاجة .. ويلزمنا كذا وكذا .. والإنفاق على العيال أكثر ثـواباً .. فغلبتني المرأة ..!!

أين أنت يا أختي من الدور الجليل الذي قامت به الصحابيات من الدفع والتحريض على الخير ..؟!

لا تهملي نفسك وتحتقري جهدك ؛ فالميدان بحاجة إليك ، ودورك لا يستطيع أن يقوم به أحد عنك .. واسمعي النداء الذي يوجهه إليك أحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر :

« أي أختي المؤمنة .. يا بنت خديجة وسمية وأسماء والخنساء .. يا من نحن في حاجة إليها كحاجة عمر إلى أخته فاطمة .. لا تظني أننا استغنينا عنك عند الفطام .. بل نحن في حاجة منك إلى غذاء آخر تقدمه خديجة إلى رسول الله ﷺ حين وقفت بجانبه والعالم كله ضده .. وكانت تقدمه المؤمنات لأبنائهن وإخوانهن وأزواجهن .. أيتها الأخت المؤمنة .. يا حاملة رسالة محمد ﷺ .. يا من أمها خديجة الكبرى وأختها فاطمة الزهراء .. يا رائدة الجيل .. ويا أخت سمية .. ويا حفيدة أسماء جدتي عهد خديجة وسميـة وأسماء .. ولتـذهب نماذج هوليود إلى حيث ذهبت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . واعلمي أن جهدك واجتهادك رصيد للأمة فلا تحقري نفسك .. فما من شيء يمكن أن يخدم به الإسلام مثل الاجتهاد في الفكر والجهاد في العمل .. بزيادتهما أو نقصهما نتحول في صمت إلى أقويـــاء أو ضعفاء ...

يا رائدة الجيل .. أيتها الفتاة المؤمنة .. مـا أعظم مـآثرك ومـا أجـلَّ الأعمـال التي تنتظرك . . »(*) .

(*) الأستاذ جودت سعيد .

تركيا

التاريخ .. والمستقبل

التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

■■ تعد دولة الخلافة العثمانية ظاهرة تاريخية فريدة (١٢٨٨م) ، فهي من أبرز الدول العالمية في التاريخ .. شغلت حيزاً كبيراً من الزمان والمكان .. عاشت أكثر من ستة قرون ، وامتدت خارطتها إلى ثلاث قارات : آسيا وأوروبا وأفريقيا ، وكانت جيوشها أكثر جيوش العالم عدداً ، وأحسنها تدريباً وتسليحاً وتنظيماً ..

عبرت البحر من الأناضول إلى جنوبي شرق ووسط أوروبا (١٣٥٦م) ، ومضت تفتح أقاليم نصرانية أوروبية : بلاد اليونان بما فيها جزيرة المورة ، وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا والمجر ورودس وكريت وقبرص وألبانيا ، حتى بلغت مشارف فيينا - عاصمة النمسا - وجنوبي إيطاليا ، فكانت أول دولة إسلامية في التاريخ تصل إلى هذا العمق في الأراضي الأوروبية ، وهي أقاليم لم تخضع من قبل لحاكم مسلم ، وكان وجودها « العسكري » و « السياسي » هناك حقيقة واقعة ، وإن لم يكن وجودها العقيدي والثقافي قد امتدا بالقدر المماثل ■■

■ خريطـــة تركيـــا ■

▲ مدير التحرير في حوار مع القائمين على إدارة وقف المرادية :
الأوقاف الإسلامية ظلَّت الوعاء الاقتصادي الخيري المتخصص في تثمير موارد المسلمين وخدمة مجتمعهم واستمرار رسالة الإسلام في جميع الظـــروف ■

← المقر الرئيس لوقف المرادية للثقافة وتحفيظ القرآن للبنات في أنقرة - إحدى مؤسسات أوقاف المسلمــين - التي تحقق التواصل الثقافي ■

تركيا

التاريخ.. والمستقبل

التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

■ الدولة العثمانية قامت في غمرة أحداث تاريخية رهيبة لم يشهد المسلمون لها مثيلاً ؛ بعد أن زرع المغول والصليبيون الموت والدمار في ربوع العالم الإسلامي ..

وقد كان هذا الانتشار سبباً رئيساً وراء حملات التشهير التي قامت ضد الدولة العثمانية من جانب الدول الأوروبية الاستعمارية والتكتلات الصليبية والبابوية في روما ، والتي أسهم فيها رجال الحكم والسياسة والمؤرخون والباحثون وغيرهم ، وردّدها عدد من الباحثين والمؤرخين العرب في السنين المتأخرة ، **ولا نكاد نعرف دولة في العالم تعرّضت لمثل ما تعرضت له الدولة العثمانية من حملات التشهير ، حتى ترسّبت في أذهان بعض من رجال الثقافة والفكر من العرب والمسلمين أنفسهم صور حالكة عنها ، واقترن ذكرها بمظالم ومحن وتعسف واستغلال وتخلف وعزلة عن العالم .. وأغفل هؤلاء أن الدولة ـ على سبيل المثال ـ واجهت خطر وصول البرتغاليين الصليبيين إلى شرقي الجزيرة العربية ومحاولتهم ـ مرتين ـ (١٥١٧م ـ ١٥٢٠م) دخول البحر الأحمر من منفذه الجنوبي للاستيلاء على جدّة والزحف إلى مكة لهدم الكعبة المشرفة ، ويعتبر هذا الغزو أخطر غزو أوروبي صليبي في التاريخ الحديث لإقاليم عربية إسلامية تحت شعار « الصليب أو المدفع »** ..

ونحن هنا لا نذكر هذه الوقائع من باب التماس الأعذار ، فإذا كان تاريخ الدولة العثمانية قد تكاثرت حوله الافتراءات والأباطيل ، فليس معنى ذلك أنها كانت بمنأى عن السلبيات والأخطاء ، والحقيقة أن سقوطها بدأ من الداخل ، فإن الأحوال التي انتهت إليها الدولة ـ عندما بدأت تتآكل (عسكرياً) ـ أمام روسيا القيصرية الصليبية طوال قرنين فيما يسمى تاريخياً بالحروب الروسية التركية أو المسألة الشرقية ، مما جعل « **نيقولا الأول** » **قيصر روسيا** يطلق عليها ـ لأول مرة ـ عبارة « **رجل أوروبا المريض** » في حديث جرى بينه وبين صديقه « **إبردين** » **رئيس وزراء بريطانيا (١٨٤٤م)** ـ كتعبير قصدت به حالة الضعف العسكري والسياسي التي بلغت بالدولة العثمانية حد الاضمحلال والتدهور في القرن التاسع عشر ـ وكذلك أحوال البذخ والإسراف والترف ، وضعف الوعي بأهمية مقومات العقيدة وتثبيتها في أرجاء الدولة الواسعة بالمقارنة مع مقومات القوة العسكرية ، إن هذه الأحوال لتدل دلالة واضحة على أن الدولة كانت تحمل الكثير من بذور التخلف والضعف في داخلها ، **الأمر الذي أدّى إلى سهولة استيلاء « الجيش » بقيادة الضابط مصطفى كمال ـ الملقب بأتاتورك ـ على مقاليد الأمور في الدولة ، وإسقاط الخلافة ـ (مارس [آذار] ١٩٢٤م) وذلك بتدبير وفعل ودعم الدور اليهودي الصليبي** ..

غير أنه مهما قيل حول هذه التجربة الفريدة للوجود الإسلامي العالمي واستمراره في عمق التاريخ لأكثر من ستة قرون ، فإنه من غير الطبيعي أن يتوقف تفاعله الحضاري والثقافي تماماً ، ويُمحى بوقوع انقلاب عسكري ، وتحكُّم نظريات علمانية ، وتبنّي توجهات سياسية وإجراء تحولات اجتماعية جديدة .. والأمر الطبيعي أن تبقى عوامل التواصل والاستمرارية كامنة في ضمائر الناس ووجدانهم ، وتنعكس بصورة أو بأخرى على مسيرة حياتهم ..

ولعلَّ أكثر العوامل قدرة على البقاء والنفاذ ، وعلى إحداث عملية التواصل ، العامل الثقافي ـ الذي نلاحظ ملامحه واضحة المعالم في مسيرة الأجيال ـ من خلال جولتنا في بعض جسور التواصل ؛ المؤسسات القرآنية ...

بَعْد الصليبيين والمغول

على عهد **الأمير عثمان** (١٢٩٩م) كان قد تحقق الانتماء الإسلامي وتحدد الشكل **العسكري والسياسي** لدولة العثمانيين ، فقد كان والده « **أرطغرل** » قد اعتنق الإسلام على يد أحد علماء المسلمين السلاجقة ، وتبعه الناس ، أما عقيدتهم قبل ذلك فهي غير واضحة ، ويرجح المؤرخون أنهم كانوا في مرحلة تحول من الوثنية أو عقائد أخرىٰ إلى الإسلام ..

وتشير إحدىٰ الروايات المستقاة من الحوليات العثمانية القديمة إلى أن الأمير عثمان كان يتردد على عالم مسلم اسمه **الشيخ** « **أده بالي** » ـ وتطلق عليه المراجع العربية « أدب عالمي » ـ في قرية قريبة من مدينة « **إسكي شهر** » غربيّ الأناضول ، وكانت ضمن أراضي الدولة الرومانية الشرقية « **البيزنطية** » وضمها « **أرطغرل** » ـ وتلتقي عندها الآن خطوط السكك الحديدية من استانبول إلى أنقرة وقونية ـ وعلى كل حال فقد كانت علاقة العثمانيين الوثيقة بدولة الأتراك السلاجقة في الأناضول ـ وهي دولة إسلامية ـ عاملاً هاماً لاعتناقهم الإسلام ، واتباع **الأمير عثمان** في حكمه هَدْي الإسلام ، فخضع لمشورة الفقهاء ، وكان للإسلام أثر كبير في مستقبل

■ **الحركة العلمانية في تركيا ادَّعت بأن الإسلام هو السبب الحقيقي وراء تخلُّف الأتراك .. ثم جاءت حلولها سطحية ومقلدة لمظاهر الحياة الأوروبية ساهمت بتضليل المجتمع المسلم في تركيا ..**

العثمانيين ودولتهم ، فقد هيّأ لهم وحدة العقيدة ، وحرك وجدانهم وعزيمتهم بحماس دافق لنشر الإسلام وتوسيع دائرة حكمه ، ويمكن القول بأنه قد اجتمعت لهذه العاطفة روح عسكرية نابعة من بيئتهم الأصلية في سهول آسيا ، عمل الحكام والسلاطين على تعميقها في نفوس الناس فلازمتهم طوال تاريخهم ، وأصبحت إحدى سمات دولتهم ـ التي اتخذت منذ ذلك الوقت الراية المؤلفة من الهلال والنجمة علماً لها ، وهو العلم التركي الذي لا يزال ـ حتى الوقت الحاضر ـ موجوداً .

وقد جاءت النبتة الأولى للدولة العثمانية الوليدة في غمرة أحداث رهيبة لم يشهد المسلمون لها مثيلاً .. **ففي الوقت الذي كان فيه المسلمون السلاجقة يقاتلون جحافل الصليبيين التي خرجت من أوروبا باتجاه المشرق الإسلامي للسيطرة على بيت المقدس وانتزاعه (١٠٩٦م) كانت موجة أخرى من قبائل المغول الهمجية تتجمع في أواسط آسيا وتتجه غرباً باتجاه البلدان الإسلامية ، وما أن أخذ مد الهجمة الصليبية بالانحسار والتراجع إثر انتصار صلاح الدين في موقعة « حطين » الشهيرة وإنقاذ القدس من أيديهم (١١٨٧م) حتى زرع « جنكيز خان » ـ زعيم المغول ـ الموت والدمار في ربوع العالم الإسلامي ، فدمَّر معالم الحضارة فيه لمدة خمس سنوات متوالية ، وخاصة في منطقة شمالي العراق ، ثم قام حفيده « هولاكو » ، فاستولى على بغداد ـ عاصمة الخلافة العباسية ـ فنهبها وأحرقها وقتل معظم سكانها الذين بلغوا آنذاك حوالي ثمانمائة ألف مسلم ، بما فيهم آخر الخلفاء العباسيين ـ المستعصم ـ (١٢٥٨م) وأفراد أسرته ...**

في غمرة هذه الأحداث ، شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تقوم الدولة العثمانية الإسلامية ، التي استطاعت خلال قرنين أن تمد جناحيها شرقاً وغرباً ، وتدق أبواب « فيينَّا » ، كما أخضعت الأرض الممتدة شمالاً من حدود روسيا (الجمهوريات الإسلامية المحتلة جنوبي الاتحاد السوفييتي الآن) حتى الصحراء الأفريقية جنوباً ، بحيث بلغت مساحتها أكثر من عشرة ملايين ميل مربع ، وصارت أقوى دولة في العالم آنذاك .. والحقيقة أنه منذ أن عبر **طارق بن زياد** بالمسلمين بوغاز جبل طارق (٧١١م) وفتح الأندلس ، لم تتعرض الصليبية لمثل هذا الخطر إلَّا عندما رُوِّعَتْ أوروبا ـ ابتداءً من القرن الخامس عشر ـ بزحف مسلمي الدولة العثمانية على أرض البلقان وتوغلهم فيها .. لذلك فقد كانت جميع التحالفات الدولية التي قامت ضد الدولة العثمانية ـ طوال تاريخها الحافل ـ تحالفات صليبية ـ (وحسبنا أن نشير إلى واحدة منها على سبيل المثال ، وهي التي عقدت في القرن السادس عشر (١٥٣٨م) بين البابوية وإسبانيا والبندقية) ـ بحيث يمكن أن نعتبر أن الحروب الصليبية لم تنته بسقوط عكا ـ آخر معقل للصليبيين ـ في أيدي المسلمين على عهد السلطان « خليل بن قلاوون » ـ (٨ مايو [أيار] ١٢٩١م) ـ بل استمرت متأججة في نفوس الأوروبيين إلى العصر الحديث ـ وإن اختلفت ميادينها وأشخاصها والمؤسسات والدول التي شاركت فيها والأسلحة التي استخدمت فيها ـ إلى أن استطاعوا تحجيم الدولة ، وحاولوا انتزاعها من عقيدتها ، وفصم أواصر العقيدة بين الشعوب الإسلامية ..

البُعد العقيدي

وإذا كان بالإمكان تحجيم الدولة فإن البعد العقيدي يصعب النيل منه ويستحيل القضاء عليه تماماً .. وليس أدلّ على ذلك من أن الطابع الإسلامي ظل سائداً في الدولة على الرغم من أن قادة انقلاب عام ١٩٠٩م ـ من أعضاء جماعة الاتحاد والترقي ـ ومعظمهم من ضباط الجيش [الذين كانوا قد زحفوا على استانبول للمرة الثانية بقيادة **الجنرال حسين حسني** وأركان حربه **مصطفى كمال (أتاتورك)** لإرغام السلطان على التنازل وتم ذلك بالفعل] هؤلاء القادة على الرغم من أنهم كانوا قد ابتعدوا عن الخط الإسلامي الواضح ، وتخبطوا بين حركة « **تركيا الفتاة** » وحركة « **الجامعة العثمانية** » وحركة « **التتريك** » والحركة « **الطورانية** » ، وأمعنوا في الأخذ بنظام الحكم المركزي ، حتى إذا داهمهم الهجوم الاستعماري الإيطالي على طرابلس الغرب (١٩١١م) عادوا يرفعون شعار الجامعة الإسلامية من أجل الحصول على تأييد الشعوب الإسلامية في العالم واستثارة العاطفة الإسلامية لديها لتسارع إلى دعم قواتهم ـ أو المجاهدين ـ كما كان يطلق عليهم حتى ذلك التاريخ ..

■ [**ومن المعروف أن الصليبية الفاشستية في إيطاليا كانت تهدف من وراء هذه الهجمة إلى استئصال شأفة الإسلام من تلك البلاد وقتل رجاله ودعاته وتدمير مراكزه ؛ فأصدرت أمراً بإغلاق جميع الكتاتيب ، وجمعت العلماء والفقهاء والأئمة والمؤذنين وسجنتهم حتى استشهدوا جميعاً ، واستمرت الحرب حوالي عشرين سنة ولم تتوقف إلَّا بعد أسر الشهيد « عمر المختار »**] ■

وكان « **أتاتورك** » نفسه قد رفع المصاحف ، واستعار الشعار الإسلامي في حربه مع اليونان وحتى انتصاره عليهم (١٩٢١م) وكان هذا النصر جواز المرور له إلى السلطة ، فقد منحه « **المجلس الوطني الكبير** » لقب « **غازي** » ومعناه « **الظافر في حرب مقدسة** » ، وتم الاعتراف بالكماليين دولياً كقوة عسكرية وسياسية لها وزنها في تركيا ، بينما اعترفت بعض الدول بهم كحكومة قائمة على أساس « **الأمر الواقع DE FACTO** » !!

لقد كان البعد العقيدي وراء الانتصارات الكبرى التي حققتها الدولة العثمانية طوال تاريخها الطويل ، بينما لم يستطع الحكام والسلاطين الاستفادة منه في المحافظة على هذه الانتصارات مع مرور الزمن ..

فحين بدأ الزحف الإسلامي بقيادة **السلطان محمد الفاتح** (١٤٥٣م) على القسطنطينية عاصمة النصرانية في الشرق ، والتي قامت خلال عشرة قرون بأسوارها المنيعة تدفع الغزوات من

تركيا

التاريخ .. والمستقبل

التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

الشرق والغرب ، فأمر **الفاتح** جنوده بالصيام لتطهير نفوسهم وتزكيتها ، ودعا كبار رجال جيشه وخاطبهم :

(**إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول الله ﷺ ومعجزة من معجزاته ، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير ، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً ، وأنه يجب على كل واحد منهم أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه ، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسُّوها بأذى ، وليدعوا القساوسة والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون**) ..

وحين تم الفتح وكان **الفاتح** على رأس الجيش الذي دخل المدينة من الباب الشمالي كالسيل .. قال : « **الحمد لله ـ ليرحم الله الشهداء** » وترجل عن فرسه « **جامبولات** » واستقبل القبلة وسجد لله شاكراً ، وحثا التراب على رأسه .. ثم توجه إلى كنيسة أيا صوفيا وسجد لله ، وتلا حديث رسول الله ﷺ : [**لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش**] .. والذي لا يزال محفوراً على أحد الأبواب الكبيرة هناك .. ثم أمر بتحويلها إلى مسجد وأدّىٰ به صلاة العصر ، وأعلن بعض الروم إسلامهم ، واهتدى **الشيخ** « **آق شمس الدين** » إلى قبر الصحابي الجليل « **أبي أيوب الأنصاري** » بموضع قريب من سور القسطنطينية ، فأمر السلطان ببناء مسجد على ذلك الموضع وقصد إليه وأدّىٰ فيه الصلاة ، وبعد الصلاة نهض **الشيخ** « **شمس الدين** » وسلم « **الفاتح** » سيفاً ، وجرت العادة بعد ذلك تقليد السلطان الجديد وتنصيبه في ذلك المسجد ..

وعموماً استطاعت الدولة العثمانية أن تجعل من نفسها دولة الإسلام الكبرىٰ إلى حدّ بعيد ، وكان ينظر إلى حكامها على أنهم خلفاء للمسلمين امتداداً واستمراراً للخلافة الأموية والعباسية ، وما كانت تذكر كلمة « **الترك** » في ألقاب سلاطينها ، وعبَّروا عن الرابطة بكلمة « **المِلَّة** » وكانوا يقولون : الدين هو الملة ، ويلقنون ذلك للأطفال في أنحاء دولتهم ، وخاضت جيوشهم الحروب تحت شعار : « **إمَّا غازياً وإمَّا شهيداً** » ..

> ■ استطاعت الدولة العثمانية أن تجعل من نفسها دولة الإسلام الكبرىٰ .. ومن حكَّامها خلفاء للمسلمين ..

شيخ الإسلام

وجعلت من البحر الأحمر بحراً إسلامياً مغلقاً في وجه سفن البلدان غير الإسلامية ، فكان يحرم عليها تجاوز موقع ميناء « **مخا** » في اليمن حيث تقوم بتفريغ حمولتها في هذا الميناء ثم يعاد شحنها على سفن إسلامية تبحر بها إلى جدة أو ينبع أو السويس أو غيرها ، فأغلقت بذلك جنوبي البحر في وجه الزحف الاستعماري الصليبي الذي حاول التسلل من باب المندب إلى الأقاليم الإسلامية ، وكان البحر مغلقاً في جزئه الشمالي لأن قناة السويس لم تكن قد أُنشئت بعد ..

وكان السلطان لا يُقْدِمُ على حرب دون أن يستصدر من « **شيخ الإسلام** » فتوىٰ يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الإسلام بل إن لها أسبابها الشرعية ، **وكان « شيخ الإسلام » هو الوحيد الذي يملك عزل السلطان الحاكم بسبب انحرافه عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أو عدم أهليته**

■ « أيا صوفيا » حوَّلها محمد الفاتح بعد دخوله القسطنطينية إلى مسجد ، أدّى المسلمون فيه أول صلاة جمعة بعد الفتح .. ثم أمر « أتاتورك » بإغلاقه ضمن ما أغلق من مساجد ، وأخيراً حوِّل إلى متحف ■

البوسفور الذي يمر بمدينة استانبول .. بدأت من ضفته الأوروبية فتوحات العثمانيين إلى جنوبي النمسا

جسر القرن الذهبي - ثالث الجسور التي تربط بين الطريق الرئيس القادم من جسر البوسفور إلى استانبول القديمة ، وبين أوروبا

للحكم ، وهو الرئيس الفعلي للهيئة الإسلامية الحاكمة ، وإن ظل السلطان هو الرئيس لهذه الهيئة من الناحية النظرية ، وكانت تضم : القضاة والمفتين وأساتذة الشريعة وأصول الدين وهيئات التدريس في المدارس الإسلامية ..

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الهيئة الإسلامية الحاكمة في الدولة العثمانية تختلف في طبيعتها وتكوينها عن المنظمات الدينية النصرانية التي كانت تتحكم في أوروبا ، فالإسلام لا يعترف بوجود طبقة دينية مما يطلق عليها في الغرب اسم « **الكهنوت** » ..

التخلف العلمي

غير أن الأمور لم تستمر على المنهج نفسه الذي اتبعه العثمانيون منذ ظهورهم على صفحات التاريخ ، فقد بدأ الوهن والضعف يزحف إلى كيانهم والخلود للراحة والتقاعس عن الجهاد يشدهم شيئاً فشيئاً ، بعد انقضاء عهد السلاطين العشرة الذين أرسوا كيان الدولة وعززوا قوتها ومدُّوا فتوحاتها ، وكانوا يلتزمون بمنهج الله تعالى ، وقد رُوي عن السلطان « بايزيد » الذي كان يلقب بـ « الصاعقة » لسرعة حركته في مواجهة الأعداء أنه مثل أمام القاضي « **شمس الدين محمد حمزة الفناري** » ليشهد في إحدى القضايا ، فما كان من القاضي إلَّا أن ردّ شهادته ولم يقبلها ، ولما سأله السلطان عن سبب ردّها قال القاضي للسلطان : « **إنك تارك للصلاة مع الجماعة** » .. وكان أن بنى السلطان جامعاً أمام قصره وعين لنفسه موضعاً فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعدها ..

وشيئاً فشيئاً بدأت الدولة تستخدم رجالها العسكريين كأهل ثقة تطمئن إلى ولائهم في تقلد معظم المناصب المدنية في حكومات الأقاليم التي فتحتها ، وقيل وقتها : إن الجيش العثماني كان بمثابة عملة معدنية أحد وجهيها « **الحرب** » والوجه الآخر « **الحكم** » ، ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه السياسة من آثار سيئة ، حيث كانت هذه الفئة على درجة من الاستعلاء والجهل بالأمور الفنية ، فحدثت عزلة بين الحاكم والناس ، وانعدمت الثقة بينهما ، وانحسر رصيد الدولة من الكفايات المدنية ، ولم يدرك ذلك إلَّا بعد فوات الأوان .. فقد كانوا قادة حرب في عالم آخذ بالتفتح والعلم والتجريب بعد حياة طويلة من الظلام عاشتها أوروبا .. هذا بالإضافة إلى أن التخلف العلمي قد أصاب آلتهم الحربية

تركيا التاريخ.. والمستقبل

التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

ذاتها ، ويذكر أن الناس عندما شهدوا منطاداً يحلق فوق العاصمة اعتبروه من أعمال السحر ، وحينما انهزمت الدولة (١٧٧٤م) في عهد **السلطان سليم الثالث ، انتبه للأمر وبدأ ينشىء المدارس الجديدة ، وكان هو نفسه يدرس في مدرسة الهندسة ، وقام بتشكيل جيش حديث ثم ثار عليه الجيش القديم وقتله ..**

وقد مكّن هذا التخلف الغرب من التفوق المادي ، فاخترع الأسلحة الحديثة ووسائل الصناعة وبدأ عصر الآلة والبخار والكهرباء ، واستخدموا ما توصلوا إليه من أسلحة الدمار ضد المسلمين ، وحاولوا التشكيك في عقيدتهم وتاريخهم ، وتمكن الصليبيون من بث أفكارهم من موقع القوة ، وجاء تفوقهم فوجد الأرض ممهدة وصالحة ، فأشعلوا الفتن والثورات المسلحة ، وبدأ الزحف الصليبي يحمل لافتات جديدة دون تغيير في المضمون ، واستطاع أن يُبْقِيَ المسلمين أسرىً للتخلف والفقر ..

المقدمات والنتائج

غير أن المنطق الصحيح لا يقضي بأن تفسر أسباب الفقر والتخلف والانهيار الذي أصاب الدولة العثمانية بتدخل عناصر خارجية ، كالاستعمار والصهيونية والصليبية - من باب التبرير وإعفاء المسلمين أنفسهم من أية مسؤولية - وذلك لأن حالة التهديد الخارجي للكيان الإسلامي قائمة لم تنقطع في أي زمان ومكان ، بل إن الدولة العثمانية ذاتها استعصت على هذا التهديد لفترة طويلة وكانت منيعة بقدر التزامها بالعقيدة ، تتوسع وتنتصر .. وحين انحرفت عن منهج الله تعالى ، عجزت عن استيعاب المتغيرات والتطورات من حولها ، عن طريق تنشئة الجيل القرآني ، الذي يحسن التفكير في الكون وكائناته وظواهره ، ويدرك السنن وراء هذا الإعجاز والإرادة الفاعلة التي لا تدع للصدفة أو الانحراف والعبث مجالاً ، فيخرج على العالم بصيغة عمل مبرمج في شتى نواحي الحياة ، وبمنهج علمي متميز يتصدى لعلوم عصره - من ناحية - ويحافظ على أصالته - من ناحية أخرى - بتحديد أسلوب تعامله مع البشرية وإنجازاتها ، ومع الأشياء والأحداث على ضوء القيم والعلاقات التي حددها القرآن الكريم بدقة بالغة ، وبذلك يستأنف ما اضطلع به علماء السلف في الفلك والطب والكيمياء والطبيعيات والحيوان والنبات ، والرحالة الذين يجوبون العالم ، وبهذا يواصلون دور الريادة والسبق على أوروبا ، التي قامت العلمانية في تركيا بادعاء اللحاق بها ، فانتهى الأمر إلى أن أصبحت مسخاً منها ...

لقد كان الالتزام بالإسلام هو الذي صنع تاريخ الدولة العثمانية وقادتها ، ولا سبيل إلى المستقبل إلَّا من خلاله .. ويعترف السلطان عبد المجيد الأول في هذه الوثيقة (١٨٥٦م) فيقول :

[لا يخفى أنه منذ ابتداء ظهور دولتنا العلية ، كانت الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة في غاية المراعاة الكاملة ، ولذلك كانت قوة سلطنتنا السنية وثبوتها ، مع راحة جميع الرعايا ورفاهيتهم وعمار البلاد في غاية ما يكون من الكمال ، ولكن منذ مائة وخمسين سنة لم يعد انقياد ولا امتثال لا للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة لسبب ما طرأ عليها من الحوادث الكثيرة ، ولذلك تحوَّلت من القوة إلى الضعف ومن العمار إلى الدثار ، وإن مملكة لا تقوم بحفظ القوانين الشرعية تؤول إلى الاضمحلال .] ..

إن الوقوف على الأسباب الحقيقية لمشكلة ما يعد خطوة كبيرة نحو الحل الصحيح لها .. **أما الذي حدث فهو أن الحركة العلمانية الكمالية ادّعت بأن الإسلام هو السبب الحقيقي لتخلف الأتراك ، ووجد أتاتورك ما يستند إليه من وقائع التاريخ القريب ليعزز نظريته - وتلك هي مأساة الفكر الوضعي والبعد الحقيقي للمذاهب التي يطرحها هذا الفكر -** فاستند إلى ما كان قد قام في أوروبا من صراع مع الكنيسة من أجل اعتماد المنهج العلمي التجريبي في العلوم الطبيعية ، منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، حتى استطاعت أن تضع أسس العلم الحديث في برامج الجامعات ، وذلك دون أن تهجر فلسفتها أو تفرط فيها ..

ولأن هذا التحليل لأسباب مشكلة التخلف قد جانب الصواب ، فقد وضعت الحلول من منطلق أكثر تخلفاً ، حيث جاءت لتتعامل مع المظهر والشكل فقط دون أن تمس الجوهر ، وأخذت العلمانية تلهث وراء مظاهر الحياة الأوروبية وهي مهزومة ومفتونة ، وكأن علاج القضية يتوقف على تغيير غطاء الرأس عند الرجال برفع الطربوش ووضع القبعة (يومها علّق أحد المؤرخين الإنجليز قائلاً :

إن القرار يعكس رغبة الحكام الجدد في حمل الناس على ترك الصَّلاة) وإجبار المرأة المسلمة على رفع الحجاب والخروج سافرة ، وإلغاء الحروف العربية وإدخال الحروف اللاتينية في الكتابة التركية ، واستبعاد الكلمات العربية من اللغة التركية واستبدالها بأخرى أوروبية ، وإلغاء المدارس الشرعية ، ثم بناء عاصمة جديدة على الطراز الأوروبي (أنقرة) بدل العاصمة القديمة استانبول - ذات الطابع الإسلامي - لتتناسب مع الممارسات الشكلية لمعالجة قضية التخلف .. وتم إقرار ذلك في الدستور ضمن المبادىء الستة التي رسمت على شكل ستة أسهم على علم حزب الشعب الجمهوري **(حزب أتاتورك)** وهي : **القومية ، الجمهورية ، العلمانية ، الثورية ، الشعبية ، سلطة الدولة ..**

وبعد إقرار الدستور قام **أتاتورك** بإجراءات تكرس التخلف ، وتبتر صلة الشعب المسلم بتاريخه وبتراثه وحضارته وثقافته ، فأعاد كتابة التاريخ من أجل إبراز الماضي التركي القومي ، **وترجم القرآن إلى اللغة التركية ففقد معانيه ومدلولاته كلها ...**

وما حدث بعد ذلك لم يكن مفاجأة ، لأنه جاء كنتيجة طبيعية لهذه المقدمات كلها ، فقد زادت مشكلة التخلف حدَّة ، وبقي الفكر العلماني

بعد انقلاب أتاتورك : لجأت عائلات كثيرة إلى الريف - بعيداً عن أعين السلطات - تعلّم أبناءها الإسلام ، وتحفِّظهم القرآن الكريم .. فأصبحوا الرصيد الذي أعاد للقضية الإسلامية وجودها وفاعليتها في أنحاء تركيا ..

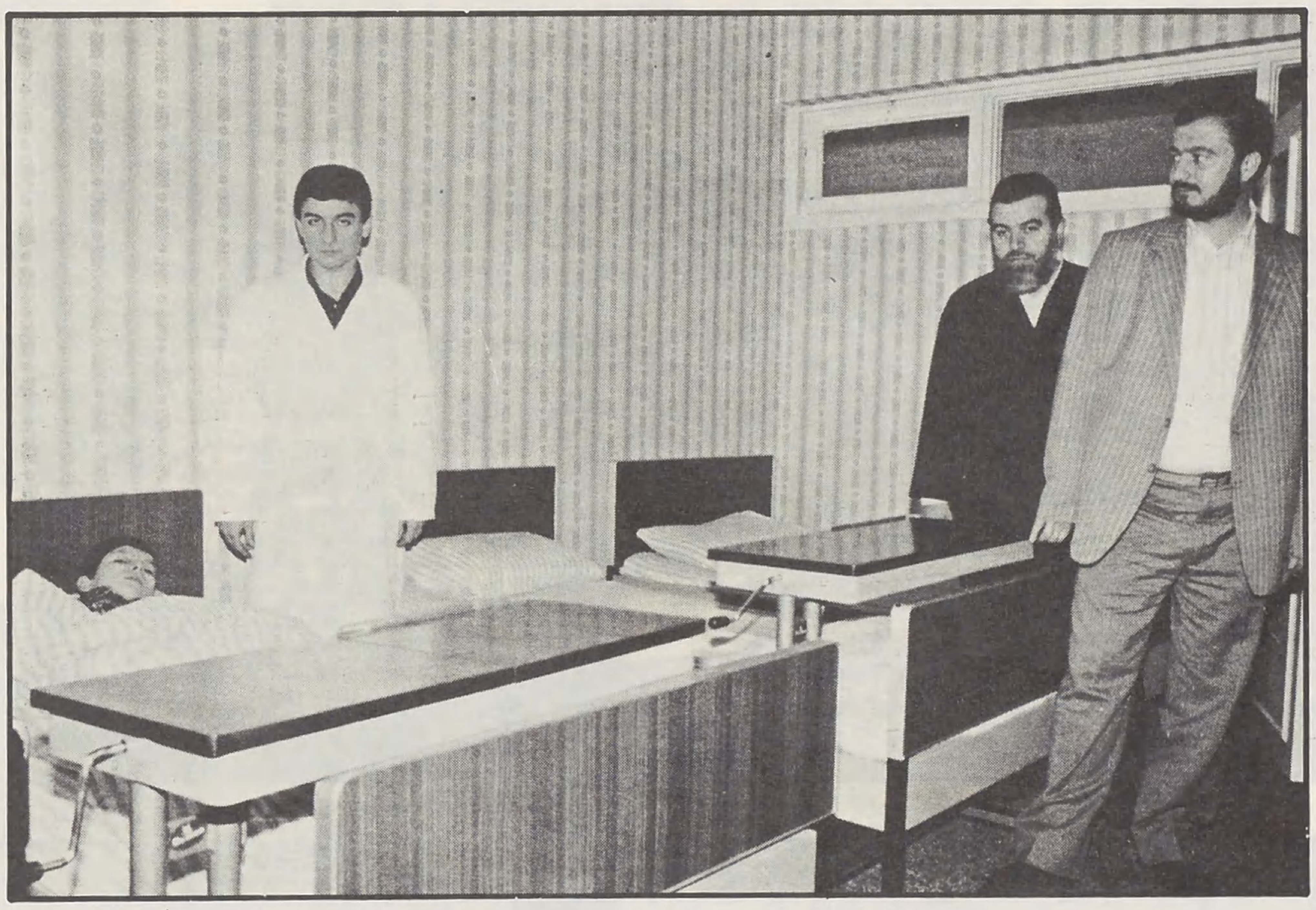

■ المستشفى داخل مبنى الوقف الأخضر الذي يرعى أبناء المسلمين ويؤمن لهم الإقامة والغذاء والرعاية الصحية والعلاج ، فضلاً عن تأمين التعليم الإسلامي بمستوى متقدم ، وتحفيظ القرآن الكريم ■

جامداً عند حدود القرن الثالث عشر الميلادي ، وما استطاع أن يحمل تركيا إلى أوروبا عبر ضفة « البوسفور » الأوروبية ، ولم يفلح نظام التعليم المستورد - بمناهجه ونظامه وموادِّه - وبعد إلغائه تدريس مواد التربية الدينية ودروس القرآن الكريم (المعوقة !) ، لم يفلح في القضاء على الأميَّة ، بل على العكس ، فإن نسبة الأميَّة بين أبناء الشعب التركي تزداد - على هذا النحو - بين من يزيد عمرهم على ست سنوات : ٦ر١٠٪ (١٩٢٧م) - ٢ر١٩٪ (١٩٣٥م) - ٢٩٪ (١٩٤٥م) - ٩ر٤٠٪ (١٩٥٥م) - ٥ر٣٩٪ (١٩٦٠م) - ٣ر٤٨٪ (١٩٦٥م) و ٤٩٪ (١٩٧٠م) ، هذا في الوقت الذي يعتبر فيه التعليم الابتدائي إجبارياً في المدارس الرسمية ، كما أن هناك المدارس المتوسطة والثانوية ، وهناك جامعتان في استانبول ، وجامعتان في أنقرة ، والجامعة الأمريكية المسماة « **معهد الشرق الأوسط** » ، **وجامعة إيجة في « أزمير » ، وجامعة أتاتورك في أرضروم ، والجامعة الفنية للتقنية في طرابزون ، ومدارس الطوائف الأجنبية .. هذه هي الصورة** ..

وهذا هو الشكل والمظهر الخارجي لمجتمع ما بعد العلمانية في تركيا ، يذهب جفاءً يوماً بعد يوم ..

أما الحقيقة التاريخية فهي التي مكثت تشهد بعمق الجذور الإسلامية في تربة تركيا وقوتها ووقوفها في وجه الأعاصير ..

صـــور من المواجهة

يروي **الشيخ عمـر مفتي زاده** - رحمه الله - ابن مفتي الأناضول - الذي عاصر الانقلاب الكمالي واستطاع أن يفر من بطش السلطة العلمانية خارج الحدود بمساعدة والده ، بعد أن أودع صدره القرآن ، وظل داعياً ومعلماً وسائحاً في أرض الله بين مصر والمغرب ولبنان بلا هوية أكثر من نصف قرن إلى أن منحه الملك فيصل - رحمه الله - الجنسية السعودية - وتوفاه الله بعدها في حادث سير - يقول **الشيخ زاده** إنه خلال اجتماع المجلس الوطني الذي تقرر فيه إلغاء الأذان ، اتفق اثنان من العلماء على أن يقف أحدهما في أعلى زاوية قاعة الاجتماع والآخر في الزاوية المقابلة حتى إذا ما أخذت الأصوات تطالب بإلغاء الأذان يقوم أحدهما فيؤذن بأعلى صوته ، فإذا ما قتله الحراس يكمل الآخر ، وقُتل الاثنان ..

في هذه المرحلة كان الآباء يوقظون أطفالهم في جوف الليل لتحفيظهم القرآن سراً وبصوت خافت ، وقد سجن آباء كثيرون أكثر من مرة بعد اكتشاف أمرهم ..

ولجأت عائلات كثيرة بأبنائها إلى الريف بعيداً عن عين السلطات ، حيث توفر قدر من الأمان يستطيعون في ظله تعليم أبنائهم العلوم الإسلامية وحفظ القرآن الكريم .. وقد كان للريف - في أكثر من موقع بالعالم الإسلامي - دور في حفظ الأجيال المسلمة بعيداً عن عبث المدينة وذراع السلطة التي تطولها دائماً ، واليوم تستطيع أن ترى أبناء الريف التركي ، الرصيد الذي أعاد للقضية الإسلامية وجودها وفاعليتها في المدن أيضاً ، يملأون قاعات كليات الإلهيات (سوف نتناولها في موضوع قادم بإذن الله) ويعمرون المساجد لصلاة الجماعة ويحضرون مجالس العلم التي بدأت تقام في بعض البيوتات ، يتدارسون فيها القرآن ..

وفي هذه المرحلة دفع كثير من الآباء بأبنائهم بعيداً عن الوطن ليلتحقوا سراً بالأزهر ومنارات العلوم الإسلامية في العالم ، وهم لا يعلمون متى وكيف يجمعهم الله مرة أخرى ، وظل هؤلاء الأبناء يجاورون الأزهر ، لا يستطيعون العودة إلى الوطن ، وقد بدأوا يعودون قبل بضع سنوات فقط ، واليوم يقومون بأداء رسالتهم في تعليم الجيل الجديد في ظل ظروف لا نستطيع أن نقول إنها مهيّأة تماماً ..

لكنها الخطوة الصحيحة التي تستجيب لدعوة التحضُر والتقدم والبناء ، التي نادىٰ بها الإسلام وأثبتها القرآن كجزء أساسي من الإيمان ..

إن المسلم مطالب دائماً بأن يستوعب علوم عصره وقراءة الكون من حوله فيما يعرضه أمام حواسه من صفحات ، والعلم لا يقاوم إلَّا بعلم مثله ، ولا يتحقق ذلك للمسلم إلَّا إذا أمعن في دراسة كتاب الله تعالى ، وأدَّىٰ فريضة التفكر في

تركيا
التاريخ .. والمستقبل
التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

خلق السمٰوات والأرض ، فما من مشكلة طرحها العلم أو سوف يطرحها إلى يوم الدين إلّا وهي تتعلق بجزء من خلق السمٰوات والأرض ، وإن الاعتماد الواعي لمصادر القوة والبأس هو السبيل إلى النصر وحماية الموازين العادلة ..

ونستطيع أن نقول : **إنه بعد إسقاط الخلافة بأكثر من نصف قرن ، لا يزال التواصل الثقافي قائماً ، تعبِّر عنه ظاهرة جديدة ، تعلن عن نفسها في الصور التي طرحناها ، وايضاً في صورة مؤسسات قرآنية .. تنتظم البنين ، واخرىٰ للبنات ، تنشئها وترعاها الأوقاف الإسلامية ..**

الأوقاف وموارد التعليم

وخلال جولتنا ، قمنا بزيارة دارين للقرآن الكريم ، واحدة في أنقرة (العاصمة) وتتبع مؤسسة وقف « المرادية » للثقافة وتحفيظ القرآن الكريم وهي خاصة بالبنات والأخرىٰ في استانبول وتتبع مؤسسة الوقف « الأخضر » للقرآن الكريم ..

■ مصطفى كمال (اتاتورك) استخدم كل الوسائل لقطع كل صلات الشعب التركي المسلم بتاريخه الإسلامي وقرآنه ، وتراثه الثقافي : بإلغاء الحروف واللغة العربية واستخدام الحروف والكلمات اللاتينية .. ■

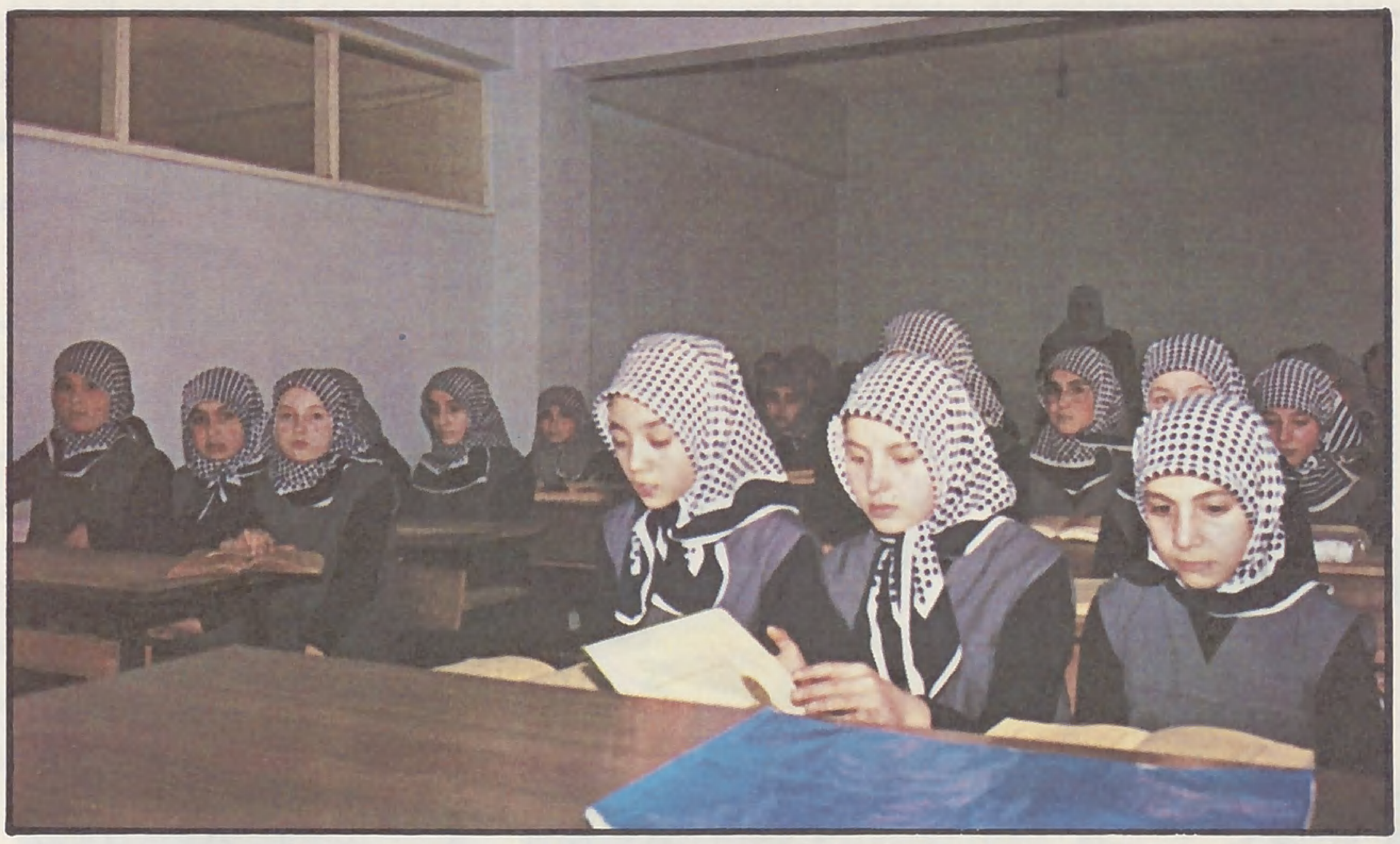

■ الأجيال الجديدة ، تحظى بالتربية الإسلامية في ظل المؤسسات القرانية وتحقق التواصل الثقافي ■

■ ترتيل آيات القرآن الكريم من أبناء مؤسسة الوقف الأخضر .. بشكل صحيح وأداء سليم قد لا يتحقق مثله في كثير من بلاد العربية !! ■

■ الأسطول العثماني ، سيطر على البوسفور ، وفتح القسطنطينية ، وكان يتألف من (٤٢٠) سفينة ■

■ محمد الفاتح : (٢٥ عاماً عندما فتح القسطنطينية) اهتم بنشر التعليم وإقامة المعاهد في أنحاء دولته ، ووضع المناهج والمواد التي تدرس في كل مرحلة (لغة عربية وعلومها ، فقه وحديث وتفسير ، وهندسة وهيئة) ■

●● وفي حوارنا مع القائمين على الوقف وهيئات التدريس به .. يقول « مصطفى قلفا أولو » مدير وقف « المرادية » بانقرة :

ـ اهتدى المسلمون الأوائل من السلف الصالح بهدي الإسلام في تقديم الخير والعمل لما بعد الموت ، فقاموا بإنشاء الكثير من المؤسسات الوقفية الخيرية ، ومثل هذه المؤسسات لها مكانتها العظيمة في مجال العمل الخيري الإسلامي ، وأجرها جارٍ إلى يوم القيامة بإذن الله ..

وعن طريق هذه المؤسسات يساهم الإنسان المسلم بماله في خدمة الضعفاء والفقراء من أفراد مجتمعه ، وتتوثق روابط الأخوة بين المسلمين .. أما نحن هنا في وقف المرادية ، فإننا نسعى جاهدين لنكون ضمن قافلة الخير ، والعمل وحده هو رأسمالنا ، أما العون فمن الله تبارك وتعالى ، والمؤازرة بعد ذلك بما يساهم به المسلمون ..

■ قاعة الدرس بالوقف الأخضر .. المدرس يراجع ما حفظه تلميذه من القرآن ■

●● ويضيف حسين كاوتشر ـ مدرس العلوم الشرعية بمدرسة وقف المرادية ، واللغة العربية بمدرسة الإمامة والخطابة والواعظ بانقرة) :

ـ تنتشر المؤسسات الوقفية الخيرية في أنحاء العالم الإسلامي خاصة في هذا البلد منذ عدة قرون ، وقد ورثنا ـ نحن أبناء هذا الجيل ، بفضل الله ـ الآثار الخيرية للأجداد وسرنا على نهجهم في سبيل عمل الخير ونأمل أن يكون مثلاً حسناً للجيل القادم ..

وقد كانت الأوقاف أهم موارد التعليم عند المسلمين ، وأذكر منها وقف القاضي ابن حبان الشهير في مدينة « نيسابور » وكان عبارة عن مدرسة كبيرة وخزانة كتب ومساكن لإيواء الغرباء الذين يطلبون العلم ـ ومن حولنا هنا في هذا البلد نرى الكثير من الآثار التاريخية التي كانت موقوفة للعلم ورعاية طلابه .

●● وماذا عن هذه المؤسسة القرآنية ؟

ـ يقول مدير الوقف :

أنشئت مؤسستنا عام ١٩٧٨م ، برأسمال قدره (٢٠٠) ألف ليرة تركية ، هذا بالإضافة إلى مساهمات الإخوة المسلمين بالمنح المشروطة ، حيث نقوم باستثمارها حسب شروط الوقف ، وزكاة الفطر التي نجمعها في حساب خاص .. وعن طريق رأس المال ومساهمات الإخوة من محبي الخير ندير هذه المؤسسات ونحاول توسيع مجال خدماتها من أجل تحقيق الأهداف التي وضعت لها ، وهي : **تامين التربية الصحيحة لأبنائنا ، اللائقة بالنهج الثقافي لامتنا ، وفق تعاليم الإسلام الحنيف ، وتاهيل جيل المستقبل بالعلوم الحديثة ، وملء قلوبهم**

تركيا التاريخ.. والمستقبل

التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

استطلاع

بنور الإيمان ، وبث مشاعر حب الخير بين أبناء أمتنا ، لتطوير وتوسيع الأعمال الخيرية واستثمارها بشكل جيد ومعطاء ، وتأمين حاجة الناس من المساجد ودور تعليم القرآن الكريم والمدارس الشرعية وبيوت للطلبة .. وغيرها ، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للفقراء والأيتام والأرامل والمعوزين ، وتأمين المنح الدراسية للذين يحتاجون للمساعدة في جميع المراحل الدراسية ، وعقد الحلقات الدراسية الإسلامية والعلمية وطبع وتوزيع الكتب الثقافية ..

■ مبنى مؤسسة الوقف الأخضر في استانبول ■

الإقبال على الدراسة

●● **وحول عدد الطلاب والطالبات الذين يدرسون بالمؤسسات القرآنية ، والموارد المالية لهذه المؤسسات ، ومشروعات التوسع بها .. يضيف مدير الوقف :**

ـ توجد جهات كثيرة ـ غير هذا الوقف ـ تدير مدارس للقرآن الكريم في جميع أنحاء تركيا .. يبلغ عددها (٢٧٠٠) **مدرسة** أما عدد الطلاب والطالبات بها فيبلغ (٣٠٠) **ألف** وهذا العدد ـ على الرغم من كثرته ـ لا يعبِّر عن الواقع ، لأن أعداداً كثيرة أخرىٰ ترغب في الالتحاق بهذه المدارس ولا يتسع لها المجال بسبب ضيق الأماكن ونقص الإمكانات ، ولذلك فإن هدفنا وهدف المؤسسات القرآنية جميعها يتركز الآن حول مشروعات التوسع ومحاولة الحصول على موارد مالية جديدة واستثمار الموارد الحالية أحسن استثمار ، وبالنسبة لاحتياجاتنا المالية الشهرية لإدارة العمل وتقديم الخدمات التعليمية وإيواء الطالبات من الأسر الفقيرة أو بنات الأسر المغتربة التي تعيش خارج تركيا في بلجيكا وألمانيا وغيرها ، فتبلغ (٧٠٥٠٠٠) **ليرة تركية** ،

ونحصل على مورد ثابت يبلغ (١٣٥٠٠٠) ليرة من ريع إيجار (٢٢) دكاناً ، والباقي يتحمل عبأه أعضاء دائمون في الوقف ممَّن وسَّع الله في رزقهم ، وهناك مورد آخر ولكنه غير ثابت ، فمن المعروف أن الدراسة هنا مجاناً بدون مقابل ، وكذلك الوجبات الغذائية التي تقدم خلال اليوم الدراسي ، أما الإيواء والمبيت فقد قدَّرنا مصروفات تحصل من بعض الطالبات القادرات في مقابل ذلك يبلغ حوالي (٤٠) **ألف ليرة تركية في السنة** .. ولعلكم تعلمون أن عدد الطالبات الدارسات هنا (٢٥٠) **طالبة** تقيم منهنَّ بصفة دائمة (١٢٠) **طالبة** ، وتتكون هيئة التدريس من اثنتي عشرة معلمة وثلاثة معلمين .. بالإضافة للإداريين ، ومدير الوقف الذي يختص بالإشراف على الوقف وإدارته وجميع مشروعاته

فيما عدا القضايا التعليمية .. ونحن ـ على الرغم من قلة الموارد ـ فإننا نسعى إلى تنميتها ، ونقوم في الوقت نفسه بإقامة مشروعات جديدة لمواجهة الزيادة في عدد المتقدمين للدراسة كل عام .. فهناك مدرسة أخرىٰ للقرآن للبنات أقمناها في قرية « **قره بورجك** » تتسع **لألف وخمسمائة طالبة** وقد بدأت الدراسة فيها فعلاً ، وهي مكونة من ستة طوابق وتضم إلى جانب فصول الدراسة غرف المدرسين والإدارة ومخبراً ومكتبة ، وهناك مشروع آخر في القرية نفسها ، **وهو عبارة عن مركز ثقافي وبيت للطلبة فيه ألف سرير و (٢٧) غرفة للنوم ومغسلة ، ومكتبة** ، ندعوا الله تعالى أن يوفقنا إلى إتمام هذا المشروع الكبير حتى نقدم لأبنائنا البيت الدافىء والمنهل الإسلامي والعلمي الصحيح .. وقام وقف المرادية أيضاً بإقامة جامع الأقصى وأُلحقت به مدرسة لتحفيظ القرآن ، وجامع « بوخارة » وألحقت به مساكن لطلبة الجامعة ـ بدون مقابل ـ بالإضافة إلى بيت الأيتام في « **انجيرلي** » ، ومدرسة الأندلس لتحفيظ القرآن الكريم وتدرس بها (٤٥٠) **طالبة** ، ومشروع إنشاء مدرسة « قازان » للقرآن الكريم ..

خطوة على الطريق

●● **وحول مناهج الدراسة وأسلوب التدريس والمجالات التي تعمل بها الخريجات .. يقول حسين كاوتشر :**

ـ المناهج التي تدرس هنا ، وفي المؤسسات القرآنية بصفة عامة تتضمن حفظ القرآن الكريم وأصول العقيدة والفقه والحديث ، واللغة العربية لفهم النص القرآني ، لمدة ساعتين في الأسبوع ، والعلوم الطبيعية أيضا لمدة ساعتين أسبوعياً ..

■ لا يزال التواصل الثقافي قائماً في تركيا ، بعد إسقاط الخلافة بأكثر من نصف قرن .. يتمثل في مؤسسات قرآنية .. تنشئها وترعاها أوقاف المسلمين ..

والدراسة هنا لمدة ست سنوات ، بعدها تتوجه الخريجات للالتحاق بكلية الإلهيات ، أو إلى مدرسة الإمامة والخطابة بالنسبة للذكور من الخريجين ، أو الالتحاق بالعمل في المدارس الرسمية لتدريس مادة الدين بها ، أو بالعمل في الدوائر الحكومية ، وبهذه المناسبة أذكر أن عدد الخريجات من هذه المدرسة بلغ منذ إنشائها مائة ، وهن يعملن الآن في مجال تدريس مادة الدين في المدارس الرسمية ، حيث لها ساعتان أسبوعياً ابتداءً من الصف الثالث الابتدائي ، وكذا تدرس في المدارس الثانوية ..

■■ وفي استانبول كانت جولتنا في مؤسسة قرآنية كبيرة ، يرعاها وقف « الأخضر » وأهل الخير من الموسرين ، وهي خاصة بالبنين ، وتضم المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية ، تقدم التعليم والإقامة مجاناً .. فيها مكتبة إسلامية ، ومستشفى ، ومركز للتدريب المهني ، والتأهيل وكانت صورة العمل مشرفة ونحن نجوب قاعات المبنى الهائل ونتابع أبناء الجيل الجديد وهم يرتلون القرآن الكريم ويدرسونه كخطوة أساسية على طريق التواصل الثقافي بين الأجيال في تركيا اليوم .. والمستقبل ..

المصـــــادر :

١ - تاريخ الدولة العثمانية - الدكتور علي حسون .

٢ - الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها (جزءان) - الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي .

٣ - فتح القسطنطينية - الدكتور سالم الرشيدي .

٤ - قسمات العالم الإسلامي المعاصر - الدكتور مصطفى مؤمن .

٥ - نشرات المؤسسات القرآنية .

معلومـــــات

- جمهورية تركيا ، كانت قديما تسمى « آسيا الصغرى » عاصمتها الآن « أنقرة » وكانت « استانبول » من قبل هي العاصمة ، وعرفت باسم « الآستانة » مرة والقسطنطينية مرة أخرى نسبة إلى مؤسسها الإمبراطور « قسطنطين الأول » .
- انضمت إلى حلف الأطلنطي سنة ١٩٥٢م ، وإلى حلف البلقان سنة ١٩٥٤م ، والحلف المركزي سنة ١٩٥٥م .
- تبلغ مساحة تركيا اليوم بحدودها الحالية - بعد اتفاقية لوزان واتفاقيات الممرات المائية في « مونتريه » ومعاهدة « أنقرة » الخاصة بلواء الإسكندرونة (٥٧٦ر٧٨٠) كيلو متراً مربعاً .
- الدستور يكفل حرية العقيدة ، وإن كانت الدولة لا تعترف بأن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد .
- نسبة عدد المسلمين لمجموع السكان (٩٢ر٩٨٪) .
- القطن والكتان من أهم حاصلاتها الزراعية .
- الغابات كلها ملك للدولة منذ عام ١٩٣٧م ومساحتها (١٠) ملايين هكتار .
- تنتج الكثير من المعادن ، منها : الفحم اللجنيت ، الكروم ، الحديد ، والنفط الخام من حقول « جارزان » و « رامان » .
- تقوم صناعة النسيج على الأقطان والكتان وصوف المراعي ، والحديد والصلب والألواح والقوالب على إنتاج المعادن ، والإسكندرونة أكبر مركز للصناعات الثقيلة .
- الليرة هي العملة الرسمية ويوجد منها فئات .

بقلم : كامـيــل حســن

مأساة البلدان النامية

الجوع في عالم الوفرة

■■ لقد كان الدكتور جون نولز من مؤسسة روكفلر - وهو يفكر في مشكلة التزايد السكاني والغذاء - أكثر تشخيصاً لليأس، وهكذا يعلن بكل بساطة بأن « مالتُس » كان على صواب.

على عتبة العقدين الأخيرين لهذا القرن تطفو مشكلة الغذاء على سائر الاهتمامات ؛ فالبلدان النامية بعد أن أرست هياكل الاستقلال، تبدو في مواجهة مكشوفة ضد سرطان الجوع.

وقد تكون المشكلة أكثر تعقيداً حينما يصبح الغذاء مشكلة عالمية، ويدخل في حلبة الصراع الدولي من أجل البقاء.

فهل نحن مدعوون إلى الاستسلام أمام شبح الجوع في عالم ممتلىء أكثر من اللازم ؟ وهل يجب علينا أن نغير إحساسنا المرهف، ونتبنى أخلاق العنف والقسوة، حتى نتعلم كيف ننظر إلى جزء من الجنس البشري يموت من أجل التوازن الحيوي على ظهر البسيطة ؟.

لقد كان الأمريكي « س . و . كوك » معتقداً بذلك لدرجة أنه كان يردد دائماً « علينا أن نتنافس مع عالم يزداد ازدحاماً وجوعاً، لأن توفير التغذية المناسبة لملايين الأمريكيين من ذوي الدخل المنخفض قد يصبح حلماً مستحيلاً ».

قد نجد الكثيرين ممن يعتنقون هذا الرأي، لكن كيف يكون هذا صحيحاً ونحن نلاحظ أن الغذاء لا يزال يعرض بكميات وفيرة قصدَ البيع والشراء ؟ بل إن عدم وجود قوة شرائية كافية لتصريف المنتجات الغذائية العالمية تجعل المشكلة الأساسية أمام المنتجين حالياً هي مشكلة الفائض في الغذاء وليست مشكلة الندرة .. ■■

الوضـــع الحقيقي لمشكلة الغـذاء العالمي

جاء في احد تقارير منظمة « الفاو » ان اكثر من مليار نسمة لا يحصلون على كفايتهم من الغذاء، وجاء في الأرقام المقدمة إلى مؤتمر باريس للدول الأقل نمواً المنعقد سنة ١٩٨٢م ان ٦٣٪ من سكان آسيا، و٦١٪ من سكان افريقيا، و٣٦٪ من سكان امريكا اللاتينية، و٣٣٪ من سكان الشرق الأوسط، يواجهون حالة الجوع[1].

هناك (١٢) دولة على الأقل توجد الآن في حالة « ما وراء الجوع »، ففي الهند يعيش حوالي (٢٠٠) مليون شخص هذه الحالة، وفي اندونيسيا حوالي (٣٣) مليون، وفي بنغلاديش (٢٧) مليون، وفي نيجيريا (١٤) مليون، وفي كل من البرازيل واثيوبيا وباكستان (١٢) مليون، وفي الفيلبين (١٠) ملايين، وفي افغانستان (٦) ملايين، وفي بورما وكولومبيا وتايلاند (٥) ملايين[2].

إن الكلام عن الجوع لا ينطبق سوى على بلدان العالم الثالث، فخلال اليوم العالمي للتغذية قال مواطن سويسري لإذاعة سويسرا الدولية « لا يوجد هناك اثر للجوع في سويسرا »، وبالمناسبة نفسها قال مواطن من السنغال « يجب علينا ان نحيي اليوم العالمي للتغذية على طول ايام السنة ».

فسكان الشمال المتقدم يمثلون ٢٨٫٦٪ من سكان العالم لكنهم يستحوذون على ٦٤٪ من الغذاء العالمي بينما يتقاسم ٧١٫٤٪ من سكان الجنوب حصة ٣٦٪ الباقية من الغذاء.

وفي الوقت نفسه الذي نسمع فيه ان مخاطر المجاعة تهدد مالي وساحل العاج والسنغال واثيوبيا لا تزال المشكلة الأساسية امام المزارعين الأمريكيين هي التخلص من

الفائض الكبير من القمح .

لقد وعد « رونالد ريجان » المزارعين أثناء الانتخابات سنة ١٩٨٠م بإلغاء الحظر المفروض على الاتحاد السوفييتي بعد تدخله المشؤوم في افغانستان ، حتى تُفْتَح اسواق جديدة امام الإنتاج الأمريكي ، وبالفعل فقد كسب « ريغان » اصوات المزارعين نتيجة لذلك .

وفي اوروبا فإن بلدان السوق تعاني هي الأخرى من وفرة الإنتاج الغذائي ، فقد كادت مشكلة التخلص من بحيرة الحليب وجبال الجبن والزبدة ان تعصف بوحدة السوق خلال صيف ١٩٨٤م .

فالأعداد البشرية ليست عبئاً ما دام الكثير من الإنتاج لا يجد اسواقاً لتصريفه ، فحوالي ٤٠٪ من إنتاج الحبوب في العالم يخصص لإطعام الماشية ، وحوالي ٦٥٪ من الفواكه والخضروات المنتجة في امريكا الوسطى تُلقى في القمامة[٣] ، وفي المكسيك مثلاً نجد ان الماشية تستهلك من الغلال الأساسية اكثر ممّا يستهلكه الفلاحون ، هذه الماشية نفسها تستهلك ثلث الذرة المنتجة في البرازيل حيث يُعاني آلاف السكان من الجوع . وقد قدّر « نيجل هاريس » ان جزءاً واحداً من عشرين (٢٠/١) من كمية الحبوب التي تطعمها الدول المتقدمة لمواشيها تكفي لإنقاذ اولئك الذين يموتون جوعاً في بلدان العالم الثالث[١] .

الأرض وكمية الإنتاج

بالرغم مما قيل عن مشكلة التزايد السكاني وأزمة الجوع ، فإن الأرض تبقى في مقدورها أن تنتج الغذاء الكافي لجميع سكان العالم ، بل إنها حسب الإمكانات المتوفرة يمكن أن تنتج الغذاء لـ (١٠) ملايير من البشر ، إن الطاقة الغذائية المنتجة حالياً على الصعيد العالمي ليست هينة ، فالعالم ينتج من الحبوب يومياً ما يكفي لتوفير (٣٠٠) سعر حراري لكل مخلوق ، هذا بالإضافة إلى الكمية الوفيرة من البروتينات والخضروات والفواكه .

إنه مؤسف حقاً أن يطفو الجوع في عالم تتوفر فيه مثل هذه الإمكانات ، وتكون فيه نسبة مهمة من الأراضي غير مستغلة استغلالاً ملائماً ، أو معطلة عن العمل ، ففي معظم البلدان النامية والتي تعاني أكثر من غيرها من أزمة الجوع ، لا تتجاوز نسبة الأراضي المزروعة من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة نسبة ٢٠٪ ، وعلى المستوى العالمي وبالرغم من اتساع مستوى الاستغلال الذي تقوم به الدول المتقدمة بفضل الإمكانات المالية والتكنولوجية المتاحة لها ، نجد أن نسبة ٦٥٪ من الأراضي الصالحة للزراعة معطلة عن العمل .

هذه الأرقام تفيد بان العالم بمقدوره ان يحلّ مشكلة الجوع ، وفي البلدان التي تشهد هجرة جماعية بحثاً عن الأكل ـ كما هو الحال في بلدان الساحل الافريقي ـ يمكن للأرض هناك ان ترفع من مستوى المنتجات الأساسية كالحبوب إلى عدة اضعاف[٥] ، وفي بنغلاديش حيث يجري الحديث كثيراً عن رداءة الأحوال الطبيعية ، وعن سوء التغذية ، فإن الكونغرس الامريكي اصدر تقريراً سنة ١٩٧٦م عن الأحوال الغذائية هناك جاء فيه ان البلاد تتوفر فيها اراض خصبة وتربة غِرْيَنِيَّة جيدة ومياه وفيرة ، إضافة إلى المناخ الاستوائي السخي والأيدي العاملة الوفيرة[٦] ، وهذا ما يجعلها قادرة على تجاوز حدود الاكتفاء الذاتي ، إلى مستوى تغطية جزء من العجز الغذائي الحاصل في بلدان اخرى . إن مشكلة استغلال مجموع الاراضي ليست هي العقبة الوحيدة ، بل إن الأراضي المستغلة فعلاً لا تعتبر مستغلة على النحو اللازم .

إيجابية العنصر البشري

لقد حذّر « مالتُس » واصدقاؤه من خطورة تزايد عدد السكان وآثاره السلبية على مستقبل التغذية في العالم ، بحجة ان الأراضي تعرف اكتظاظاً اكثر مما يجب ، وانها غير قادرة على توفير الغذاء الضروري والكافي لبقاء الأعداد الوفيرة من البشر على قيد الحياة .

وكيفما كانت دوافع هذا الادعاء فإن الواقع يثبت عكس ذلك تماماً . إن معدل التزايد السكاني في العالم هو في حدود ٢ر٦٪ سنوياً ، بينما نجد نسبة تزايد الغذاء تفوق هذه النسبة ، فبين سنة ١٩٧٠م و ١٩٨٠م نجد ان إنتاج القمح قد تزايد سنوياً بمعدل ٢ر٣٪ ،

مأساة البلدان النامية
الجوع في عالم الوفرة

كما تزايد إنتاج الأرز والذرة والحمضيات بنسبة ٧٢ر٤٪ ، والفول السوداني بنسبة ١٠٪ ، والشعير بنسبة ٣٥ر٢٪ ، والشاي بنسبة ٨٤ر٣٪ ، والسكر بنسبة ٢ر١٪ . وهذا يعني بان العالم كان ينتج سنوياً اكثر مما يكفي لتغطية الزيادة في سكان العالم .

بالإضافة إلى هذا فإن العنصر البشري وعلى عكس ما قال « مالتُس » هو طاقة إيجابية لو تمَّ استغلالها استغلالاً حسناً ، فالحقيقة التي نلمسها إلى الآن هي ان النجاح الزراعي يتحقق بصورة واضحة في المزارع التي تستعمل ايدي عاملة اكثر ، بينما يبدو الفشل واضحاً في المزارع التي تستعمل يداً عاملة قليلة .

ففي اليابان وتايوان هناك نجاح زراعي ملحوظ مقارنةً مع الفيلبين والهند ، وإذا اخذنا في الاعتبار تماثل نوعية البذور والأسمدة المستعملة في هذه الدول الأربع فإن الفارق يتمثل في كون اليابان وتايوان تستعملان ايدي عاملة في كل فدان ضعف نسبة الأيدي العاملة المستعملة في كل من الهند والفيلبين .

وطبقاً لتقرير من البنك الدولي فإن بلداناً مثل الهند إذا تمكنت من تحقيق مستوى كثافة عمل في مستوى الكثافة نفسها المستعملة في اليابان ، فإن زراعتها يمكن أن تستوعب كل قوة العمل المتوقعة حتى عام ١٩٨٥م . من هنا نستطيع ان نكتشف السلبيات الناجمة عن الاعتماد الواسع على تربية المواشي ، فهذا التوجه يتطلب مساحة كبيرة وأيديَ عاملة قليلة .

إن أغلب المجاعات التي عرفتها أوروبا في القرون الماضية جاءت نتيجة للتحول من الزراعة إلى تربية المواشي ، حيث وجد عدد من العمال الزراعيين انفسهم مضطرين للخروج من المزارع التي كانت تنتج الغذاء للبشر ، لأنها اصبحت مجرد مراعٍ لإنتاج العشب والعلف .

لقد ساهمت مسألة إحلال الآلة محل الإنسان كذلك في تهميش العنصر البشري ، فالجرار يحيل ثلاثة او اربعة عمال إلى التقاعد ، والمشكلة هنا ليست دعوة إلى مقاطعة التكنولوجيا ، وإنما هناك استعمال عشوائي لها يضر بالبلدان النامية اكثر مما يفيدها ، فالبرنامج البريطاني الذي كان يهدف إلى تحويل الزراعة في « زمبابوي » إلى زراعة آلية قد فشل لأنه مكلِّف مادياً ، كما ان تلك الأعمال يمكن للعنصر البشري ان يقوم بها بإتقان .

إن اتساع قاعدة المواليد في القرية مقارنة مع المدينة ، يجب ان لا تثير كثيراً من القلق ، فالإنسان البدوي لا يستطيع السيطرة على الأرض ، إلَّا إذا توفرت لديه وفرة في العنصر البشري ، بحيث إن الأسرة التي تتكون من فردين أو ثلاثة تجد صعوبة في استغلال الأرض ، وهذا ما يدفعها إلى ان تؤجرها للعائلات الكثيرة الأفراد ، وهنا تكمن اهمية العنصر البشري .

البلدان النامية ومسألة الاكتفاء الذاتي

من العجيب حقاً ان يقول احد الخبراء مثل الدكتور « مارسيل غانزين » بأن بلدان الساحل الإفريقي قد انتجت فعلاً خلال سنوات الجفاف ما كان يكفي لإطعام سكانها .

ومن العجيب ايضاً ان يتكلم أحد عن الجوع في البلاد النامية في وقت تحمل فيه البواخر والطائرات آلاف الأطنان من المنتجات الزراعية من هذه البلدان إلى عالم الشمال المتقدم في امريكا وأوروبا والاتحاد السوفييتي .

ففي السنغال كانت إحدى الطائرات العملاقة تقلع ثلاث مرات في الأسبوع من مطار العاصمة « دكار » ، محملة بانواع الخضروات في اتجاه اوروبا ، في الوقت الذي ارتفعت فيه دعوات الإغاثة ، بل إن البواخر التي كانت تحمل الإغاثة إلى هذا البلد كانت تعود ممتلئة بمنتجات الغذاء التجاري إلى اوروبا[7] ، وامَّا في اثيوبيا فإن منتجات التصدير لا تزال تصل بكيفية منتظمة إلى الأسواق الغربية في الوقت الذي تتحدث فيه وكالات الانباء عن قطار الموت الزاحف هناك .

إن بلدان الساحل الافريقي ـ وفي الوقت الذي ارتفعت فيه حمى الجفاف ـ كان يظهر بجلاء ان صادراتها من الماشية في نمو مستمر حيث سجلت زيادة وصلت إلى ٤١٪ اما المنتجات الزراعية فقد وصلت قيمتها (٥ر١) مليار دولار . ومن خلال دراسة لمنظمة « الفاو » على (٤٠) دولة افريقية فإن الزيادة السنوية للإنتاج الفلاحي خلال العقد الأخير في سبع دول كانت مهمةً ، مثل : رواندا ، والملايو ، وليبيريا ، وكينيا ، وساحل العاج ، والكامرون .

قد يبدو الكلام عن الاكتفاء الذاتي في هذه البلدان مجرد أساطير ، ولكن الأمر غير ذلك ، فليست هناك دولة تستطيع الاعتماد على نفسها في الغذاء ، وجوهر المشاكل هنا هو ان البلدان النامية المنتجة للغذاء ، لا تنتج المواد الغذائية الأساسية كالقمح والأرز والذرة والفول ... إلَّا بشكل محدود ، في حين تركز اغلب طاقتها على إنتاج منتجات التصدير كالفواكه والخضروات ، لأنها تجلب اموالاً إضافية لكبار المزارعين ؛ لقد تزايد اعتماد الدول النامية على استيراد القمح من السوق الدولية في الوقت الذي ما فتئت ترفع صادراتها من المنتجات التجارية ، وهكذا بين سنوات ١٩٧٠م و ١٩٨٠م ارتفعت كمية القمح من (٣٠) مليون إلى (١٠٠) مليون طن[8] .

في بعض البلدان مثل « غانا » ، جرى التركيز على زراعة الكاكاو التي اكتسحت معظم الاراضي وبالمقابل فإن « غانا » تعتمد على الأسواق الأجنبية سنوياً لاستيراد (٢٠٠) الف طن من القمح ، و (٨٠) الف طن من الارز ، و (٢٠) الف طن من الذرة ، وفي « كينيا » تحظى تربية الماشية باهمية خاصة فحوالي (٢٥٠) الف طن من اللحوم المنتجة هناك تتجاوز حدود الاكتفاء الذاتي ، حيث

تُصدر الكمية الزائدة إلى الخارج ، وبالمقابل فإن البلد يستورد حالياً (١٠٠) الف طن من القمح وحوالي (٤٥) الف طن من الأرز[٩] ، وفي منطقة « الكاريبي » نرى الصورة نفسها تماماً ، حيث نجد اكثر من نصف الأراضي الزراعية مخصصة لمنتجات التصدير ، ففي « المارتنيك » مثلاً حوالي ٧٠٪ من الأراضي المزروعة مخصصة للبن وقصب السكر والموز ، اما « المكسيك » حيث يعصف الجوع بجزء من السكان فإن المزارع هناك تزدهر لتغطية احتياجات الولايات المتحدة من البصل والطماطم والفواكه خلال فترة الشتاء .

لقد ادَّت زراعة منتجات التصدير إلى إحداث تغييرات مدهشة ، ففي كولومبيا وإكوادور وجواتيمالا تحولت مزارع القمح والذرة إلى مزارع لإنتاج الأزهار ، ذلك ان زراعة الأزهار تحقق للمزارعين ارباحاً تفوق الأرباح المستفادة من زراعة الحبوب ، وفي مالي والنيجر وافريقيا الوسطى تم تحويل مزارع إنتاج المواد الأساسية إلى إنتاج القطن ، بعد ارتفاع ثمنه هذا المنتوج خلال الستينيات ، ولكن الانخفاض في الأثمان بعد ذلك كان بمثابة الكارثة لهذه الدول ، والمشكلة نفسها عانت منها الدول المنتجة للسكر كالهند وتايلاند والفلبين والبرازيل وكوبا بعد الانخفاض المهول للأسعار (٣٢٪) سنة ١٩٨٢م ، حيث اكَّد مسؤول الامم المتحدة « ماكنتاير » ، « ان الحالة الراهنة ليست في صالح اي من البلدان المنتجة للسكر » .

لقد لوحظ في كثير من الدول بان التوسع العشوائي في زراعة التصدير كان على حساب البناء الإكُولوجي للتربة حيث يجري تدمير الأشجار والمزروعات التقليدية ، وهذا التدمير يُفْقِد التربة فعالية المقاومة ويجعلها تفتقر إلى المواد العضوية التي تعتبر اساس الإنتاج .

لا داعي للتشاؤم والياس امام مشكلة الاكتفاء الذاتي في البلدان النامية ما دامت هذه البلدان لم تستغل حتى الآن سوى الخُمس من الأراضي الصالحة للزراعة بينما تعاني اربعة اخماس الأراضي من الإهمال . لقد ذكر تقرير لمنظمة « الفاو » سنة ١٩٨١م حول افريقيا ان (٢٥) دولة في القارة تعاني اراضيها من الإهمال الإهمال المفرط ، والكامرون إحدى الدول التي تشكو اراضيها من ضعف الاستغلال ، إلَّا ان العمليات التي استهدفت إنتاج الأرز في المنطقة الشمالية بهذا البلد اظهرت ان الإنتاج كان مرتفعاً بحيث تجاوز توقعات المسؤولين[١٠] ، وحالياً فإن المنطقة الشمالية تنتج حوالي (٨٠) الف طن من الأرز وتغطي اغلب حاجات الاستهلاك الداخلي البالغ (٩٠) الف طن .

بعض الحلول

من خلال المعطيات السابقة يبدو بان مسألة الجوع تطفو في عالم الوفرة ، ولَمّا كان الجوع ينتج عن ضعف المحاصيل الأساسية او عن ضعف القوة الشرائية ، فإن الحلول يجب ان تنبثق من عنصري الإنتاج والتشغيل .

١ - يجب إعادة الاعتبار إلى زراعة المنتجات الأساسية اللازمة للاستهلاك المحلي بدل التركيز على زراعة التصدير التي تلبي رغبات المضاربين .

٢ - يجب اعتماد الزراعات الكثيفة والمتنوعة بدل زراعة النوع الواحد ، فمعظم المزارع التي تعتمد نظام المزروع الواحد تنتج غلة واحدة في السنة ، ونتيجة لذلك تبقى المزرعة معطلة ، مما يجعل الدورة الزراعية جوفاء وناقصة .

٣ - بالنظر إلى الطلب العالمي المتزايد على الغذاء فإنه يجب الاتساع في استغلال الأراضي الصالحة للزراعة ، كما يجب الاعتناء بمشاريع الري .

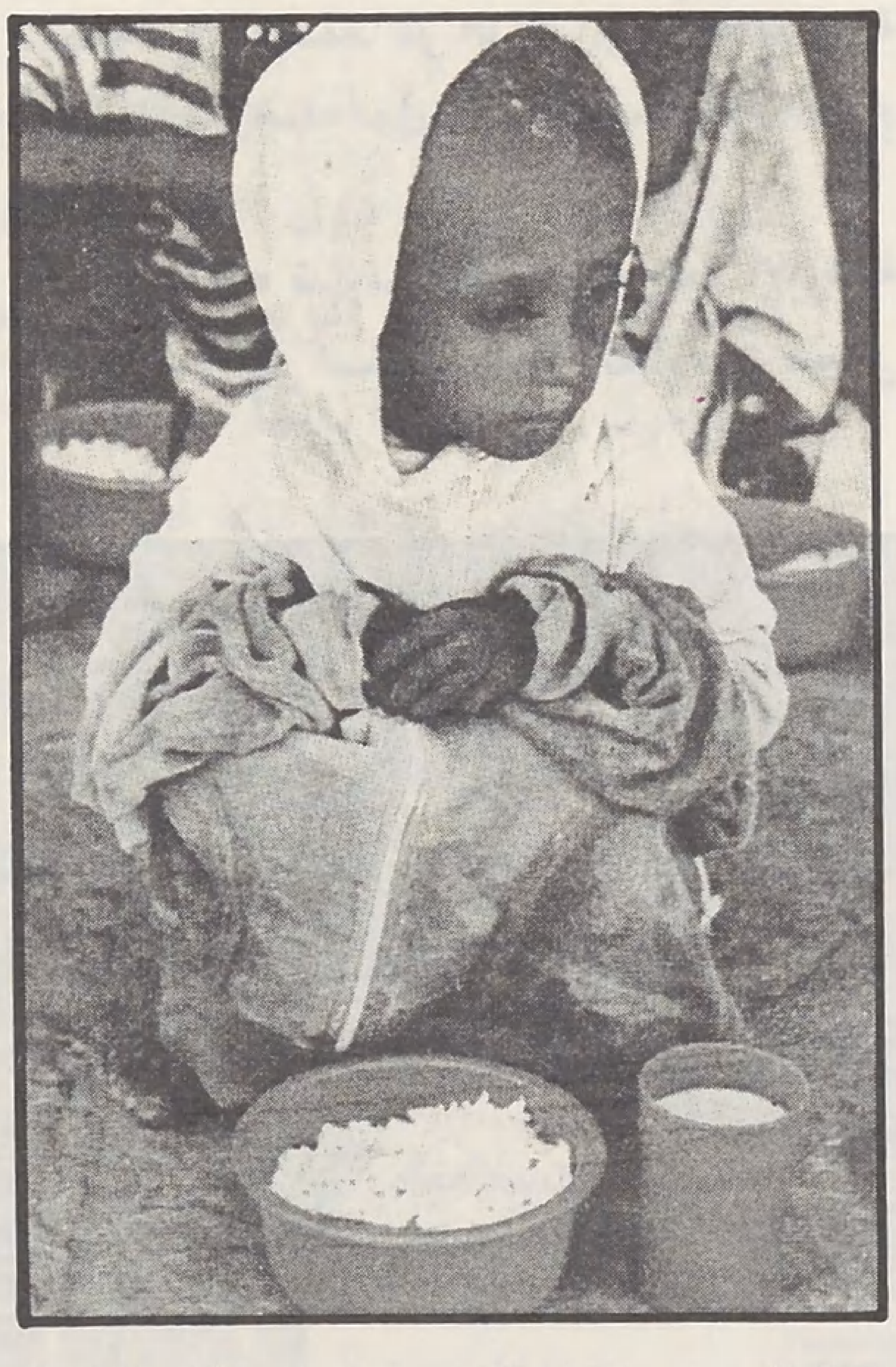

■ في إثيوبيا : منتجات التصدير تصل بشكل منتظم إلى الأسواق الغربية في الوقت الذي تتحدث الأنباء عن الموت الزاحف هناك ■

٤ - العنصر البشري عنصر إيجابي ، لذا يجب استغلاله ؛ وذلك من خلال إيجاد فرص العمل في إطار الزراعة الكثيفة العمل ، وهنا تُطرح مسالة التكنولوجيا الملائمة التي تخفف اعباء العمل الزراعي ، وتجعله في متناول المزارعين ، بدل ان تبعثهم في إجازة للراحة .

٥ - يجب المحافظة على النظام الإكُولوجي للأرض ، فالإخلال بهذا النظام يسبب نقصاً في إنتاجية الأرض ، فمادة النيتروجين اساسية لجودة التربة ، ونفادها يسبب عقماً اكيداً ، لهذا يجب الاعتناء بالأسمدة ، وبالنسبة للبلدان النامية فإن استعمال الروث يعتبر حلًا ناجعاً ، فهو من جهةٍ اقتصادي بالنظر إلى ارتفاع اثمان الأسمدة ، ومن جهة ثانية فهو يحفظ الأرض من الأضرار التي تسببها النتائج السلبية للأسمدة .

٦ - يجب التفكير في إنشاء زراعة تكاملية بين عدد من البلدان على غرار السوق الأوروبية المشتركة ، والواقع ان مثل هذا المشروع سيكون له وقع طيب وناجح لو تم إنشاؤه بين بلدان العالم الإسلامي ، نظراً لما يتميز به هذا العالم من وحدة الأواصر والمشاعر ، وتنوع في المناخ ، وجودة في التربة ، ووفرة في المياه والأيدي العاملة والأموال .

المراجع

(١) مجلة (الخليج الجديد) العدد ٨٤ سنة ١٩٨٣م . ص ٢٠ .

(٢) مجلة (ديارنا والعالم) العدد ٩١ سنة ١٩٨٣م ص ٢١ .

(٣) فرانسيس مورلابيي . (صناعة الجوع) ص ٢٩٨ .

(٤) ن . هاريس (الخبز والمدافع .. وازمة الاقتصاد العالمي) .

(٥) La marche du desert, jeune ofrigue No. 849, p. 65

(٦) ف . مورلابيي (المصدر نفسه) ص ٢٧ .

(٧) senegal, la recolte 1982 est excellente, (J.A.E.) November 82, p 35

(٨) م الأهرام الاقتصادي . العدد ٦٩٧ ، ص ٩ .

(٩) jacques Vignes, l'autosuficance (J.A.E.) p 86

(١٠) M. urrande, province du moral devient un grenier (J.A.E.) p. 46

القمــة الخليجية الخامسة في الكــويت

وسط اهتمام عربي وإسلامي وعالمي ، وفي ظروف بالغة الدقة والخطورة (الحرب العراقية الإيرانية - التمزق الفلسطيني والمنازعات العربية ، الصراع التاريخي بين الأمة وأعدائها من الصهاينة والصليبيين والشيوعيين) انعقد في دولة الكويت في الفترة من (٥ - ٧ ربيع الأول ١٤٠٥هـ الموافق لـ ٢٧ - ٢٩ تشرين الثاني [نوفمبر] ١٩٨٤م) الاجتماع الخامس للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ...

وكان مما قاله سمو أمير دولة الكويت في كلمة الافتتاح : « ... إن التعاون الخليجي تيار صنعته إرادة شعوب الخليج وهو استجابة صادقة لحقائق الحياة في هذا الجزء من العالم ، وصياغة معاصرة لما كنا نمارسه بالود والتقاليد المعروفة عن آباء كرام عاشوا التعاون والتشاور والتكاتف ... »

« إن هذا المجتمع الخليجي الجديد الذي نبنيه ونحميه هو جزء من الأمة العربية ، استوى على سوقه ، واتخذ إلى النمو طريقاً ، ونأمل أن يلقى هذا الطريق قبولاً من أمتنا العربية ليشمل أقطارها بمشيئة الله ... وهو هديتنا إلى أبنائنا وأبناء العروبة ، ووصية يحملها جيل إلى جيل على طريق مدروس ومخطط لمجالات أوسع في التعاون الإسلامي والعالمي ... إننا في هذه المناسبة نتوجه إلى إخوتنا في العروبة والإسلام ودول عدم الانحياز أن يجعلوا للصلح الداخلي بين طوائفهم ، ولحقوق الجيرة والتاريخ المشترك مكاناً ... ولندخر طاقاتنا لما هو أجدى وأقوم ، فأمامنا تحرير القدس الشريف وفلسطين المجاهدة الصامدة ، وعودة السلام إلى لبنان ، والإخاء الإسلامي بين العراق وإيران .. ولنتجه إلى بناء اقتصاد منتج ، وقاعدة علمية راسخة ، ونشارك في بناء مستقبل للإنسانية يتحرر فيه الإنسان من الجوع والخوف والجهل ، وتتجه طاقات التدمير وموارده إلى بناء عالم جديد من الخير والمحبة والسلام ... » .

وقد استعرض قادة الدول الست الأعضاء في المجلس تطوُّرات التعاون بينهم ، وما تم تحقيقه خلال العام الماضي في هذا السبيل ، كما ناقشوا الحرب العراقية الإيرانية وما تشكله من تهديد لأمن المنطقة واستقرارها ، وللأخوة الإسلامية التي تربط بين الشعبين : وتدارسوا الأوضاع العربية الراهنة ومدى تأثير الخلافات العربية على القضايا المصيرية للأمة العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية : والدور الذي تقوم به الدول الأعضاء على الصعيد الدولي ...

وفي نهاية الاجتماع جاء البيان الختامي ليؤكد على إيمان المجلس بضرورة تحقيق آفاق أرحب في التوازن السياسي والاقتصادي والاجتماعي بما يعزز مسيرة هذا المجلس نحو أهدافه ... مع ملاحظة أن الإنجازات التي تمت تنفيذاً للاتفاقية الاقتصادية الموحدة تشكل اللبنة الأولى على طريق التكامل الاقتصادي بين دول المجلس ... وتم تكليف الأمانة العامة للمجلس بدراسة السبل المؤدية إلى تشجيع المشاريع المشتركة ...

وفيما يختص بقضايا الدفاع والأمن فقد أكَّد المجلس على أهمية الإنجازات التي تسعى إلى ترجمة مبدأ الاعتماد على الذات إلى حقيقة ملموسة تُؤَمِّنُ تحمل أبناء دول المجلس مسؤولية الدفاع عنها ...

وعلى ضوء تدارس الحرب العراقية الإيرانية أكَّد المجلس على استعداد دوله للقيام بأي مسعى مباشر قد يحقق تقدماً نحو الحوار والمفاوضات ، ووضع تصورات بهذا الخصوص على أمل أن تلقى التجاوب المطلوب .

وعلى المستوى العربي طالب المجلس الدول العربية الشقيقة بتجاوز خلافاتها ، وتكريس جهودها سعياً لتحقيق وفاق عربي قائم على التفاهم والتعاون ... وعبر عن استعداده للمشاركة في أي جهد عربي جماعي من أجل إزالة التوتر ، وتضييق الخلافات العربية ، والسعي للوصول إلى اتفاق عربي يضع المصالح فوق كل اعتبار ... كما أكَّد المجلس دعمه غير المحدود للقضية الفلسطينية ومساندتها ، ولوحدة لبنان واستقراره واستقلاله وسيادة الوطنية على كامل ترابه ...

هذا وقد أدلى صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ببيان عبر فيه عن ارتياحه للنتائج التي توصل إليها المجتمعون ، والتي تمثلت فيما اتُّخذ من قرارات إيجابية تعبر عما استقر عليه الرأي الإجماعي حول سبل معالجة القضايا التي بحثت ، وشملت المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية وغيرها ... وكان مما قاله : ((... ليس من شك في أن أسلوبنا في مواصلة مسيرتنا بخطوات متئدة مدروسة نحو إدراك أهدافنا سيظل خير ضمان لسلامة هذه المسيرة وما تؤتي من ثمرات طيبات على الأصعدة الوطنية والإقليمية والقومية والدولية ...) .

ومن الجدير بالذكر أن الاجتماع الرابع كان قد عقد بالدوحة في الفترة من الثالث إلى الخامس من صفر الخير ١٤٠٤هـ . أما الاجتماع السادس فسيعقد بمدينة مسقط في شهر ربيع الأول ١٤٠٦هـ . ■■

■ « مسـيرتنا بخطوات متئدة مدروسـة سيظل خير ضمـان لسلامـة المسـيرة » ■

مجلس الشورى في دور الانعقاد الثالث عشر

■ تحقيق ما ننشده من نهضة شاملة مسؤولية مشتركة بين الشعب والحكومة ■

■ صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني يفتتح مجلس الشورى في دور الانعقاد الثالث عشر ■

■■ في الثاني من ربيع الأول ١٤٠٥هـ الموافق للرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤م ابتدأ دور الانعقاد الثالث عشر لمجلس الشورى في دولة قطر ...

وقد ألقى صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد في الجلسة الافتتاحية للمجلس المذكور خطاباً جامعاً تناول فيه أبرز الإنجازات التي حققتها قطاعات الدولة المختلفة، كما ألقى الضوء على ملامح السياسة الخارجية للدولة على المستوى الخليجي والعربي والإسلامي والدولي ... مؤكداً أن (تحقيق ما ننشده من نهضة شاملة لوطننا مسؤولية مشتركة بين الشعب والحكومة، ويرتهن نجاحنا في الوفاء بها على النحو المرجو بقيام التعاون المخلص بين الاثنين) .

وعن السمات البارزة التي تنهض دليلاً على عظم الشوط الذي قطعته الدولة في طريق التنمية أشار إلى ما تم إنجازه هذا العام في مجالي التنمية البترولية والصناعية بعد دراسات مستفيضة دامت عدة سنوات، ألا وهو البدء في تنفيذ مشروع حقل غاز الشمال الذي يعد بين أكبر حقول الغاز في العالم، والذي يشكل استغلاله أضخم مشروع صناعي في تاريخ البلاد ...

كما تحدث عن الجهود التي تبذلها الدولة إلى جانب دول الخليج العربية الأخرى في سبيل الوصول إلى الهدف المشترك، ووصفها بأنها أصبحت (أكثر فعالية وأطيب نتاجاً منذ أن غدت تلك الجهود تتضافر في إطار مجلس التعاون وأنظمته وأجهزته من أجل بلوغ ذلك الهدف ...) .

أما عن الحرب العراقية الإيرانية فقد أعرب عن أمله في (أن تتغلب روح الأخوة الإسلامية ليحل الوئام محل الخصام بين شقيقتينا المسلمتين، وأن يسود منطقتنا ما نحرص عليه من تفاهم وتضامن بين دولها يكفلان استتباب أمنها واستقرارها بعيداً عن مخاطر التدخلات الأجنبية والصراعات الدولية ...) .

وفي حديثه عن القضايا العربية عامة والفلسطينية خاصة أوضح أن حل هذه القضايا (يرتهن قبل كل شيء بإنهاء خلافاتنا بمختلف صورها وإعادة بناء تضامننا الذي يشكل أمضى أسلحتنا لبلوغ أهدافنا) .

وفي ختام خطابه قال :

لتكن مسيرتُنا الخيِّرة مشرقة بنور مبادئنا العربية النبيلة التي نفخر بها، عامرة بتعاليم عقيدتنا الإسلامية السامية التي نعتز بها، تلك المبادىء والتعاليم التي تدعو إلى العدل والحق والمحبة والتعاون والتسامح بين الناس أجمعين، والتي ليس ثمة أفضل منها، مشاعل تضيء لنا طريق العمل المثمر، والجهاد القويم في خدمة وطننا وأمتنا والإنسانية جمعاء ... قال تعالى، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

حول المتغيرات الجديدة في أفغانستان

■■ تؤكد الأحداث الأخيرة في أفغانستان أن خلافات قوية تستعر بين قيادات الجيش وكبار رجال السلطة ، وقد وصلت إلى درجة اضطر معها النظام الماركسي الحاكم المدعوم من السوفييت إلى إجراء حركة تغييرات واسعة على المستويين العسكري والسياسي كان أبرزها إقالة الجنرال « عبد القادر » من منصب وزير الدفاع . و « عبد القادر » يعتبر من أقوى وأشرس رجالات نظام كابول : الأمر الذي جعل بعض المراقبين يتساءل عمّا إذا كان ذلك يعني انتصاراً لـ « بابراك كارمل » على خصومه الأقوياء . « فعبد القادر » وإن كان ينتمي إلى حزب « برشام » إلَّا أنه كان مصدر قلق دائم سيما وأنه هو الذي تولى - فيما سبق - تنفيذ المخطط السوفييتي لتصفية كل من الرئيسين نور محمد تراقي ، وحفيظ الله أمين .

ويرى بعضهم أن هذا التطور يعني تبني السوفييت لاستراتيجية جديدة في أفغانستان تتواكب مع التغيير الذي طرأ على القيادة السوفييتية بعد وفاة رجل المخابرات « أندروبوف » ومجيء « تشيرننكو » أحد الجنرالات الذين خططوا ونفذوا عملية غزو أفغانستان ..

وتشير العمليات العسكرية الأخيرة - خاصة الهجوم الكبير على وادي « بانجشير » - أن السوفييت بدؤوا عملياً يطرحون بدائل جديدة أشد عنفاً وشراسة لمواجهة عمليات المجاهدين .

ومن جهة أخرى ، تفيد الأنباء الواردة من الاتحاد السوفييتي أن الصحافة السوفييتية بدأت منذ شهور قليلة - ولأول مرة منذ غزو أفغانستان - تنشر مقالات وتقارير عن الأحداث في أفغانستان والقتال الدائر بين المجاهدين وقوات الغزو السوفييتي ..

وأثارت هذه التقارير دهشة المراقبين والدبلوماسيين في موسكو ، إذ لم يسبق أن نشرت الصحافة أو أذاع الإعلام السوفييتي أيّ شيء عن أخبار المعارك في أفغانستان ، واعتبروا هذه التقارير خروجاً عن النهج الصحفي التقليدي الدعائي الذي كانت تنتهجه الصحافة والإعلام السوفييتي ..

ولشرح أبعاد هذا التحوّل المفاجيء في الصحافة السوفييتية ، قال متحدث باسم وزارة الخارجية في موسكو : « ... إن أبناءنا يُقتلون هناك اليوم ، والأغلبية من الشعب يعرفون هذه الحقيقة ويسمعون الحكايات عن الجنود الذين يقاتلون هناك . وتنتقل هذه الحكايات إلى من لم يسمعها ، ولهذا لم يعد من المجدي الاستمرار في إخفاء الحقيقة عن المواطنين ، يجب أن يعرف الجميع ما يجري في أفغانستان » .. ■■

نصائح للتنصير !

■■ نظمت جمعية « التنصير الكنسية البريطانية » ندوة حول « النصرانية والإسلام » حضرها حوالي خمسين منصّراً متخصصاً بالتنصير بين المسلمين ، يمثلون مختلف الكنائس والمؤسسات التنصيرية ..

قُدم في الندوة التي عقدت في لندن بتاريخ ٢١ صفر ١٤٠٥هـ [١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤م] بحثان .. الأول قدّمه المنصِّر « كريستوفر لام » وكان بعنوان « كيف نفهم الإسلام ؟ » عرض فيه - بإيجاز شديد - لحياة الرسول محمد ﷺ . وركّز - حسب منهج المستشرقين في هذا الصدد - على القول بأنّ « محمداً كان يلتقي باليهود والنصارى بشكل متكرر قبل نبوّته » ..

وألمح إلى التسامح الكبير الذي أبداه المسلمون الفاتحون تجاه أهل الأديان الأخرى ، ممّا مكّن أهل تلك الديانات من ممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة .. إلَّا أنّه فسر ذلك بادعائه « أن المسلمين لم يكونوا حريصين على أن يعتنق أهل البلاد المفتوحة الإسلام حتى لا يشاركوهم في الغنائم » !

أما البحث الثاني فقدمه المنصِّر « فرانك خير الله » وهو باكستاني الأصل ، سليل أسرة مسلمة إلَّا أن أباه سبق أن ارتد وتنصَّر فنشأ الابن على دين أبيه .. و « فرانك » - كما يبدو عليه - ذو باع طويلة في التنصير بين المسلمين ، وإدراك دقيق لطبيعة الحواجز والعوائق القائمة في طريق العمل التنصيري ،

ولذلك جاء بحثه على شكل نصائح وإرشادات حول أنجع السبل التي يجب على المنصِّرين أن يسلكوها لتنصير المسلمين .. ومن ذلك قوله : [... إنني لا أنصح إطلاقاً بأسلوب المناقشة والجدل العلمي .. إننا وبكل صراحة لا نستطيع أن نكسب جدلاً نخوضه على أساس العقل والمنطق بل سنخسر كل مناقشة منطقية .. ولكن - مع ذلك - نستطيع أن نكسب إذا استخدمنا أهم سلاح لدينا وهو إشراك المسلمين في تجربتنا مع الله .. علينا أن نتحدث دائماً للمسلمين عن أهم ما لدينا وهو الصلة التي تحققها النصرانية بين الإنسان والرب] .

وقال أيضاً :

[إنّ الدين بالنسبة للرجل الغربي عبارة عن أمر شخصي فردي والعلاقة مع الله علاقة شخصية مجرّدة ، ويجب على الكنيسة أن تعود إلى إطار الحياة الواسع وأن تقدم نظرية أكثر شمولاً فالدين يدخل في صميم الحياة] . ■■

بين الصين وإسرائيل وأمريكا

■■ كشفت وسائل الإعلام الأمريكية النقاب عن اتفاق أُبرم مؤخراً بين الصين وإسرائيل ، تشتري الصين بموجبه الأسلحة التي غنمها الإسرائيليون من حروبهم ضد العرب ، وتستفيد من التقنية الإسرائيلية في مجال الصناعة العسكرية لتطوير صناعاتها ..

وقد أظهر المسؤولون الأمريكيون قلقهم إزاء هذا الاتفاق .. فأمريكا التي حسَّنت في الآونة الأخيرة من علاقاتها مع الصّين واستقبلت بعض الفنيين الصينيين الذين أرسلوا لتلقي الخبرة الأمريكية في أكثر من مجال ، لا تريد للصين أن تتقدم إلَّا بالقدر الذي يمكنها من الحدّ من التهديد السوفيتي للمعسكر الغربي .

أما الصين فمن جانبها ، سارعت إلى نفي الأنباء التي ترددت حول هذا الاتفاق ، حرصاً على سلامة علاقاتها المتطورة مع العالم العربي .. إلَّا أن بعض المراقبين يرفض النفي الصيني وذلك بالنظر إلى المتغيرات التي طرأت على السياسة الصينية في مجال العلاقات الدولية .. فالصين أصبحت تنظر إلى الماركسية - اللينينية وأقوال « ماوتسي تونغ » على أنها لم تعد قادرة على تقديم الطروحات العملية لتطلع القيادة الجديدة للحاق بركب التقدم والتقنية في العالم الرأسمالي . ■■

تجاهل الكاثوليكية واعتناق الإسلام

■■ وزعت « وكالة الصحافة الفرنسية » تحقيقاً أعدته عن ازدياد عدد الذين يعتنقون الإسلام من المواطنين في فرنسا ، ويستمد التحقيق مادته الأساسية من ملف ضخم نشرته مجلة « لاكتواليتيه روليجيوز » ، وعبرت فيه عن قلق الكنيسة الكاثوليكية من ذلك ..

يقول التحقيق :

[منذ عدة سنوات والإسلام ينتشر في فرنسا حتى إن عدد الذين اعتنقوا الدِّين الحنيف يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ ألف فرنسي من الأوساط الاجتماعية كافة ومن الاتجاهات جميعها .

ولا تبدي الكنيسة الكاثوليكية قلقها من هذا الرقم بقدر قلقها من عمق إيمانهم والأسباب التي أدَّت بغالبيتهم إلى ترك أو تجاهل الكاثوليكية والاتجاه نحو الإسلام ، هذا الدين الذي يمتد بلا توقف ..

وذكرت المجلة التي تعتبر كبرى المجلات الفرنسية التابعة للكنيسة الكاثوليكية ، أن هؤلاء المنتمين الجدد إلى الإسلام يختلفون تماماً عن النصارى الذين تحوَّلوا إلى الإسلام قبل ذلك ، وأنَّ الهجرة إلى الإسلام في الماضي كانت مقصورة أساساً على العسكريين الذين عايشوا الإسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسي في شمالي أفريقيا والشرق الأوسط ...

وقال : إن شاب اعتنق الإسلام وهو سليل أسرة عسكرية تقليدية أن السبب في إيمانه يرجع إلى « تضامن المؤمنين وجاذبية مقومات الشجاعة التي تتضمنها التقاليد الإسلامية العربية »] .

[وذكرت المجلة أن الأشخاص الذين يتحولون حالياً إلى الإسلام ، لإشباع ظَمَئِهم الروحي راحوا يبحثون في آن واحد عن الحقيقة والصرامة والانضباط فضلاً عن العقيدة ، بعيداً عن الكنيسة وعن السلطة الوضعية ، وقد خاب ظنُّهم نتيجة التقلبات التي عاشتها الكنيسة الكاثوليكية منذ إنشاء مجمع الفاتيكان منذ قرابة ربع قرن .. وقد وجد شخص آخر ـ كان يريد أن يصبح راهباً ـ طريقه الروحي في الإسلام بعد تجربة فاشلة في دير كاثوليكي ، وقد تحوَّل آخرون بدافع من رفضهم لما تبيحه الأديان الغربية] .

وقالت المجلة : « إنهم كانوا يسعون إلى عبادة انقرضت إلَّا أنها حافلة بالقيم ، لكي يرضوا مشاعرهم التي تجردت من قيمتها في الغرب وتوارت في عالم النسيان » ، « وكقاعدة عامة » فإن « العالم الإسلامي أكثر تمسكاً بمبادئه الروحية والمعنوية من العالم الغربي » .

وتشير المجلة إلى أن معتنقي الإسلام الجدد يعتزمون ممارسة حياتهم [وفق التقاليد الشرقية تماماً ، بينما يفكر بعضهم في الرحيل للعيش في ديار الإسلام] . ■■

تبادل الأدوار

■■ ضمن المسلسل الذي يسعى إلى تبرئة ساحة إسرائيل من جرائم العصر ، صدر مؤخراً كتاب « يومياتي في الحرب ـ إسرائيل في لبنان » بالانجليزية ، للجنرال اليهودي « دوف يرميا » (٧٠ عاماً) متضمناً مذكراته التي سجلها خلال اشتراكه في عملية غزو لبنان واثناء إقامته هناك ، ليضيف بعداً جديداً للحملات الإعلامية التي تتوجه إلى الراي العام العالمي باسلوب « النقد الذاتي » معلنة أن ما جرى في لبنان إنما هو غلطة في السيرة الطاهرة للشعب اليهودي ارتكبتها عناصر شاذة مثل بيجن وشارون وإيتان ، وهو الأسلوب نفسه الذي طبقته لجنة « كاهان » ، وظهر واضحاً في تقريرها الشهير .

ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى ان هذه العناصر الشاذة التي خططت ونفذت الجرائم لا تزال تمارس دورها من مواقعها في قمة السلطة ـ إذا علمنا ان الجنرال المؤلف كان عضواً في منظمة « الهاجانا » الإرهابية ، ثم انضم إلى الجيش الإسرائيلي بعد قيام إسرائيل ، واشترك في الحروب كلها ، وآخرها عملية « سلامة الجليل » ، أو الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، حيث تطوع للخدمة في وحدة مدنية بسبب تقدمه في السن ..

اما كيف يعالج الجنرال « يرميا » الفكرة اليهودية في كتابه ، فإنه يجعل محوره يدور حول خلاف قائم بينه وبين قادة الغزو ، حيث يدعي انه كان يريد مساعدة « المدنيين » الفلسطينيين واللبنانيين الذين تضرروا بسبب القصف الإسرائيلي ، بينما كان القادة لا يبالون برغباته ، ويحاولون منعه من القيام بنشاطاته ومساعداته الإنسانية (!!) .. ويقول : إنه فعل ذلك مخالفاً تعليمات الجيش ..

وفي مجال حديثه عن عملية الغزو يقول : [... وهكذا حققنا هدفنا ، وإن لم يكن ذلك هدفنا الأساسي ، فقد قدمنا وجهاً لإسرائيل مختلفاً ..] .. ويشرح هذه الفكرة في موقع آخر من الكتاب فيقول : [... عندما اعرب بعض السكان اللبنانيين في الجنوب اللبناني عن خوفهم من أن يعتقل ابن أو اخ ويُقاد إلى السجن ، كان يقال لهم : « اطمئنوا ، إن إسرائيل بلد يحترم القانون والنظام ولا يؤذي بريئاً » .. لكني اشعر بألم شديد بداخلي ، فدولة إسرائيل بدات تختلف عمَّا اصفه الآن ، وهي تتغير امام عيني ..] . ■■

■ جرائم العدو الإسرائيلي ـ يحاول المؤلف تبرئة ساحة اليهود من ارتكابها ■

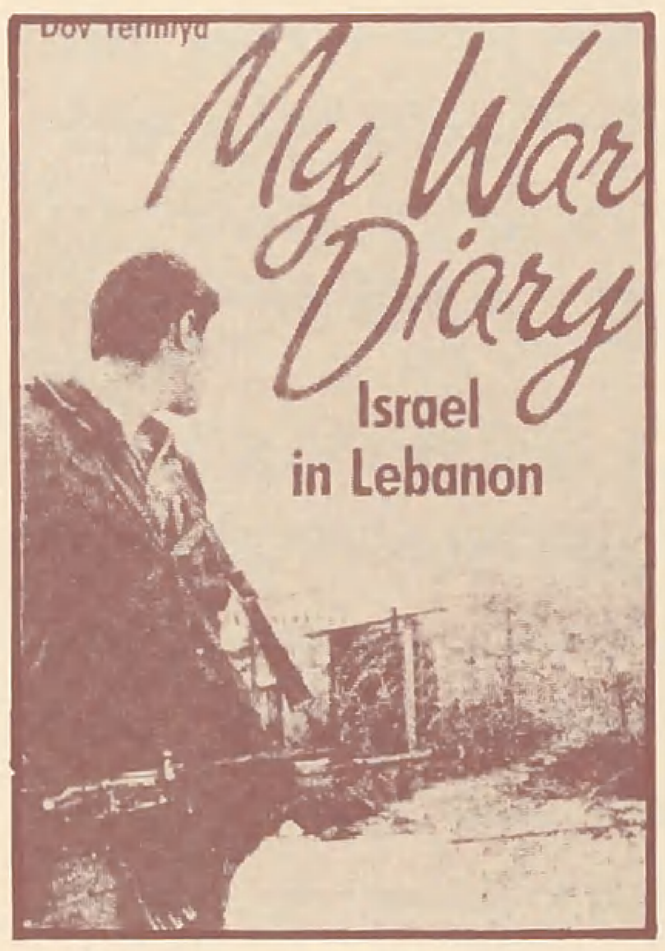

■ غلاف كتاب « يومياتي في الحرب ـ إسرائيل في لبنان » ■

قراءة ثقافية

ولادة جديدة :
رابطة الأدب الإسلامي

■■ بمسؤولية ووعي لدور الأدب في البناء الثقافي للأمة الإسلامية ، أعلن في الهند عن تأسيس [رابطة الأدب الإسلامي] ومقرها : « لكنو » ، واختارت الهيئة التأسيسية لرئاسة الرابطة الشيخ (أبا الحسن الندوي) ، ودعت الهيئة الأدباء « الملتزمين بالإسلام » « الغيورين على عقول الأجيال » إلى الانتساب إليها ، والعمل على تحقيق أهدافها عن طريق الكلمة الملتزمة ، والإنتاج الأدبي الهادف الذي يؤصل نظرية الأدب الإسلامي ويوجد تياراً أدبياً قادراً على مواجهة التيارات الأدبية المنحرفة .

ويعد إنشاء هذه الرابطة تحقيقاً لحلم رواد كل من انتسب لهذا الدين ، واكتوى بنار الآداب الخبيثة التي أفسدت عقول المسلمين حتى اقتحمت عليهم بيوتهم - عبر الإعلام المرئي والمسموع - فأسلمت الكثيرين - إلاَّ من رحم الله - إلى سقوط نفسي وعجز فكري .

ورغم أن رابطة الأدب الإسلامي ليست حتى الآن سوى مشروع أعدته اللجنة التحضيرية المنبثقة عن الهيئة التأسيسية للرابطة ، فإنها تعتبر البلورة الحديثة لمحاولات قد سبقت في هذا المجال ومهدت لها : كانت بدايتها في الهند أيضاً في « دار العلوم » من خلال الندوة العالمية للأدب الإسلامي في (١٤٠١هـ) ، وتبعها حوار عن الأدب الإسلامي دعت إليه الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في (١٤٠٢هـ) .. وفي العام الماضي أعلن في الرياض عن ندوة للأدب الإسلامي تقيمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - أشرنا إليها في الأمة العدد ٣٤ - ولكنها لما تتم حتى الآن .. كما أن هناك محاولات أخرى لم يكتب لها الظهور والعلانية ..

ذكر بيان إنشاء الرابطة أن السبب في إنشائها : غربة الأدب الإسلامي ، وسيطرة الأدب المزور على العالمين العربي والإسلامي ، وواجب الدعوة إلى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة .

أما أهداف الرابطة فيمكن إيجازها في :

* تعريف الأدباء الإسلاميين - على اختلاف لغاتهم وأجناسهم - بعضهم ببعض وجمع كلمتهم . وإقامة التعاون بينهم ، ليكونوا قوة إسلامية ، سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالإسلام .

* العمل على تأصيل نظرية الأدب الإسلامي وإظهار الملامح السائدة في الأدب الإسلامي قديمه وحديثه ، وتحقيق عالميته .

* العمل على تأصيل نظرية النقد الإسلامي على أن تتصف بالموضوعية والإنصاف والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة .

* رسم منهج إسلامي مُفصَّل للفنون الأدبية الحديثة (القصة - المسرحية - السيرة الأدبية) - الاهتمام بالتفسير الإعلامي للأدب ، وإعادة كتابة تاريخ الأدب العربي من وجهة نظر إسلامية .

* إظهار صلة الأدب الإسلامي الحديث بالأدب القديم ، ودراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامية ، والقيام بدراسة موسعة لعدد من الأدباء الإسلاميين ، وتعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها بعضاً بترجمة آثارها الأدبية إلى عدد من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى .

* تشجيع الأدب الذي يهتم بقضايا المرأة وتشجيع نتاج الأديبات المسلمات .

* رسم منهج إسلامي لأدب الأطفال واليافعين والشباب .

* التصدي للدعوات الأدبية المشبوهة .

* مناصرة حركات التحرر الإسلامي والإسهام فيها بالكلمة الجريئة الأصيلة .

* الدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

* الدفاع عن حقوق الأدباء الإسلاميين المعنوية والمادية .

* تهيئة وسائل النشر والتوزيع لأدباء الرابطة ، بجميع الوسائل الممكنة .

كما ذكر بيان رابطة الأدب الإسلامي المبادىء العامة التي تنطلق الرابطة منها وقد نتناولها في مرة قادمة إن شاء الله . ■■

التعبير بالصورة

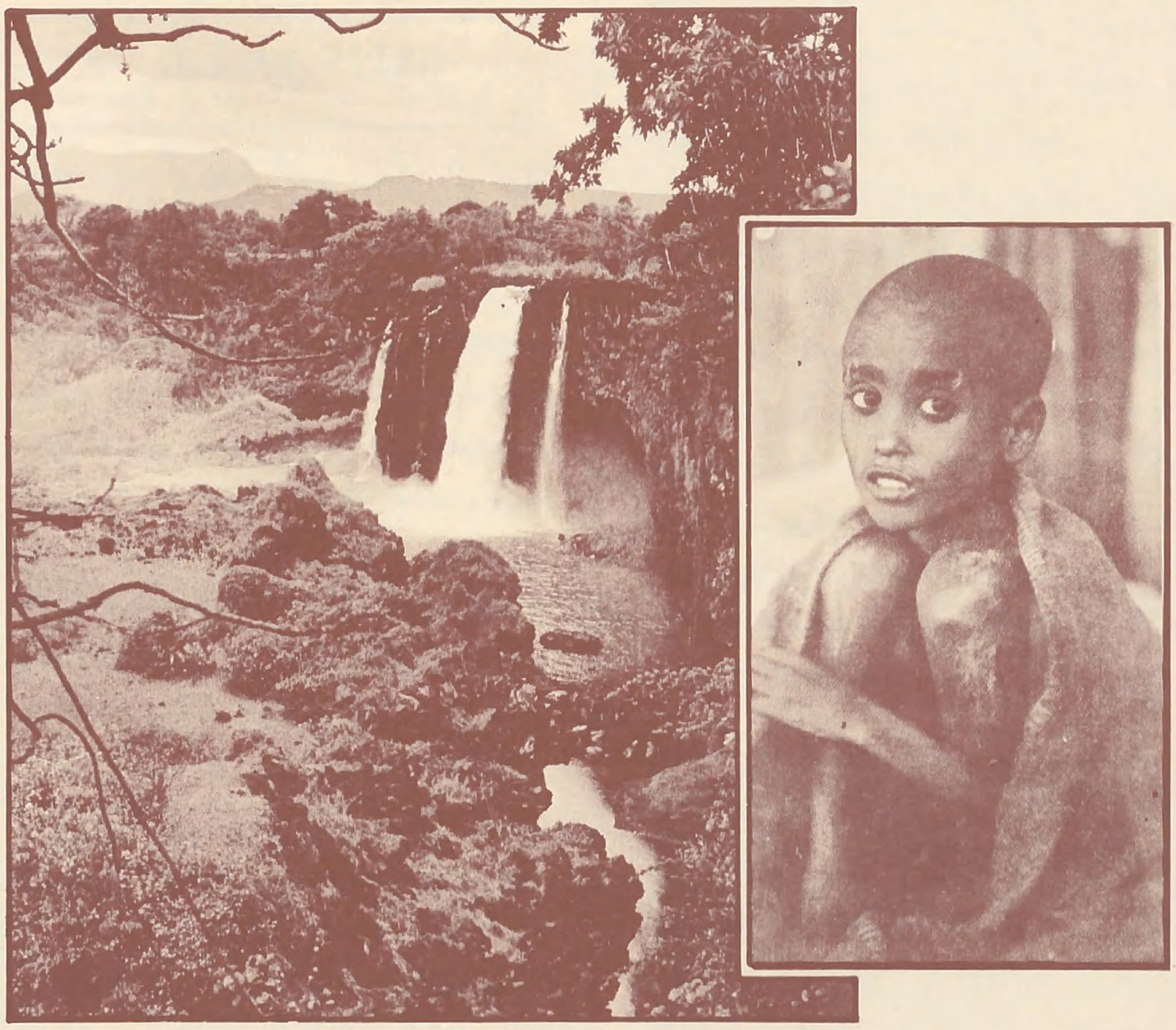

أفريقيا الجافة ؟

[مصادر مائية وثروات هائلة ..
والشعوب تموت جوعاً وعطشاً !]

في عالم الاقتصاد

عقبات على طريق البتروكيميائيات العربية

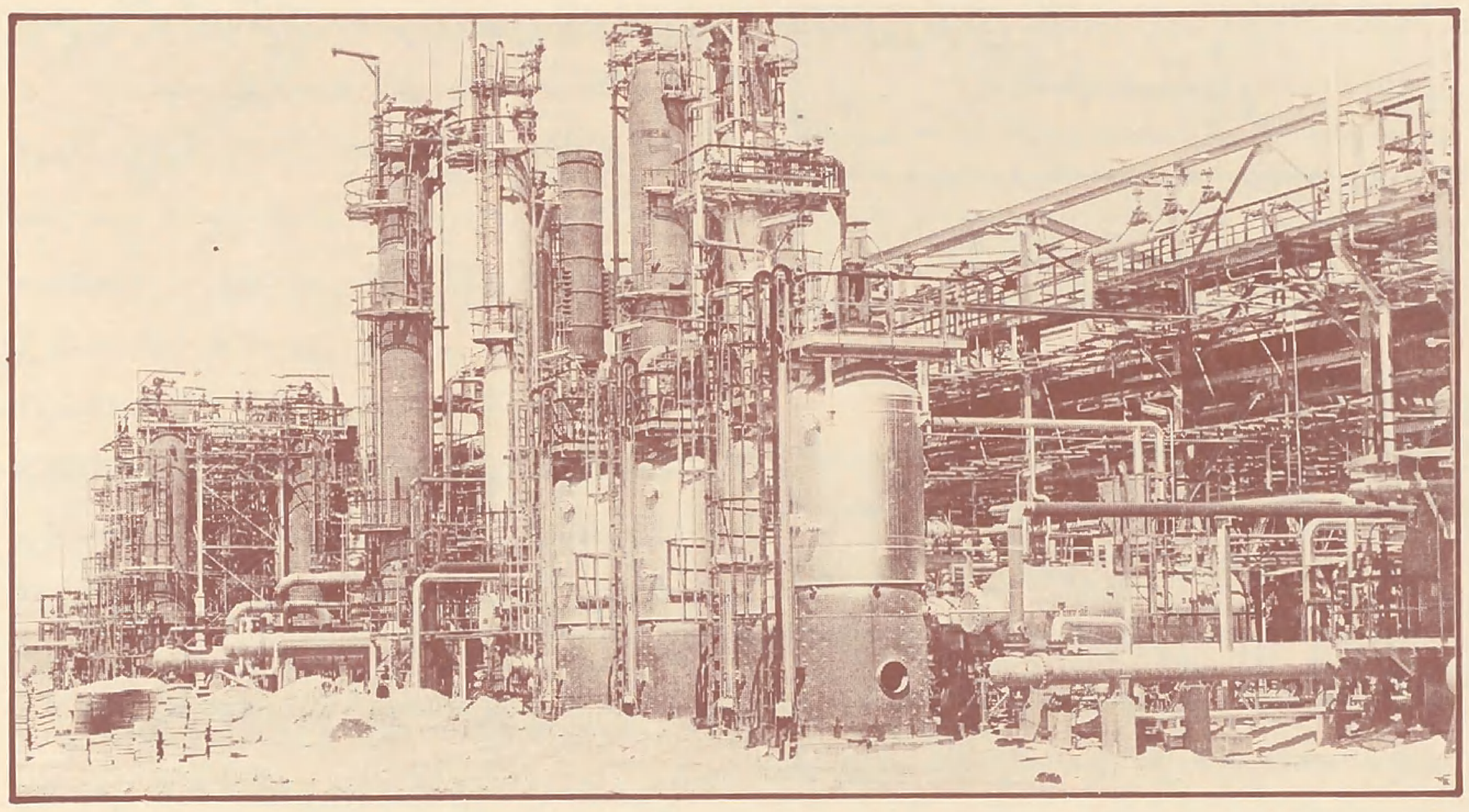

■■ تعتبر الصناعات البتروكيميائية من أكثر الصناعات أهمية في العالم، كما تعد من أهم مكونات الإنماء الصناعي الحقيقي وذلك لما تشكله من مرحلة متقدمة من مستويات الاستفادة من تطويع المواد الخام. وتشكل المنتجات البتروكيميائية المدخلات الأهم في كثير من القطاعات الإنتاجية، مثل قطاع الزراعة، هذا إلى جانب استفادتها من منتجات صناعة النفط.

وتتجه الدول الخليجية منذ فترة نحو دخول مجال الإنتاج الفعلي، والتحول من مجرد دول مصدرة للبترول الخام إلى دول تسعى لتطوير الاستفادة من الإمكانات النفطية بزيادة القدرات التكريرية، بهدف إنتاج مواد بترولية ومشتقات تؤدي إلى زيادة العائد المادي وإلى قيام صناعة بتروكيميائية تستغل الطاقة الرخيصة التي كانت تضيع هدراً كالغاز الطبيعي مثلاً.

إلّا أن هذا التوجه الخليجي لقيام صناعة بتروكيميائية يواجه عقبات عنيفة على المستوى الخارجي.. وبدأت الدول الأوروبية والولايات المتحدة تدرس السبل الكفيلة بالحيلولة دون تسويق المنتجات الخليجية، التي لما تصل إلى الأسواق بعد. وأعرب المسؤولون عن صناعة تكرير النفط في الولايات المتحدة عن قلقهم من المنافسة الجديدة التي تواجهها هذه الصناعة من جانب المصانع الجديدة في دول الخليج.

وبتوجيه من وزير الطاقة، يعكف خبراء النفط الأمريكيون هذه الأيام على إجراء دراستين منفصلتين لبحث الآثار المحتملة لصناعة تكرير النفط الأمريكية..

يشرف على الدراسة الأولى - التي يجريها معهد النفط الأمريكي - مديرو عدد من شركات النفط الأمريكية، ويقدر أن تنتهي في مطلع العام ١٩٨٥م.

أما الدراسة الثانية: التي يجريها مجلس النفط القومي - وهو هيئة من الخبراء تمولها شركات النفط الأمريكية - فمن المتوقع أن تنتهي في أواخر ١٩٨٥م.

وتهدف الدراستان بشكل أساسي لبحث الوسائل الكفيلة بحماية صناعة تكرير البترول في الولايات المتحدة مما أطلق عليه «الأخطار الاقتصادية والأمنية» التي تمثلها مصانع التكرير الجديدة في منطقة الشرق الأوسط على الصادرات النفطية الأمريكية، إضافة إلى دراسة الوسائل والإجراءات التي يمكن للولايات المتحدة أن تطبقها لحماية صادراتها النفطية، ومن بينها فرض تعريفة جمركية على الواردات النفطية، وتحديد حصص ثابتة لهذه الواردات، وإقامة مناطق تجارية حرة، وإدخال تغييرات في صناعة تكرير النفط الأمريكية، واللجوء إلى الضغوط السياسية إذا اقتضى الأمر ذلك.

وقد جعل هذا القلق - الأمريكي خاصة والأوروبي عامة - الأوساط الاقتصادية الإسلامية تتساءل:

لماذا لا تريد الولايات المتحدة - ذات العلاقة الحسنة مع الدول العربية المنتجة للنفط - لهذه الدول أن تستغل مواردها الطبيعية إلى أقصى ما يمكن وأن تستفيد من التقنية الحديثة في تحقيق ذلك؟

يرى بعض الاقتصاديين أن ذلك يمثل بدقة حقيقة النزعة الاستعمارية للعالم الغربي على ما سواه، ويعبِّر عن رغبة الغرب الصناعي في استمرارية بقاء مقولة «تقسيم العمل الدولي» صالحة للاستعمال في كل مكان وزمان، وفقاً لممارسة فلاسفة الاقتصاد القُدامى: التي تحرص على أنّ الأفضل لدول العالم الثالث أن تبقى منتجة للمواد الخام والمواد الأولية وأن تترك مجال الصناعة للدول المتقدمة التي هي أقدر على التعامل والاستفادة من التقنية الحديثة..

إن الغرب باختصار يعمل على مزيد من تكريس التبعية الاقتصادية حتى يكون هو المتحكم بكل أمورنا في كل المجالات.. ■■

خسائر حمضيات جنوبي لبنان

■■ بلغت خسائر الحمضيات في جنوبي لبنان خلال عام ١٩٨٤م أكثر من (٢٠٠) مليون ليرة لبنانية.. وترجع أسباب ذلك إلى إغلاق المعابر بين بيروت وبين والجنوب، وزيادة كلفة النقل بسبب إغلاق الطريق الساحلي، والجبايات غير الشرعية، كما يرجع إلى إحجام بعض البلاد العربية عن استيراد حمضيات الجنوب وذلك خوفاً من تسرب السلع الإسرائيلية إلى أسواقها.. ■■

أخبار قصيرة

●● « الأسبوع الإسلامي » مشروع واحد من الأنشطة الرئيسة لكل جمعية طلابية إسلامية في الجامعات البريطانية ، يقام في كل عام مرة تحت شعار محدد ، يدعى إليه محاضرون ، وتعرض فيه أفلام إسلامية ، ويقام فيه معرض إسلامي يضم الكتب الإسلامية التي تعرض جوانب الإسلام كلها ، وملصقات قرآنية ، ولوحات فنية إسلامية ، وأشرطة تسجيل للقرآن الكريم والمحاضرات الإسلامية ... وتعد هذا المعرض « دار الرعاية الإسلامية » .

ويتابع هذا الأسبوع مع المسلمين غيرهم ، وكثيراً ما يحضر بعض رجال الدين النصارى ، وبعض رجال المخابرات البريطانية الذين يستعملون أجهزة التسجيل لتسجيل المحاضرات جميعها ...

●● دعت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية البلدان الإسلامية للمشاركة في إنقاذ المسلمين الذين يعيشون في المناطق المنكوبة بأفريقيا تحت ظروف قاسية بسبب الجفاف والمجاعة ..

وجاء في نداء صادر عن الهيئة من مقرها في الكويت أن استمرار المجاعات وانتشارها على مساحات واسعة في مناطق عديدة - نتيجة لاتساع دائرة الجفاف - قد خلَّف وراءه أوضاعاً محزنة قضت على كثير من البشر ..

ودعت الهيئة إلى تضافر الجهود على مستوى الشعوب والحكومات من أجل التخفيف من حدَّة ما يعانيه أبناء هذه المناطق من جوع وتشرد وسوء تغذية ، وذكر النداء أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تضع كل إمكاناتها تحت تصرف محبي الخير لإيصال المعونات والمساعدات للمتضررين والمنكوبين بشكل مباشر وسريع ..

●● صدرت من جديد صحيفة LE REVEIL ISLAMIQUE (الصحوة الإسلامية) - أكتوبر [تشرين الأول] ١٩٨٤م - عن الاتحاد الثقافي الإسلامي (U.C.M) - بدكار ، السنغال - بعد توقف دام حوالي ثلاثين عاماً بسبب العديد من العقبات .

والصحيفة شهرية تصدر - بالفرنسية - في حجم (نصف جورنال - تابلويد) في (١٢) صفحة بلونين ، تتصدر صفحتها الأولى الآية : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وقد عالجت افتتاحية العدد الجديد قضية أهمية تعليم الإسلام بشكل سليم ، كوسيلة مثالية للبناء الحضاري ولتربية جيل مسلم قوي وفعَّال ، كما تضمَّن العدد دراسات وأبحاثاً وأخباراً إسلامية ، وتقارير عن النشاط الإسلامي في المنطقة : تناولت موضوع المؤتمر الوطني لحركة الشبيبة الإسلامية هناك ، كما نشرت بالصحيفة قصة قصيرة تحث المسلمين على أن يأخذوا دينهم عن مصادره الصحيحة ..

يرأس تحرير الصحيفة « أحمد إيان ثيام » رئيس الاتحاد الثقافي الإسلامي بالسنغال ..

●● أثبتت أنباء من « لوس أنجلوس » بالولايات المتحدة مؤخراً أن المواطن الأمريكي « مايك كانال » - عضو رابطة الدفاع اليهودية - هو الذي فجر مكتب المؤرخ « جورج أشلي » الذي كتب عدداً من الدراسات فنَّد فيها كثيراً من الادعاءات الصهيونية وقال : إن احتراق اليهود على يد هتلر مجرد خرافة اخترعتها الصهيونية لكسب عطف الرأي العام العالمي لتأييد قيام دولة يهود في فلسطين !

●● توجهت الجماعة الإسلامية الهندية بولاية مهاراشترا إلى المسلمين في أنحاء العالم بنداء لإغاثة المظلومين والمتضررين من الاضطرابات الطائفية التي حدثت في مدن بهيوندي وتهانه وبومباي وأدت إلى خسائر فادحة في الأرواح والأموال ، هذا غير حرمان الآلاف من تجارتهم وأعمالهم المهنية .. ودعت المسلمين للمساهمة في (صندوق إغاثة المظلومين) .

●● تعد منظمة الإذاعات الإسلامية بجدة لمؤتمر إسلامي كبير عن مظاهر وأخطار الغزو الفكري ووسائل مواجهته ، يعقد في الكويت بالتعاون مع وزارة الإعلام الكويتية ، ومن المعروف أن المنظمة تضم في عضويتها (٤٥) دولة إسلامية .

●● اتفق عدد من العلماء في العالم الإسلامي على تكوين اتحاد دولي للمغتربين المسلمين وقال الدكتور عبد الرحمن محمود الأمين العام للاتحاد الدولي للمغتربين العرب : إن الاتحاد الجديد يهدف إلى توحيد الجهود ورعاية الأجيال الجديدة من المسلمين في المجتمعات الأجنبية .

●● شارك وزراء ورؤساء وفود الدول الإسلامية في الأمم المتحدة في وضع حجر الأساس لمبنى المركز الإسلامي في نيويورك ، ويتكون من مسجد ومدرسة ومعهد للبحوث الإسلامية ، وقاعة للمحاضرات وناد ، وعيادة طبية .

●● تجري في ألمانيا الاتحادية أبحاث ودراسات لترميم (١٥٠) مخطوطة إسلامية جلبت من اليمن ، من ضمنها مصحف كامل يعتبر من أقدم المخطوطات القرآنية بالحرف الكوفي ، وعثر عليه عام ١٩٧٢م محفوظاً في سقف المسجد الكبير في صنعاء مع مجموعات كبيرة من المخطوطات الإسلامية اليمنية ، يشرف على هذه الدراسات في متحف جامعة « جوتنجن » البروفسير « ألبريخت نوت » بالتعاون مع المختص بالترميم الأثري للمخطوطات « البروفيسور برانال » .

●● صدر كتاب جديد في موسكو ضمن السلسلة الجغرافية « خارطة العالم » حول بلدين عربيين هما دولة قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة .. مؤلفا الكتاب هما : فلاديمير ايسايف وفاسيلي أوزولينج ، يرسمان صورة للتاريخ القديم والطبيعة الجغرافية والتركيب السكاني وظروف المعيشة في البلدين ويؤكدان التطور الاقتصادي السريع بهما والذي يتخذ صيغته القصوى في الوقت الحاضر .

●● توزع إسرائيل صورة مركَّبة لمدينة القدس بدون المسجد الأقصى ولا قبة الصخرة .. وذكرت أوساط صحفية أن لجنة إسرائيلية عليا تضم في عضويتها الرئيس الإسرائيلي « هيرتزوج » قطعت شوطاً طويلاً في دراسة تفاصيل إقامة الهيكل اليهودي .

●● اجتمع الرئيس الروماني « شاوشيسكو » مع « إدجار برونجمان » رئيس المؤتمر اليهودي العالمي بحضور وزير خارجية رومانيا « ستيفان أندريه » .. وترجح المصادر الدبلوماسية أن تكون المحادثات قد دارت حول أشعار نشرت في بوخارست لشاعر شبه رسمي ، اعتبرها كثير من اليهود الرومانيين معادية للسامية .. وأوضحت المصادر أن هذه الأشعار كانت تهاجم « موسى روزين » رئيس الحاخامات في رومانيا ، حيث يعيش (٣٠) ألف يهودي .

بريد الأمة

●● تشغل مساهمات الإخوة القراء من صفحات « الأمَّـة » حيزاً كبيراً ، يتناسب - في الواقع - مع حجم المواد التي يرسلونها بصفة دائمة ؛ فإلى جانب الباب المخصص لإنتاجهم الفكري (بأقلام القراء) - الذي نأمل أن تتضاعف مساحته - فإن جميع أبواب المجلة وصفحاتها مفتوحة لأقلامهم ، حسب طبيعة المادة ومستواها .. وهذه - في الحقيقة - تجربة تؤتي ثمارها يوماً بعد يوم ، فتحدث مزيداً من التفاعل وتنمي الاهتمام المشترك ، الذي يعتبر أقصى ما يأمل أن يحققه الإعلام الناجح من نتائج ..

وما نود أن يعرفه الإخوة القراء هو أن مساهماتهم في تحرير بابهم « بأقلام القراء » قد تقرر لها مقابل مادي .. مع اعترافنا مسبقاً بأن نتاج الفكر لا يمكن تقييمه بالمادة ..

وبهذه المناسبة .. نرجوا الإخوة حين يرسلون موادهم ، كتابة أسمائهم وعناوينهم بوضوح ●●

رسالة ..

[لا خير فيكم إذا لم تقولوها]

■■ يوجه الأخ حمد خلفان سليمان آل توية - من سلطنة عُمان - هذه الرسالة إلى الشباب المسلم ، يدعو فيها العلماء والكتَّاب للتبصير بعيوب المسلمين ووصف العلاج لها .. وذلك رداً على اقتراح احد الإخوة - بالعدد التاسع والأربعين - الذي يرى انه من الأفضل عدم كشف العيوب وإظهارها ...

يقول الأخ خلفـان :

[... ولست مع الأخ فيما رأى ، واود ان أسجل هنا بعض الملاحظات :

أولاً : إن مرض المرء أولى له ان يفكر فيه ، وعيب الإنسان جدير بأن يشغله لأن من فكّر في مرضه عالجه ، ومتى تم للمجتمع الإسلامي ذلك قوي بنيانه وتوطدت أركانه وبرىء جسمه من الأمراض بإذن الله .. ولا يكون الإنسان كاملاً ، ولا يكون المجتمع فاضلاً إلَّا إذا اتبع اوامر الله وكفّ عن المعاصي ، ولا يستقيم ذلك إلَّا بالموعظة الحسنة والنصيحة المثلى ، والنصيحة واجب شرعي هدفها الإصلاح والبناء وليس الهدم ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة (ثلاثاً) » قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : « للهِ ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .. وقد شرعها الله تعالى لسد الخلل وإصلاح حال المسلمين ، فالمسلم بشر يخطىء ويصيب والكمال لله وحده ، والعصمة للأنبياء والرسل عليهم السلام ..] ويضيف الأخ حمـد :

[... ولكني معك ايها الأخ الكريم في امر سرِّية النصيحة إذا كانت لشخص ، فالنصيحة على الملأ فضيحة ، اما إذا كانت خاصة بمجتمع فالأولى ان تعلن وتشهر ..

ثانياً : الحديث الشريف الذي جاء في سياق الاقتراح : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » إنما جاء لظروف الحرب ومصالح المسلمين ، كما حدث في فتح مكة حيث حرص رسول الله ﷺ على إخفاء الأمر عن الجند حتى لا يتسرب الخبر إلى قريش ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ان يامرنا ان نستر الأخطاء حتى تستشري ويعم الخطب .. فقال مُعْذِرَاً : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان » .. وهذا عمر بن الخطاب امير المؤمنين ، جاءته خولة بنت ثعلبة تقول له : يا عمر لقد شاهدتك وانت عمير ترعى إبل الخطاب ، ثم شاهدتك وانت عمر تناصر الرسول ﷺ وتدافع عنه ، ثم شاهدتك وانت وزير لأبي بكر تشدّ أزره وتسانده ، ثم شاهدتك وانت امير المؤمنين وليس بينك وبين الله احد ، فاتَّق الله يا عمر واحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم ... فقال احد الحاضرين من أصحابه : ويحك يا عجوز ، أوتقولين لأمير المؤمنين اتَّق الله واحكم بين الناس بالحق ؟ فغضب عمر رضي الله عنه من قوله .. وقال : [لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم ...] .

ثالثاً : بالنسبة للتحفظ بشأن كشف عيوبنا لعدونا ، فالحقيقة ان عدونا اعلم بها منَّا - للأسف - وكيف لا ؛ وهو الذي صدَّر لنا اسبابها كما يصدر لنا الغذاء والقمح والمصنوعات وبرامج الترفيه والإعلام والأخبار ، وهو الذي روَّج لها في عقول الشباب وغرسها في مجتمعاتنا ، فالأولى ان نحارب تلك الرذائل جهاراً ونقتلها في مهدها ، والأولى ان نعتمد على انفسنا في توفير مقومات حياتنا ..

واقـول أخيراً : إذا كنَّا فاقدين لمعرفة عيوبنا فلا شك اننا فاقدون لوسائل العلاج وإصلاح تلك العيوب ... وبالله التوفيق . ■■

واحة الإخاء

○ فن الزخرفة الإسلامية والنقش على الأواني الفخارية - أحد الفنون المنتشرة والمعروفة في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، خاصة في تونس ، حيث جاءت الصورة من هناك مهداة إلى الواحة من الأخ الطيب المهدي ..

○ وأرسل الأخ ابن بوزة نور الدين - من الجزائر - يقول : [أخي المسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

اعلم أن قضية أفغانستان هي قضيتك ، واعلم أن إخواننا المجاهدين لا يدافعون عن أرضهم فحسب ، وإنما يدافعون عن عقيدتك كذلك - يدافعون عن الإسلام - ويجاهدون بكل بسالة رغم استعمال العدو أفتك الأسلحة المشروعة وغير المشروعة .. واعلم يا أخي أن أخوانك المجاهدين ينقصهم الكثير من الضروريات .. الطعام والشراب والكساء ، بعضهم تسقط أصابعه من شدة البرد وبعضهم يموت متجمداً في موقعه في شتاء جبال أفغانستان الجليدي القارص ..

هل تذكر يا أخي كيف دعم يهود العالم العدو الصهيوني لبناء كيانه رغم ما هم عليه من حب المال ، فهل ترضى يا أخي أن نكون أقل منهم همَّة .. كل ما أطلبه أن تعد صندوقاً في بيتك تضع فيه ما يعادل عشرة بالمائة من ميزانيتك لإخوانك المجاهدين ، وليبارك الله لنا فيما يبقى ...] .

○ أما الأخ عاطف محمد أحمد خلف من طهطا - مصر - فيطرح القضية نفسها من منظور آخر : فيقول :

[... رئيس البنك الدولي في منطقة الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا ، صرح بأن الدول العربية تقدم أكبر كمية من المساعدات من بين المجموعات الدولية الأخرى ، بما يقدَّر بحوالي (٢٦) مليار دولار سنوياً من أصل (٤٣) مليار دولار هي مجموع المساعدات الخارجية التي تقدمها دول العالم ..] .

ثم يتساءل الأخ عاطف : [تُرى ، ما هو نصيب الشعوب الإسلامية الفقيرة من هذه المساعدات ؟ إن ملايين المسلمين الفقراء أحق بمعونة إخوانهم الأغنياء ...] .

مقترحات

● الأخ حامبل إدريسي - من المغرب - يقول في اقتراحه :

[... إن « الأمَّة » تهتم بمجالات الثقافة الإسلامية المختلفة ، وحبذا لو خصصت باباً يناقش الفنون الإسلامية ، وفي مقدمتها فن الخط العربي - الذي يجب أن ينال منَّا اهتماماً خاصاً - والذي ينفرد عن باقي الخطوط العالمية برشاقته وحيويته ، اللتين تدهشان كل من يدقق فيه النظر] ..

● ويقترح عبد الرازق . ت . من المغرب أيضاً أن توجه « الأمَّة » عناية خاصة بالقضايا الاقتصادية للأمة الإسلامية ، على أن تكون الكتابة متعمقة ومتخصصة ، وإصدار « كتاب الأمَّة » في هذا المجال ، أما بالنسبة للاستطلاعات فيرى أن تتوجه إلى دول الأقليات الإسلامية المغمورة ليتم التعريف بهم ، وبخصوص اقتراحه - مع كثير من الإخوة - الاهتمام بالأقلام الشابة من طلاب الجامعات ، فلعلَّهم يلاحظون الباب الخاص « بأقلام القراء » ، وقد تكون مسؤوليتهم الآن إثراء هذا الباب وتطويره والتوسع فيه بما يقدمونه من عطاء ..

● ويقترح الأخ عبد السلام السيد - من مصر - نشر موضوعات عن تركيا ، التي كانت دولة الخلافة ، وطمست حقائق كثيرة حولها في عهد « كمال أتاتورك » ، وعن إندونيسيا التي تعتبر من أكبر الدول الإسلامية وتتعرض دائماً لتيارات فكرية حاقدة ، صليبية وشيوعية ..

ونشير للأخ عبد السلام إلى أن هذا العدد قد تضمن استطلاعاً مصوراً عن تركيا ، يتبعه موضوعات أخرى بإذن الله .

● ويقول الأخ الشيخ منصور - من الجزائر :

[... لا أجد في « الأمَّة » - وهي بهذه المكانة المرموقة في الدعوة - مكاناً للطفل المسلم ، بينما نجد - في المقابل - أعداء الإسلام لا يدّخرون أي جهد في تربية الطفل وتنشئته وصياغته حسب ما يريدون] ..

ويقترح إصدار ملحق ثابت خاص بالطفل المسلم ، يتضمن القصة والنشيد والمعلومات بأسلوب شيِّق - ولا بأس (في رأيه) - أن تكون البداية صفحة أو صفحتين مستقلتين ..

ونحن بدورنا ندعوا الإخوة المهتمين بقضايا الطفل من المتخصصين أن يدلوا بدلوهم بمقترحات عملية في هذا المجال ، للخروج بنتائج عملية مفيدة ..

● ويضيف الأخ ب . أ . من المغرب إلى الاقتراح السابق دعوته للمتخصصين إلى إنتاج « أشرطة فيديو » لتربية الأطفال تربية إسلامية وذلك حتى نستفيد من منجزات العصر لخدمة قضايانا ..

● وترى الأخت نبيلة عزوزي (من طنجة) - في المجال نفسه - ضرورة أن يكون لدينا السينما والمسرح الإسلامي الهادفان - وأن تتبنى « الأمَّة » الدعوة إلى ذلك - « حتى لا يختنق الشباب المسلم بفعل سموم الإعلام الغربي الذي يزيدنا تبعية وانسلاخاً من عقيدتنا » .

● ويقترح الأخ إسماعيل عرفة - من الأردن - نشر معلومات عن صحابي تحت باب يعرض لحياة الرعيل الأول ، وتخصيص باب للرد على أسئلة الإخوة القراء بتوسع ، خاصة الأسئلة الفقهية ، ويرى ضرورة الاهتمام بالأخبار السياسية حتى يعرف المسلم ما يدور حوله ، ونشر معلومات عن « فطاني » وشيء عن المخططات التي تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين فيها .

● ويعرض الأخ ازواو فاتح - من الجزائر - لجملة مقترحات : زيادة عدد نسخ « الأمة » وزيادة عدد صفحاتها ، على أن تخصص الزيادة « للأسرة المسلمة » - والاهتمام بالاستطلاعات عن المسلمين في العالم - خاصة في الدول الشرقية - وإجراء لقاء شهري مع واحد من الدعاة والمفكرين البارزين - وأن يساهم هؤلاء بالكتابة في موضوعات : الاستكشافات الجغرافية وأثرها على العالم الإسلامي - وسقوط الخلافة ، والثغرات الموجودة في الكيان الإسلامي اليوم .

أصداء

● حاز السؤال : « أين الخلل ؟ » الذي طرحته « الأمة » تحت عنوان « قضية للمناقشة » على اهتمام الإخوة القراء ، فأرسلوا بآرائهم وأفكارهم التي تجيب عنه حسب تصوراتهم ، ونظراً لكثرة هذه الرسائل - بحيث لا تستوعبها فقرة « أصداء » - فسوف نفرد لها مساحة خاصة في عدد قادم - بإذن الله ، لعرضها والتعليق عليها بعد دراستها ..

● يعلق الأخ محمد سعيد الشعاري - من المغرب - على موضوع « قصور السياسة التربوية في الوطن العربي » - الذي نشر بالعدد الخمسين - فيقول :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تناول الأخ الكاتب محمد الصالح عزيز في الفقرة (ج) نظرة الرجل إلى المرأة في الوطن الإسلامي ، واستشهد بقول اثنين من الغربيين هما « فوريبه » و « برامل » وكان قبل هذه الفقرة قد تحدث عن فشل السياسة التربوية في تغيير النظام الاستعماري في التعليم ، وجاء في السياق : أن المناهج التعليمية وضعت لتعمل على « تزييف الطابع الإسلامي وعلى طمس تراث الوطن الإسلامي وتقاليده وعاداته بحيث تصبح العملية التربوية نفسها تنصيرية تمجد آثار المستعمر وثقافته » .

وأتساءل هنا : لماذا استشهد الأخ الكريم بأقوال الغربيين ولا يزال لسانه رطباً بكلمات « طمس - وتزييف - وتنصيرية » ؟؟ ولماذا أخَّر الاستشهاد بالتراث الإسلامي ولم يورده إلَّا على خجل وكأنَّه قاصر أو ناقص في هذا الباب ؟؟ أما آن الوقت لإعطاء الصدارة للنصوص الإسلامية في تفكيرنا وتحليلاتنا وأحكامنا ، والاستشهاد بها ؟ أوليس الاستشهاد بأفكار الغربيين طمساً لتراثنا الإسلامي !] .

ثم يستدرك الأخ الشعاري قائلاً : [إن هذا لا يعني عندي دعوة إلى إغلاق باب ونوافذ دارنا الثقافية دون التعامل مع الثقافات الأخرى ، ولكني أطالب الكتَّاب والعلماء المسلمين أن يضعوا النصوص الإسلامية في قمة استشهاداتهم ، لأن قيمة الفكرة من قيمة متبنيها] .

● وحول آخر ما صدر من سلسلة « كتاب الأمة » .. (نظرات في مسيرة العمل الإسلامي) لمؤلفه عمر عبيد حسنة .. ترددت جملة أصداء في رسائل الإخوة القراء ، منها رسالة الأخ حسن الزاري - الجمهورية العربية اليمنية .. يقول فيها :

[... لقد قدَّم الكتاب تشخيصاً لبعض العلل التي نلاحظ جميعاً أنها تعثر مسيرة العمل الإسلامي ، ولا سبيل إلى اجتثاثها إلَّا باعتماد أسلوب الموعظة الحسنة وفق ما يرضي الله سبحانه ، وبرغم أن الموضوع شائك ، فقد كسب الكتاب ثقة كل مخلص يتطلع إلى أن تحتل الأمة الإسلامية مكانها وتؤدي دورها .

● أما رسالة الأخ محمد عبده آدم - صومالي - يدرس في السودان ، فتقول :

[... لقد طرح الكتاب قضية هامة ، هي قضية المناصحة ، وضرورة فتح باب الحوار والنقد بين العاملين في حقل الدعوة ، وقد كادت هذه القضية أن تغيب بين الدعاة اليوم ، أو هي قد غابت فعلاً ..] .

● ويشير الأخ عبدالفتاح - من الجمهورية العربية اليمنية أيضاً - إلى أن [الكتاب قد أثار الفكر عند الشباب الواعي وظهرت بوادر طيبة تتمثل في محاولات جديدة للبحث حول القضايا التي تهم المسلمين اليوم ، وهي التي تناولها الكتاب من خلال النظر في واقع المسلمين .. وفقكم الله .] .

● أما الأخ أحمد جميل حسنين - من مصر - فقد أثار موضوع « المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان » - الذي نشر بالعدد الخمسين - القلق في نفسه .. فيقول :

[... لكنه قلق الغيرة على الإسلام من ردود الفعل التي تأتي من فلول الحاقدين ، ومن الصليبيين والشيوعيين ، الذين يعلمون من درس التاريخ أن قوة المسلمين في التزامهم بشرع الله ، وهذا ما يفزعهم فيبدؤون في التحرك وإثارة أتباعهم وعملائهم الذين يصدون عن سبيل الله ويعملون ضد تطبيق الشريعة الإسلامية بالوسائل المختلفة .. والله تعالى غالب على أمره .] .

ردود خاصة

■ **الأخ علي الحسين دابو - من غامبيا - غربي أفريقيا ..**

●● إن ما نملكه هو طرح مشكلتك لعلَّها تجد من يتقدم لحلّها ..

(الأخ دابو - يدرس العربية والعلوم الإسلامية ، ووصل إلى المستوى المتاح في بلده ، ويرغب في استكمال دراسته حتى يستطيع أن يخدم الإسلام والمسلمين هناك . ويطلب منحة دراسية من أي بلد في العالم العربي والإسلامي .. وعنوانه :

ALI AL HOSSEIN DABOUE

TALINDIN ARABIC SCHOOL

GAMBIA W.A

■ **الأخت وصال نور الدين ، والأخ لصروحي توفيق - من المغرب ..**

●● عنوان الدكتور نجيب الكيلاني :

ص ب ٤٣٠٩ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة .

وعنوان الدكتور عماد الدين خليل :

العراق - الموصل

المتحف الحضاري

■ **الأخ عمرو محمد - المغرب ..**

●● عنوان الدكتور محمود حمدي زقزوق :

جامعة الأزهر - كلية أصول الدين

الدرَّاسة - القاهرة - مصر .

■ **الأخ نجيب العش - تونس ..**

●● نشكر لك تعاونك ومداومة الكتابة إلينا ، وقد تم نشر فقرة من المقال الذي أرسلته ، - والذي سبق نشره في مجلة « العلم والحياة » الفرنسية - ضمن باب : « **بطاقة من قارىء** » في هذا العدد ، وذلك وفق نظام العمل الذي يقضي بمتابعة ودراسة جميع المواد التي تصلنا ..

■ **الأخ عمر الجميني - تونس ..**

●● نرحب بمساهمتك باللوحات الخطية .. ونشكر لك اهتمامك .

■ **الأخ أحمد محمد أحمد - أسيوط - مصر ..**

●● كتاب رجاء جارودي « ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية » مطروح للعرض ضمن باب « **كتاب في مقال** » على صفحات « **الأمة** » ، وسوف يراعى في العرض التعليق والرد على ملاحظاتك .

■ **الأخ محمد محمد العواد - دمياط - مصر ..**

●● باب « **بأقلام القراء** » يختص بنشر القضايا والأفكار والآراء التي يحررها الإخوة القراء بأقلامهم لا بالنصوص التي يستخرجونها من مصادرها .

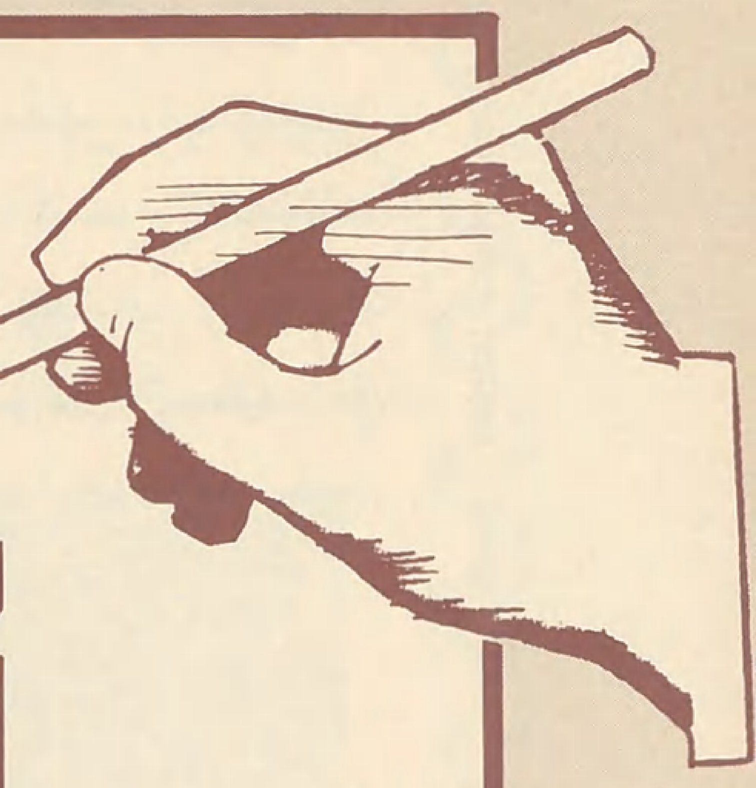

باقلام القراء

هل هو ميلاد جديد ؟

الأخت ر . ع . من الدوحة ـ دولة قطر ـ أرسلت إلينا هذه القصة القصيرة .

■■ انتهيت من تحضير مائدة الطعام التي ستجمعني وزوجي .. وتوجهت إلى غرفتي لأجهز نفسي حسب توجيه والدتي بأن أتفقد مواضع عين زوجي وأنفه .. وإذا بجرس الهاتف يرن ليحمل إليَّ صوت ابنة أختي « أريج » باكية .. لتخبرني بألم نزل بوالدتها فجأة .. عرفت أنه المخاض .. فحاولت أن أهدىء روع الطفلة ، في حين أن ثورة من القلق تفجرت داخل نفسي ؛ خاصة وأن زوجي متغيب لعدة أيَّام .. وددت لو أنني أملك البساط السحري .. يحملني إلى أختي لأطمئن عليها ولكن رحمة الله كانت أكبر .. فقد عاد زوجي اليوم مبكراً من عمله ، وما إن أخبرته حتى أخذني إلى أختي ومن ثم توجهنا كلنا إلى المستشفى .. أخذت أجوب الممر أمام الغرفة ذهاباً وإياباً مبتهلة إلى الله أن يمدها بالقوة ، وعبثاً كنت أحاول تحويل نظري عن باب غرفة الولادة .. لقد جاء الفرج .. فقد خرجت الطبيبة ولكن .. ولكنني لم أسمع صرخة الميلاد .. فقد جاءت لتطمئنني عن أختي التي نامت إثر حقنة أخذتها ، وأنها تحتاج إلى بعض الوقت .

ذهبت إلى غرفة الانتظار لأجلس ، وبينما أنا كذلك إذا بفتاة في عمر الزهور .. عيناها لا توحيان بعمر أكثر من السادسة عشرة تسقط أمامي فاقدة الوعي و « بطنها لحلقها كما يقولون » لم أستطع مساعدتها ، فما وجدت نفسي إلَّا وأنا أركض في ممرات المستشفى أبحث عن ممرضة .. فجاءت إحداهن وهي لا تتمالك نفسها من الغضب ورفعناها معاً إلى الفراش .. تضايقت منها وحاولت أن أؤنِّبها وأفهمها أن هذا من صميم عملها ولكنها أجابتني قائلة :

ـ هذه هي المرة المائة التي أعيدها إلى الفراش ، وكل مرة أفهمها أن الحركة ضارة بها فهذا هو الحمل الأول بالنسبة لها .. إنني لم أشاهد أحداً من أهلها وعلمت أنها غريبة في هذا البلد ، فعدت إليها مهدِّئة ..

ـ لا تخافي .. أنا معك .. إنه المخاض وإن شاء الله يأتيك الفرج من خلف هذا الانقباض وتُرزقين بالولد الصالح الذي ينفعك وينفع أُمَّته ..

عند ذلك أخذت الدموع تنهمر من عينيها وهي تبتهل إلى الله من صميم أعماقها أن تموت وولدها ..

ـ لا قدَّر الله .. لماذا هذا التشاؤم ..

ـ [لأن واحداً مثل ابني لا يمكن أن ينفع الأمة الإسلامية ..!.. سأروي لك قصتي لتقدري موقفي .. لقد كنت واحدة من بين ثماني بنات رُزِقهُن أب يسعى كادحاً طوال النهار لجلب قوته وقوت عائلته .. وأم مدبرة صابرة على ما كتبه الله عليها بعد أن حرمها من نعمة الولد الذي انتظرته سنين طويلة .. مرت الأعوام .. وكبرت الفتيات ، وعرفت الفرحة الحقيقية طريقها إلى قلب الأم عندما طرق بابها أول « عريس » لابنتها الكبرى ، وكان دينه يؤهله للموافقة عليه ، وفعلاً بدأت استعدادات ليلة عقد القران التي استغرقت عدة أيَّام من العمل المتواصل : من تنظيف المنزل وإعداد أثاثه المتواضع .. وإخراج بعض الأواني للنور لأول مرة .. والزينة .. والأنوار التي تناثرت هنا وهناك .. وقبل كل ذلك السهر على ماكينة الخياطة لتحضير ثوب العروس الذي أُحضر قماشه من الديار المقدسة منذ عامين .. وبينما نحن منهمكات في ذلك إذا بجرس الباب يرن .. خرجت والدتي من فرحتها سافرة حتى وصلت إلى الباب ، فاستعاذت بالله من الشيطان وعادت لتتدثر قبل فتحها الباب للعريس وأهله] ..

[عند ذلك أخذت تصرخ من ألم المخاض وألم الذكريات ، ودون أن أشعر إذا بالدموع تنهمر من عيني ..] .

ـ لا حول ولا قوة إلَّا بالله .. اصبري يا أختاه .. ولكن دون جدوىٰ فقد أخذت تتابع الكلام :

... وفتح الباب .. وإذا بالطاعون الأسود يجتاح بيتنا .. لقد كانوا اليهود ، وعندما حاول والدي إخراجهم استلمه اثنان وثبتاه إلى الحائط وأخذا يمثلان بأمي وإخوتي وأنا .. ـ آه .. ـ وأنا أمامه ، وعندما أخذ يصرخ لانتهاك عرضه محاولاً الدفاع ، إذا بأحدهم يستكثر عليه رؤية عرضه وهو يداس فيطفىء لفافة السم متَّقدة في عينيه .. أجل في عيني والدي .. هل رأيت وحشية أكبر من هذه ؟.. أما الكلب الآخر الذي لم يجد لعبة تسليه ، فقد أخذ يقطع أوصال أختي الرضيعة .. بعد ذلك لم أدر بنفسي إلَّا وقد صحوت وأنا أسبح في بحر من دماء أهلي والذباب يأكل أجسادهم .. تمنيت لو منَّ الله عليَّ بالموت معهم .. لم أحتمل المنظر أكثر من هذا ، فأسرعت خارج المنزل .. أسير في منتصف الطريق لعلَّ سيارة تقضي عليَّ .. أو رصاصة طائشة تنفذ إلى أعماقي .. ولكن الله كان يكتب لي النجاة في كل مرة .. أخذت أسير على غير هدى .. أبحث عن الموت .. أبتهل إلى الله أن يرسله لي ، ولكن دون جدوىٰ حتى وصلت من لبنان إلى هنا .. كنت كلما شممت رائحة الموت يرسل الله لي منجداً ، وقد كان آخر واحد ذلك الشخص الذي نقلني إلى هنا عندما وجدني قرب المحطَّة .. ولكن هل ابن اليهودي يستحق هذه اللمسة من الشهامة ؟] ..

استشعرت داخل نفسي مأساة هذه المرأة .. ابتهلت إلى الله أن يفرِّج الكرب .. ويوقظ أمتي لتنقذ عرضها .. التفتَ إليها وإذا بها قد أسلمت روحها لبارئها بعد أن حكت قصتها طالبة الثأر ..

عند ذلك دخلت الممرضة متهللة تحمل إليَّ الطفل الذي أنجبته أختي .. ولكن هل ميلاد هذا الطفل سيكون ميلاداً جديداً لأمَّتي بعد أن تنتهي جرعة السم التي دست لها ولشبابها .. وتنهض لتثأر لدينها وكرامتها ..

إن آهات المسلمات تنبعث من الأرجاء تنادي : وإسلاماه ، وإسلاماه .

يتناول الأخ بهاء لطفي عبد المجيد قابيل ـ من مصر ـ قضية الحرية ، من خلال هذا السؤال :

لمــــاذا تخلَّفنـــا ؟!

يدَّعي بعضهم أن الإسلام يعطي حقوقاً إلهية للبشر ويؤيد فرض الرأي الواحد ، ونقول إن الإسلام قد شرع من الحرية للإنسان ما لم يوفره له أي قانون أرضي ، ويكفي أنه في شأن العقيدة والإيمان يكون الإنسان مختاراً بملء حريته وإرادته ، وأن الإكراه غير مقبول وغير مثاب عليه ، وأن الإنسان عليه أن يقبل على الله بحب حقيقي ، وبقلب راغب في الإيمان وبنفس راضية تماماً عما تفعل .. وإذا كان الله تبارك وتعالى قد وضع هذا الأساس في شأن العقيدة ، فكيف يسلبه من باقي أمور الحياة ..

الحقيقة أن الأمة الإسلامية منذ وُجدت لم تكن تعرف إلَّا حرية الرأي ، فلم يكن هناك رأي يحجر عليه ، ولكن كان هناك رأي يناقش ويرد عليه ، والإسلام إنما انتشر بالحجة والدعوة والقدوة الحسنة ، لا بالسيف والقهر ، بل إن الإسلام لم يشهر السيف إلَّا دفاعاً عن حرية الرأي عندما منع أئمةُ الكفر دعاةَ الإسلام من أن يعرضوا الإسلام على البشرية ، وهذا هو المطلب الإسلامي الوحيد ، وبعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

ولو أن الإسلام انتشر بالقهر كما يدَّعون لما وُجدت جاليات غير إسلامية كانت تعيش في كنف الدولة الإسلامية وبين المسلمين ، حيث يتمتع اليهود والنصارى بحرية العبادة ..

إن الحوار في الإسلام ـ في كل شؤون دولة المسلمين ـ مباح ، وكان يتم علناً وفي المسجد ، حتى إن عمر بن الخطاب حوسب على أمتار من القماش اعتقد بعضهم أنها زيادة اختصها لنفسه ..

بل إن رسول الله ﷺ كان يناقش أصحابه في أمور دنياهم ، وكان يأخذ برأيهم ، كما حدث في غزوة بدر ، عندما رأى أن تكون مصادر الماء أمام جنود الأعداء ، ورأوا هم أن تكون خلفهم حتى يشربوا ويحرموا أعداء الله منها ..

ولم نسمع ـ في صدر الإسلام ـ أن إنساناً عوقب لأنه قال رأياً مخالفاً في أمر من أمور الدنيا ، بل كان الرأي وكانت المشورة هما المناخ الذي عاشت فيه الدولة الإسلامية ، تحمي حق الضعيف والمظلوم ، ولا تبالي بمن يقتص منهم ..

إن مبادىء الحرية ، التي تقيم الحضارات موجودة في صميم عقيدتنا ، ولكننا أهملناها ولم نطبقها ، فتخلفنا ، وطبق بعضها غيرنا على أساس غير ديني ، لأنهم وجدوا أن صلاح المجتمع لا يتم إلَّا بها ، فأعطتهم فرصة التقدم ، ولو أننا أقمناها بمفهوم إيماني لأعطتنا أكثر ، لأنها في هذه الحالة تحمل معنى طاعة الله وبركته تعالى وتوفيقه ..

فلننظر في أنفسنا ، ولنتوجه إلى ربنا ، قبل أن نتهم ونفتري ونقول الكذب بينما نحن لا نعلم شيئاً .

[بشــــرى الضَّــائعين]

ونظم الدكتور منذر عياشي ـ من فرنسا ـ هذه الأبيات :

الأرْض مَلْهاةُ الصِّغارِ وَمَوْقِدٌ ... يَكوي قُلوبَ المُؤْمنين لظاهُ
وَعلى طَريقِ اللَّهِ أرْسُمُ عالمي ... مَهْما طَغتْ مِنْ حَوْلِهِ بَلْواهُ
النُّور في النَّجماتِ بَسْمَةُ حُزْنِهِ ... وَالعِطْرُ في الأزْهارِ فوح أساهُ
والآهُ في النَّسَماتِ أنَّةُ بُؤْسِهِ ... وَهَدِيلُ وُرْقِ الدَّوْحِ بَعْضُ شَجاهُ

****

قَلْبي وَحِسِّي ، وَاحْتِراقُ مَشاعِري ... صَوتٌ مِنَ الإنْسانِ ثارَ أساهُ
إنِّي جَريحُ الذَّاتِ ، مَفْقودُ الرُّؤى ... والكونُ مِنْ حَوْلي يَضيقُ مَداهُ
لا نَجْمَ في لَيْلي أسيرُ بِهَدْيِهِ ... نحو الحياةِ ، ولا طريق أراهُ
فـالدِّين مَصْفودٌ بِقَيْدِ عَدُوِّهِ ... وَالبَغْيُ ، مَسْعوراً ، يَدُكُّ حماهُ

****

وَمَواكِبُ الإيمانِ حَطَّتْ رَحْلَها ... وَخبا ضِياءُ الحَقِّ ، يا رَبَّاهُ
فَتَمَزَّقي قيثـارتي لحنـاً وَآوْ ... تـاراً وَرُدِّي لِلـغِنـاءِ خَناهُ
إنِّي لأشْفِقُ لِلْـوجُـودِ يَضُمُّني ... في دَوْحِهِ وَيَموجُ فيَّ شَذاهُ
ما قيمتي ؟ الظُّلْمُ حَطَّمَ قيمتي ... هَمٌّ أنا ، والحُزْنُ رَجْعُ صَداهُ

****

ما قيمتي ؟ ما قيمة الإنْسانِ إنْ ... عاشَ الحَياةَ وفي الشَّقا مَحْياهُ
مَسْحوقَةٌ آمالُهُ ، مَقْهورَةٌ ... أفكارُهُ ، مَسْجونَةٌ رُؤْياهُ !!
هذي البَيارِقُ من مبادىء عالَمي ... ناقوسُ رُعبٍ زَغْرَدَتْ شَفتاهُ
فإذا الأناسي سَقْطُ أوْراقِ الخريـ ... ـفِ وَحاصِدُ الأحياءِ طاب جَناهُ

****

أنا مِن فَراغِ الفِكْرِ في دَوَّامَةٍ ... عَصْري هُوَ الجاني فَلَنْ أرْضاهُ
سَأعيشُ في ظِلِّ اليَقينِ عَقيدتي ... سَأصُوغُ لِلإنْسانِ فيَّ مُناهُ
قَلْبي يَحِنُّ إلى السَّماءِ وَشَوْقُهُ ... لِلَهِ .. يُذْكي في الضَّميرِ سَناهُ
أنا مُؤْمِنٌ ، أنا مُسْلِمٌ ، أنا عابِدٌ ... وَاللَّهُ يَهْدي مَنْ يَرومُ رِضاهُ

****

فَسَلِ النُّجومَ وَهُنَّ مِنْ آياتِهِ ... وَسَلِ الجِبالَ تَموجُ مِنْ تَقْواهُ
واسْمَعْ إلى صَوْتِ الرِّياحِ تَصيحُ في ... مَلَكُوتِهِ أنْ لا إلهَ سِواهُ
النُّورُ في روحي ، وفي سمعي ، وفي ... بَصَري ، وَبُشْرى الضَّائِعينَ هُداهُ

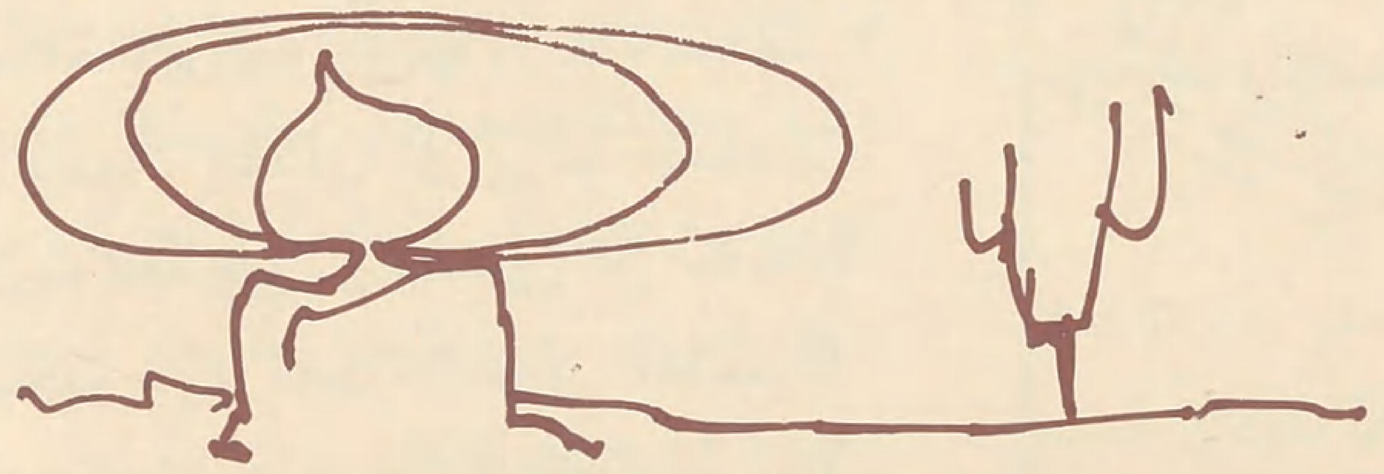

المجاعـــــة

■■ كان من الطبيعي أن تتصدر المجاعة في أفريقيا قائمة اهتمامات وسائل الإعلام العربية والعالمية ، وأن تستحوذ على اهتمام الرأي العام في العالم ، وقد تناولت وسائل الإعلام هذه القضية من أكثر من زاوية ، خاصة من حيث الأسباب والحلول .

صحيفة « الأوبزرفر » البريطانية عزت المشكلة إلى تحول المزارعين الأفارقة من إنتاج الغذاء الذي يلزمهم إلى إنتاج المحاصيل التي تحتاج إليها الحكومات للتصدير ، ومن ثم الحصول على العملة الصعبة اللازمة لتمويل نشاطات الدولة واحتياجات سكان المدن . وكانت الحكومات الاستعمارية قد شجعت هذه الاتجاه ، وسارت حكومات ما بعد الاستقلال على المنوال نفسه ، مضيفة إليه الفساد وعدم الفعالية في الإدارة . وقد أصبحت الحكومات أسرى هذا الاتجاه ، وهي تخشى من الانهيار إذا تحوّلت عنه .

وفي ختام مقالها دعت الصحيفة إلى مساعدة المزارعين الأفارقة على مقاومة الجفاف ، والوقوف على أرجلهم ، وتشجيعهم على إنتاج الطعام اللازم لهم ، إضافة إلى مساعدتهم تكنولوجياً عن طريق الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الزراعة عموماً .

أما مجلة « ساوث » التي أفردت ملفاً خاصاً في عددها الأخير (ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٤م) عن المجاعة ، فكانت قد نبهت منذ « مارس » [آذار] الماضي إلى الكارثة . تحدثت « ساوث » عن أسباب المجاعة الأفريقية وعَزَتها إلى عدة أسباب ، من بينها : التحول إلى زراعة المحاصيل اللازمة للتصدير ، والحصول على العملات الصعبة ، ولما كانت الأسواق العالمية قد مرت بفترة من الركود الاقتصادي ، فقد انخفضت عائدات تلك الدول من صادراتها الزراعية ، وفي المقابل زادت أسعار الوقود والأسمدة والمبيدات اللازمة للزراعة . وقد ادى انخفاض العائدات إلى تقليص الخدمات والدعم الذي تقدمه الدول للمزارعين . هذا إضافة إلى ما تعانيه معظم الدول الأفريقية من اضطرابات سياسية ومنازعات داخلية ، حتى إن معظم تلك الدول لم تعد تسيطر على بعض مناطقها .

ولكن الأهم من ذلك ـ كما تقول المجلة ـ أن عدد المزارعين قلّ ، نتيجة للاتجاه نحو العمل بالأجر ، وكذلك قلت مساحة الأرض المستغلة في الزراعة ؛ لقد أصبح هناك نقص في القوة البشرية العاملة في الزراعة .

ومن جهة أخرى فإن تخلف الوسائل والأساليب المستخدمة في الزراعة سبب آخر من أسباب ضعف الإنتاج ، إذ لا يزال الاعتماد على الحيوانات والمحراث اليدوي ، هو السائد في الزراعة . وقلما يتم انتقاء البذور أو إجراء التجارب الحديثة ، أو اتخاذ إجراءات الحماية والوقاية .

أما في عدد « ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٤م » فقد أشارت « ساوث » إلى أن من أسباب المجاعة : تَقَدُّم الاعتبارات السياسية على الاعتبارات الإنسانية لدى الدول الكبرى ، وهذا ما يفسر عدم اهتمام تلك الدول بالمجاعة الأفريقية ، رغم أنه كان لديها توقعات عنها منذ فترة طويلة ،

ويقصد بالاعتبارات السياسية أن الشرق والغرب ينظر إلى أفريقيا ، ومنطقة القرن الأفريقي بالذات ، كساحة للتنافس العالمي ، وقد استغربت « ساوث » كيف أن الاتحاد السوفييتي لم يقدم إلَّا القليل من العون ، رغم أنه كان « كريماً » في مساعاته العسكرية من قبل .

هذا وأشارت « ساوث » إلى أن المجاعة ستستمر في السنة القادمة وأن هناك أربعين بلداً ـ غير إثيوبيا ـ مهددة بها ، منها : ثلاثون دولة أفريقية . ومن الدول التي تهددها المجاعة خارج أفريقيا ، بنغلاديش . ولذلك دعت المجلة إلى استراتيجية طويلة الأمد لمكافحة المجاعة إضافة إلى المساعدات العاجلة .

على صعيد آخر حَمَّلَت « ساوث » الولايات المتحدة والدول الغربية الصناعية مسؤولية كبيرة بسبب ضغوطها على البنك الدولي ليخفض مساعداته للدول النامية ، حيث يتوقع أن يكون هذا التخفيض بمقدار ٢٠٪ .

وقد اتفقت « الاتحاد » الظبيانية في عددها الصادر في ٢٤ نوفمبر [تشرين الثاني] الماضي ، مع « ساوث » في ذلك ، وبعد أن استعرضت الحروب التي شنتها الولايات المتحدة ، سواء الساخنة منها أو الباردة ، والتي غطت مساحة الكرة الأرضية ، وأنهكت فيها نفسها والعالم معها ، أشارت إلى امتناع إدارة ريغان ، والدول الصناعية من تقديم أية معونات ، باستثناء العسكرية منها ، وأخضعت صندوق النقد والبنك ـ الدوليين ـ لهيمنتها المباشرة ، فنجحت بذلك في توسيع الهوة بين الأغنياء والفقراء ، وتجويع هؤلاء حتى الموت .

هذا وقد حَمَّلَتْ صُحُفٌ اخرى السياسات الحكومية الأفريقية جزءاً كبيراً من المسؤولية . وأشارت تلك الصحف إلى تبذير تلك الحكومات وفسادها واهتمامها بالحروب أكثر من اهتمامها بالزراعة .

مع الصحافة في العالم

مجلة « الوطن العربي » في عددها رقم (٤٠٧) ، أشارت إلى أن في ترسانة نظام « منجستو » (٢١) فرقة مسلحةٍ ومائة طائرة مقاتلة . وما من جرَّار زراعي واحد . وتكاليف الاحتفالات بإنشاء حزبه الشيوعي بلغت مائة مليون دولار ، بينما يموت مائة أثيوبي كل يوم ، ويجوع سبعة ملايين آخرون .

أما مجلة « ساوث » فقد أشارت إلى انخفاض الإنتاج الزراعي في إثيوبيا بعد تطبيق تجربة المزارع الجماعية . لقد انخفض الإنتاج من ٥٪ عام ١٩٧٩م إلى ٢٪ . وقد زاد الطين بلة الضريبة التي فرضها النظام على المزارعين عام ١٩٨٣م لتمويل حربه في « أوغادين » ، حتى إن بعض المزارعين اضطروا لهجر أراضيهم .

والمعروف أن النظام الماركسي في إثيوبيا يشن حرباً ضروساً ضد أريتريا ، وقد ساعد ذلك على تفاقم المجاعة ، وعرقلة وصول المساعدات إلى هذا الإقليم ، بل إن الجيش الأثيوبي نفسه عرقل وصول المساعدات بشنه الهجمات على الإقليم ، وقد أكَّد مراسلان لصحيفة « التايمز » اللندنية ، استخدام النظام الأثيوبي للطائرات المقاتلة والقنابل العنقودية والنابالم ضد السكان المدنيين في الإقليم . وقد شاهد المراسلان ذلك في مدينة « مولكي » التي يسيطر عليها ثوار أريتريا ، وقد استمرت الغارات ثمانية أيام متواصلة . وقد جاءت الغارات إثر فشل قافلة عسكرية أثيوبية في شق طريقها عبر الجبال بين « مولكي » و « أسمرة » ، بسبب هجمات الثوار .

هذا وقد أكَّد مسؤولون في منظمة الإغاثة المعروفة باسم « الحرب على الحاجة War on want » تلك الغارات ، في مقابلة مع « الغارديان » البريطانية . وقد أكَّد هؤلاء مشاهدتهم بأنفسهم مقتل طفلين في بلدة « أورونا » الأريترية ، إثر غارات شنتها طائرات الميج الأثيوبية . كما أكدوا الغارة على سوق « مولكي » ، وأكد هؤلاء أن مليوني أريتري يشكلون ثلثي سكان الإقليم بحاجة للطعام . ولكن ما يصل من مساعدات عبر السودان لا يسد أكثر من ١٠٪ من حاجة الإقليم ، وأكد المسؤولون الأنباء التي أفادت أن المساعدات المتجهة إلى أريتريا تباع لتجار يعيدون بيعها للسكان .

■ هل يجد الماء فعلاً في عالم تتغلب فيه الاعتبارات السياسية على الدوافع الإنسانية ■

وأكدت « ساوث » في عدد « ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٤م » أن منظمات الإغاثة الأمريكية تتجنب إرسال المعونات إلى أريتريا . وتدعي تلك المنظمات أن السبب يعود إلى الخطر الذي يواجه إرسال المساعدات إلى أريتريا بسبب الحرب هناك ، ولكن المجلة تكذب ذلك الادعاء ، وتقول : إن السبب الحقيقي هو وجود استثمارات أمريكية في أثيوبيا الماركسية ، وأن الولايات المتحدة لا تريد المغامرة بتلك الاستثمارات ، ولذلك فإن الولايات المتحدة رفضت على الإطلاق إرسال أية مساعدات للإقليم ، رغم أن نصف عدد من يتهددهم الجوع في إثيوبيا هم أريتريون .

وتقول المجلة : رغم أنه ثبت أن الحكومة الأثيوبية تسيء استخدام المعونات ، وتحول نصيباً كبيراً منها للقوات المسلحة بدل الجائعين ، إلَّا أن ذلك لم يقف حجر عثرة أمام تدفق المساعدات الغربية عليها .

وقد ربطت « ساوث » بين هذا الإهمال لأريتريا وبين السياسة الأمريكية في العالم ككل ، التي تغلِّب الاعتبارات السياسية على الإنسانية .

وتحت عنوان « التوظيف السياسي للجوع » ، كتبت « العرب » القطرية ، في ٢٦ نوفمبر [تشرين الثاني] الماضي ، حول استغلال الغرب للمجاعة الأفريقية لخدمة أهداف السياسة حيث « أمسك الإعلام الغربي بناصية المبادرة ونزل إلى المخيمات وتكلم مع الناس وسمع آلامهم ... وصوَّر مساعدات الغرب للمنكوبين » ... ثم قال : « إن العالم الغربي تحرك ولم يتحرك الشرق » . وعلقت « العرب » على ذلك قائلة : « نحن نعرف أن الشرق والغرب معاً ضالعان في مؤامرات كبيرة هي أشد شراسة من الجفاف ، إذا فتحنا ملفات صنائعهم ... وإلَّا لماذا لم يطرحوا مسالة احتياج افريقيا للمحراث أكثر من حاجتها للقذائف التي يقدمونها دون كلل أو ملل » .

أما مجلة « المجتمع » الكويتية ، فقد دعت في عددها رقم (٦٩١) المسلمين إلى تطويق المجاعة عن طريق الزكاة والصدقات ، كما دعت إلى استثمار أموال المسلمين في أفريقيا والبلاد الإسلامية بشكل عام . وذلك في اعتقادها أفضل من الاستثمار في الغرب ، من ناحية اقتصادية من جهة ، وهو وسيلة للنهوض باقتصاد الدول الإسلامية الفقيرة ، وخاصة في افريقيا من جهة أخرى ، وتجنيبها بالتالي أخطار الجوع والحرمان ■■

مسابقة الأمّة

الجوائز

• **الفائز الأول**
خمسمائة ريَال قطَري

• **الفائز الثاني**
ثلاثمائة ريَال قطري

• **الفائز الثالث**
مائتا ريَال قطَري

• **الفائز الرابع حتى العاشر**
اشتراك مجاني بالمجلة
لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمّة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

حل مسابقة العدد ٥٠

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ أَسْفاراً : كتباً .
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
(الجمعة : ٥)

○ مُسْفِرَةٌ : مُضيئة .
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾
(عبس : ٣٨)

○ طُمِسَتْ : أذهب ضوؤها .
﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾
(المرسلات : ٨)

○ يُغَاثُ : يمطر .
﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾
(يوسف : ٤٩)

○ فَالِقُ : شاق .
﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾
(الأنعام : ٩٥)

٢ ـ خرج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى « كَلْب » يدعوها للإسلام .

٣ ـ الصحابي الجليل أَوْسِ بن الصَّامت رضي الله عنه .

٤ ـ شاعر الإسلام محمد إقبال ، رحمه الله .

٥ ـ [المؤلف] : عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي .
[الكتاب] : أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

٦ ـ البصـرة .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٠

الفائز الأول :
● قاسم حسين عبد الرحيم (السودان)

الفائز الثاني :
● عبد الغني الأعظمي (الهنـد)

الفائز الثالث :
● رؤوف رابح (تونس)

الفائز الرابع :
● محمد عبد الله منصـور (البحرين)

الفائز الخامس :
● هبة رشدي عبد الغني (قطـر)

الفائز السادس :
● هشام شريف همدر (لبنان)

الفائز السابع :
● محمد عبد الله الخليدي (اليمـن)

الفائز الثامن :
● باشن نصر الدين بلقاسم (الجزائر)

الفائز التاسع :
● محمد فال بن المصطفى برايد (السعودية)

الفائز العاشر :
● آدم شيخ محمد خليفة (كينيا)

مسابقة العدد ٥٢ السنة الخامسة

١ - قامـــوس المســـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمـــام كل كلمة ؟

.. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيـة التي وردت فيها :

● المُقَنْطَرة :	هي القنطار	المحتوية على ثلاثة أطنان	المكملة
● شُـح :	بخل	زيادة	ضعف
● شَطْـأه :	شاطئه	جانبه	فراخه
● خَصَاصَة :	حاجة وفقر	خصوصية	رغبة
● مَوْضُونَـة :	مصفوفة	منسوجة بعضها على بعض	مقلوبة

٢ - مـــن هـــو ؟ :

● حرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال : إني لا أشرب شيئاً يُذْهِبُ عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أُنْكِحَ كريمتي من لا أريد .

● أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم .

● هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين .

● أراد الترهب والتبتل ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « يا ... ... إن الله لم يبعثني بالرهبانية ، مرة أو مرتين ، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة ... » .

● مات بالمدينة المنورة ، وكان أول من دُفن من المسلمين في البقيع . رضي الله عنه .

٣ - في خلافة الفاروق رضي الله عنه حدث طَاعون في الناس مات فيه جلَّة من الصحابة منهم : أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومنهم من قال في حقه الرسول ﷺ : « الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله » .

فمـن همـا ؟ وما اسم الطاعون ، وفي أي عام كان ذلك ؟

٤ - مـــن القـــائل ؟ :

كـانـوا بـأوطـانهم كـالنَّـاس وانتبهـوا ... فمـا هـم مـن وجـود النـاس إن ذكـروا

مشـرَّدون بـلا تيـه ! فلـو طلبـوا ... تجـدَّد التِّيـه فـي الآفـاق مـا قـدروا

يلقـى الشَّـريـد فجـاج الأرض واسـعـة ... لكنـهـم بمـدى أنفـاسـهـم حشـروا

فـي خيمـة مـن نسيـج الـوهـم لفَّقهـا ... ضميـر بـاغٍ عـلـى الإسـلام يـأتمـر

٥ - مؤلـــف وكتـــاب :

[المؤلـــف] :

● رحالة عاش في أوائل القرن العاشر الهجري .

● اشتهر بتسجيل معلوماته عن المناطق التي يسافر إليها بدقة مدهشة .

● عـرف باسم (ليون الأفريقي) .

● له قصة مع البابا (ليون العاشر) حين أُسِرَ في بحر الطليان واستطاع بعد ذلك أن يؤلف كتابه الهام عن أفريقيا .

[الكتـــاب] :

● يشتمل على معلومات ثمينة عن دول أفريقيا الغربية .

● صدر باللغة الفرنسية في جزأين عام (١٩٥٦م) .

● ترجم إلى اللغة العربية ـ الجزء الأول عام (١٩٨٠م) في المغرب ، والثاني عام (١٩٨٣م) في بيروت .

● يتناول وصفه للبلاد التي زارها : التاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد .

● يحدِّد المدن والمواقع مع وصف دقيق لها .

● يتكوَّن اسم الكتاب من كلمتين .

٦ - توجد على سطح اللسان العلوي براعم التذوق في الإنسان ، وهي في طرف اللسان وجانبيه ومؤخرته ، كما توجد في أماكن أخرى من الفم ، لكنها تختلف في حساسيتها في كل من الطفل والشاب والعجوز .. فأيهم يملك براعم أشد حساسية في التذوق من الآخر ؟ ولماذا ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

□ المنهج العصري في سلفية الإمام عبد الحميد بن باديس
الدكتور أحمد سيد محمد

□ مظاهر التخلف الحضاري في الوطن الإسلامي
محمد الصالح عزيز

□ حول الالتزام الأدبي في منظوره الماركسي
الدكتور عماد الدين خليل

□ التحديات المستقبلية للفكر التربوي الإسلامي
الدكتور سعيد إسماعيل علي

□ مفهوم السلفية ، مراجعة وتقويم
الدكتور محسن عبد الحميد

□ أصحاب الامتيازات في الاتحاد السوفييتي

□ أين الخلل (قضية للمناقشة)
الدكتور عباس محجوب

□ جولة في المكتبة السليمانية باستانبول
الكتاب الإسلامي دليل نهضة وشاهد إدانة
استطلاع مصور

□ مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع والدور المطلوب
في حوار مع الدكتور عبد الله عمر ناصيف

خواطر وأفكار

هجرة الأدمغة العربية

□□ كثيراً ما نسمع ، أو نقرأ عبارة شاعت في كل الأوساط ... وهي « هجرة الأدمغة العربية » وفي هذه الخاطرة سنتعرض للموضوع من خلال معنى الهجرة ؛ ذلك أن كثيراً من العبارات قد شاعت ، وكثر استخدامها لدلالات مغلوطة ، وقائمة على أسس من الباطل والغموض والتورية ، وهذه العبارة هي من قبيل ذلك ، ولكننا قبل الشروع في عرض الموضوع نتساءل :

أرأيتم رجلاً (أو امرأة) ذا « دماغ » هاجر من بلده ابتداء فلم يعد ؟ الجواب : لا ، دون شك ، إلا أن يكون ليس ذا « دماغ » كان يكون هاجر للتكسب وطلباً للرزق ، والغالب أن يعود أو أن يكون هاجر هرباً من بغي وعدوان ... والغالب في هؤلاء أن يحافظوا على انتمائهم لمجتمعهم بحفظ لغتهم وعاداتهم من خلال تجمعاتهم التي يحرصون عليها ، على العكس من ذوي « الأدمغة » الذين يهاجرون حيث يتنكرون لأمتهم ولغتهم وثقافتهم ، وينسلخون عن أرومتهم وتراثهم انسلاخاً مشيناً .

وقد لا يكون مثيراً للدهشة أن تعلم أن كثيراً من ذوي « الأدمغة » وغيرهم من غير ذوي « الأدمغة » يهجرون بلدانهم وهم فيها قابعون ، ويتنكرون لأمتهم وهم في أحضانها آمنون ، وفي خيراتها راتعون ... فالهجرة والغربة ليس شرطاً فيهما أن تكونا إلى بلد غير البلد ، وهذا يذكرنا بقول النبي ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ قَوْماً فَهُوَ مِنْهُمْ » أو « حُشِرَ مَعَهُمْ » وما أحبنا بأولئك الذين هم « قومنا » على لهجة عرب جنوب الحجاز في قولهم : من قومك ؟ أي من خصمك ؟

المعنى والصفـــــة ...

والآن نعود للمعنى والصفة ، معنى الهجرة .. فالهجرة ، كما أسلفنا أنواع من حيث الدافع إليها ، ومن حيث نوعها حيث قد تتم نفسياً دون مفارقة البلد ، وأولئك الذين يهاجرون من ذوي « الأدمغة » يختلفون عن المهاجرين الآخرين ، وذلك أنهم لا يهاجرون للاستقرار النهائي ، إلا بعد أن يكونوا قد غادروا بلدانهم من قبل عدة أعوام ... للدراسة غالباً ، وللتخصص في موضوع « نادر » ليعودوا إلى بلدانهم (هذا قبل أن يقعوا في المحظور والمحذور) بشهادة عالية ليتبوؤوا مناصب رفيعة ... تمكنهم من مغانم كثيرة ، وفي هذه الأعوام التي غالباً ما تطول بسبب الرسوب المتكرر لبلاهة أو لرغبة ... يتم غسل أدمغتهم مما كان فيها من « أفكار» بالتدرج والبهارج الخادعة ... وتحشى بدلاً من تلك الأفكار بأفكار غريبة تحدث خللاً في الشخصية وتعرضها لانفصام نفسي وصراع ينتهي باستسلام مسف ومؤسف .... ذلك لو كانت هناك مقاومة ... والغالب أن لايكون ثمة شيء من ذلك قط ، وكثير من ذوي « الأدمغة » هؤلاء قد يقرر عدم العودة في السنة الأخيرة من دراسته ... وبعضهم يعود « لوطنه » الذي خسر في سبيل تعليمه ما خسر ليجد ذلك الوطن « متخلفاً » لا يؤمن له وظيفة تتناسب مع مؤهله إلا الأندر من بيض النوق ... فيسرع عائداً (مهاجراً في اصطلاحنا الخاطىء) إلى ما يهوىٰ .. إلى مرضعته وفاتنته ... ألم يقولوا : « كل نفس وما تهوىٰ » ؟ لكن أحتى في الانتماء ؟ وإلى الأمة والحضارة ؟

حدث أحدهم قال : كانت قافلة تسير في البادية فأرسلوا واردهم إلى الماء ، فوجد عبداً عن يمينه وشماله فتاتان سمراء وبيضاء فسأله أيهما أفضل ... قال : البيضاء ، فقطع عنقه ، فاستبطأه الركب فأرسلوا ثانياً ... فتعرض لما يتعرض له صاحبه ، وقتله العبد .. لأنه اختار السوداء ... ولما لم يعد أرسلوا بثالث ... فسأله العبد مثلما سأل أخويه وقد رأى رأسيهما منفصلين عن جسديهما ، ورأى الفتاتين ...

فسأل العبد : قبل أن أجيب أسألك ماذا قال الأول ؟ ...

قال : قال إن البيضاء أفضل ، قال والثاني ؟ قال السمراء أجمل ... قال : أما أنا فأجيب بأن كل نفس وما تهوىٰ ... عفواً أخي القارىء ... أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك بما قصصت ، لكني أرجو أن يعذرني عندك طرافة الحكاية ومناسبتها للموضوع .

المهم أن هجرة ذوي « الأدمغة » ليست هجرة في الحقيقة ، ولكنها التحاق بالأهل والعشيرة الجديدة ... كالطير الذي يشنأ بيضه !.. إن تلك « الأدمغة » ليست في الحقيقة أدمغة ، وإن هجرتها ليست في الحقيقة « هجرة » وعروبتها كلمة كانت ... نشغل أنفسنا بهم ، وهم في شُغل عظيم □□

بقلم : د. يحيى عبد الرؤوف جبر

يصدر قريباً :

كتاب الأمة
Al Ummah

٩

أدب الاختلاف في الإسلام

الدكتور طه جابر فياض العلواني

□□ حري بنا ، ونحن نعيش الشتات في أمورنا كلها ، أن نعود إلى فيء تلك الدوحة المباركة ، ونلتقي على الآداب الكريمة التي خلفها لنا سلفنا الصالح إن كنّا جادّين في السعي لاستئناف الحياة الإسلامية الفاضلة .

□□ لقد خاف كثير من الصلحاء أن يلج باب الاجتهاد من لا يصلح له ، فقد تصدى للفتيا رجال صُنعوا على أعين السلطان فاصبحوا يلوون اعناق النصوص إلى حيث مالت بهم رياح الهوى ، وتفاوت العلماء بين مرخص ومتشدد ، وخشي صلحاء الامة على مصيرها ومصير دينها ، وبدؤوا يبحثون عن العلاج فلم يجدوا منفذاً للخلاص إلاَّ في إلزام الامة بالتقليد ، ويالها من ازمة يكون المخرج منها درك التقليد !!

□□ إذا كانت للأئمة المجتهدين أسباب تسوغ اختلافهم ، وتساعد على وضعها ضمن ضوابط الاختلاف ، فإن أرباب الاختلاف المعاصرين لا يملكون سبباً واحداً من أسباب الاختلاف المعقولة ، فهم ليسوا بمجتهدين ، وكلهم مقلدون بمن فيهم أولئك الذين يرفعون أصواتهم عالياً بنبذ التقليد ونفيه عن أنفسهم …

□□ ما يحز في النفس أن يعمل بعض ابناء المسلمين على تحطيم اجنحة الصحوة الإسلامية وتكبيلها بقيود الاختلاف غير المنضبط حول ما يستحق وما لا يستحق ، الأمر الذي شغل المسلمين بأنفسهم ، وبدد الكثير من طاقاتهم ، وخلط أمامهم الاشياء خلطاً عجيباً جعلهم لا يفرقون بين الهنات والهيّنات وعظائم الامور ، وبين يسيرها وجليلها ، فكيف يمكن لقوم هذا شانهم أن يعالجوا قضاياهم حسب أهميتها ، وأن يرتبوا الامور بشكل يجعلهم قادرين على استئناف مسيرة الحياة الإسلامية ؟!

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■■ أسباب المجاعة في أفريقيا قد لا تكون كلها اقتصادية .. ذلك أن البحث عن إنتاج الدول الأفريقية للمواد الغذائية يقود إلى حقيقة مؤلمة .

إن إنتاج هذه الدول يتم تصديره إلى الخارج للحصول على العملة الصعبة التي تحتاجها تلك الدول لتسديد الديون التي تتراكم عليها وتثقل كاهل شعوبها بسبب استيراد السلاح لحماية نفسها ومطاردة الخصوم ومواجهة المتمردين وتصفية الحسابات الدولية بدماء البائسين .. إن أفريقيا قارة بكر فيها من الثروات ومصادر المياه ومساحة الأراضي الصالحة للزراعة ما يكفي شعوبها وشعوب العالم قاطبة ، لكن مشكلتها الحقيقية تكمن في الصراعات المصنوعة التي تستهلك أبناءها ، وسوف لا تجدي المعونات الاستهلاكية على المدى البعيد .. إنها تكرس الفقر والبؤس وتبقى وسيلة ضغط تستخدمها الدول الغنية لتحقيق أغراضها السياسية . ■■

مجلة الأمة – Al Ummah

العدد ٥٢ السنة الخامسة ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ